تمثيل

في المملكة الروحية

THE LIBRARIES

COLUMBIA UNIVERSITY

GENERAL LIBRARY

في المملكة الروحية

للعالم الإسلامي

رحلة الى الارض المقدسة

عام ١٣٤٩ هجريه ١٩٣١ ميلاديه

بقلم الضعيف

مصطفى محمد

وهو سفر مختصر جليل يبين مواقع الاماكن المقدسة في الحجاز ويهدى الطالب الى كيفية الانتقال اليها وما يستصحبه معه من اللوازم فى الحج ويذكر شيئا عن استتباب الامن والامان فى بلاد العربان ويتعارض مع الوهابية فى بعض المناسبات حتى يدخل معها فى حوار هادىء لطيف فى أحوال عمرانية واجتماعية تنتهى بأمنيات نتمناها من الملك العادل عاهل الوهابيين هذا عدا نبذ تاريخية قيمة تفيد المطلع أكبر فائدة

يحتفظ المؤلف باحقيته فى الطبع والنشر

الطبعة الاولى

مطبعة المدينة المنورة

BP
187.3
.R33

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين

على الطائر الميمون

ولكن غاضت الدمعة التى تترقرق بين الجفون لتأثير ضجيج المودعين وابتهالهم بالدعاء بسلامة حجاج بيت الله المطهر ممزوجا بزغردة النساء وغنائهن الحجازى . وصفير القطار يؤذن بالرحيـــل فكان تأثراً وتفريحا معا

القينا آخر نظرة على مودعينا الكرام وكان قطارنا هو الذي يبارح القاهرة عند الساعة السابعة صباحا . وقد سبقت العادة بان تقوم قطارات خصيصة بالحجاج ولكن تأثير الازمة جعل عددهم قليلا هذا العام فقمنا بالقطارات العادية

ادوات السفر

تركت النافذة فما رأيت بالديوان غيري وصاحبتى واخراجنا بجانبنا وهما مصنوعان من قماش قلع وطني ملون مقلم وخاط السروجى حافتهما بجلد أصفر مصقول وصنعهما الخيمي ورتب لهما أزرارهما وأقفالهما وكتب

عليهما الاسم بارزا من قماش لامع ملون على طراز عربي جميل وقد بلغت تكاليفهما نحو الثلاثة جنيهات وربع ولكن كانت النتيجة مزدوجة النفع لانهما أغنياني عن حقائب متعددة وأيضا لان قماشهما وطني والجلد باكيتة وطني دباغة مصر والسروجي وطني والخيمي وطني حتى تجسمت فيهما الوطنية فكانا مثار اللفتات والنظرات

وكانت ملابسي الاخرى تستلفت النظر لانني البست قفطانا حريريا يكتنف لياقته رباط رقبة حرير من صناعة مصرية وتحزمت بحزام غباني وتلفحت بآخر ولبست فوق ذلك المعطف الصوف الطويل والعمامة البيضاء على اللبدة البيضاء فكان هذا اعلانا ضخما بأننا من الحجاج حتى صارت نظرات القداسة وطلبات الدعاء والفواتح توجه الينا في كل وقت وحين .

وقد حشونا الاخراج بمفروشاتنا المكونة من سجادة عجمي وأربعة غطاءات صوف (بطانية) وملاءتين ووسادتين والملبوسات التي تلزمنا وثياب الاحرام وحقيبة صغيرة تحتوي على المصحف الشريف والكتب التي أدرس بها مناسك الحج والتي تبين أماكن ومعاهد الحجاز وما الى ذلك من أدعية وصلوات وحقيبة أخرى تحوي شيئاً من العقاقير اللازمة للعلاج الوقتي السريع وقد رتبها لنا الطبيب الذى طعمنا بالمادة الجدرية وحقنا بالحقن المضاد للكوليرا والتيفود مرتين قبل القيام

وبجانب الاخراج (سبت) كهيئة الصندوق به أدوات الطبخ وأدوات القهوة والشاي وشيء منهما وبعض التوابل كالفلفل والكمون وما اليهما وبعض البقول وبعض العلب . وبيدنا سلة صغيرة بها الاكل الطازج الذى يكفينا لأيام قليلة هذا عدا المظلات والزمازم والجعبة (الشنطة) التي تعلق على الاكتاف

عند الرحيل

على حافة القنال

وقبل ان تبلغ الساعة العاشرة وصلنا الى الاسماعيلية ثم انتقلنا الى القطار القائم الى السويس وكنا نسير على موازاة ترعة القنال فتذكرت حظنا من هذه القناة حيث كان علينا الغرم ولغيرنا الغنم لاننا فتحناها بكدنا وفي أرضنا والذى جنى الفائدة هم الاجانب الذين استحوذوا على كل الاسهم . ولما كانت الآمال لاتنقاد الا للصابرين فلنتذرع بالصبر الجميل حتى يجيء العام الستين من القرن العشرين هنالك تبلغ مصر أمنيتها من امتلاك القناة

دعاية الى الحج

وقد أرادت الحكومة ان تعمل هى الاخرى دعاية الى الحج من جانبها (وأنعم بها من دعاية) فخفضت للموظفين والعلماء مع عائلاتهم ربع المصاريف وقد عم هذا التخفيض أيضا المتقاعدين ولكن بغير عائلاتهم فانتفعت به وان كان عن أجرة الباخرة فقط

على شاطئ الخليج

عندما مالت الشمس الى الزوال أو تكاد وقف القطار على رصيف محطة السويس وكانت أوامر السكة الحديد تقضي بأن الحمالين لا يصعدون الى دواوين الركاب فكنت اذا لم أجد فراش العربات استعين بساعدي الضعيف فأناول الامتعة للحمال من نافذة القطار

وكان سماسرة النزلات (اللوكاندات) يتلقون القطار ليتصيدوا الحجاج

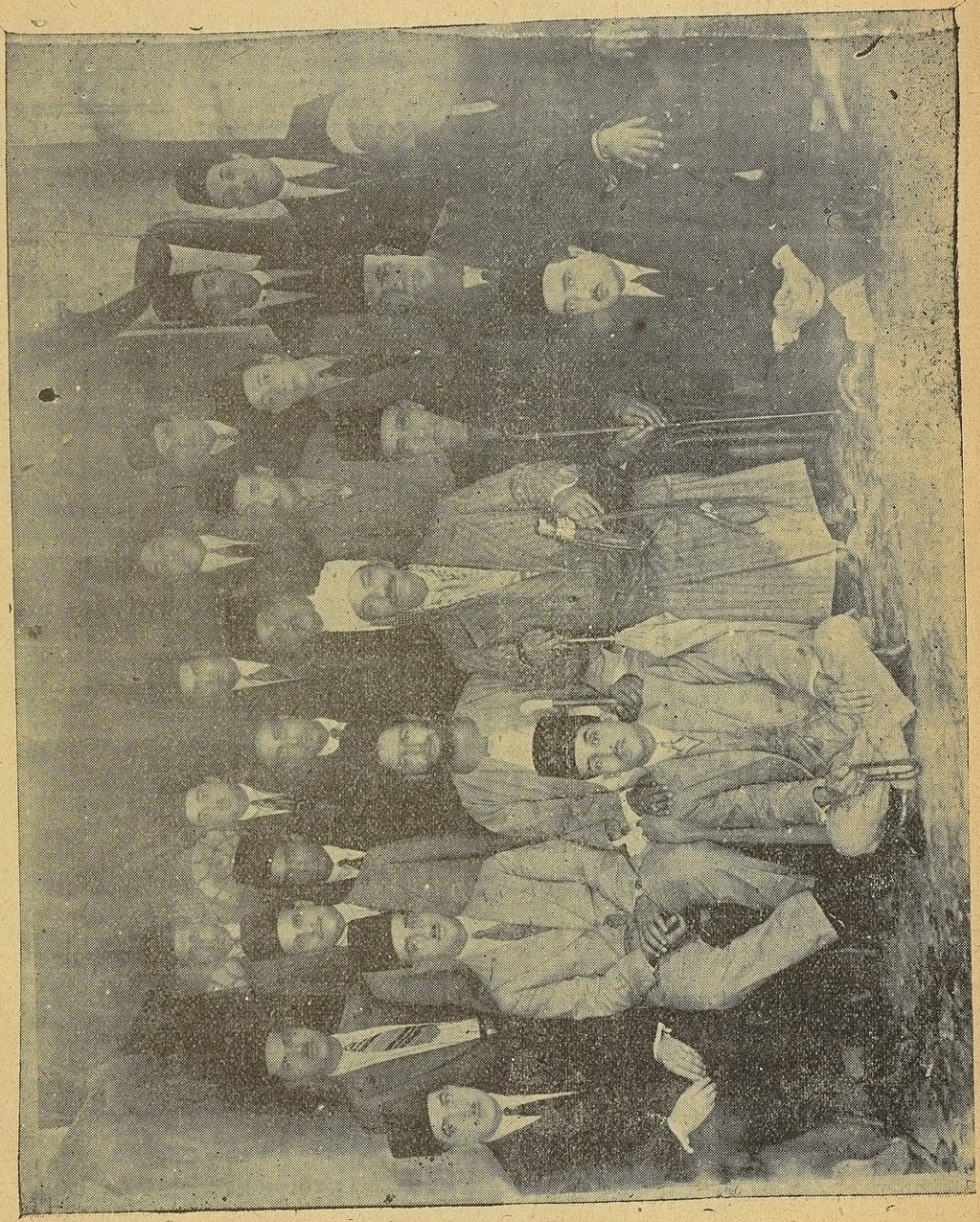

حفلة الوداع

الى نزلاتهم فجاء أحدهم وأطنب فى وصف (اللوكاندة الكمالية) الكائنة بشارع حليم فوافقته ورافقته اليها وقد حمل الحمالون الامتعة على عربة يد والذى أعجبني فيها أنها هادئة وأن أصحابها وطنيون وأيضا متواضعون وكان بالطبقة الارضية منها حجاج مصريون سررنا لمرآهم وغنائهم ومرحهم أما نحن فتسلمنا الغرفة رقم ٤ خصيصة بنا بالدور العلوى وهي تحتوى على سريرين ومقعد للجلوس ولم نستعمل الا فراشنا

كان لزاما علينا ان نذهب الي قلم الجوازات بالمحافظة للتأشير على جوازينا كما اشرنا عليهما سابقا من الوكالة العربية بمصر فبعد أن حطينا رحالنا قمنا توا الى هذا القلم ولما سلمناه الجوازين عرفنا بأن ننتظر حتي يعلن عن قيام الباخرة (باعلان يعلق على اللوحة أمام شباك القلم) عند ذلك نحضر لاستلامهما

فعل الخير

وقد طلب منا تبرعات لجمعية المواساة وجمعية أخري دفعناها عن طيب خاطر أما سوى هذا فاننا كنا نقرأ منشورات الداخلية وهي تحذر الجمهور (من دفع نقود لاحد) ولما قدمنا الطلب الى مأمور القسم تنبه علينا كذلك وكذلك عندما استلمنا الاستمارات من القسم ودفعنا النقود الى المحافظة الى أن استلمنا الاورنيك نمرة ٢٠٥ . وهذه خطوات مسددة تخطوها الحكومة للتفاهم مع الجمهور لانه طالما أرهق أعوان الحاكمين مثل هؤلاء الحجاج فى الاتعاب أو (البقشيش) كما يسمونه . والرشوة على كل حال جرثومة خبيثة يجب ان تجتث من جذورها والحمد لله قد أصبحت وشيكة الوصول الى دور الاحتضار

وعلى هذا مضينا يومنا الذي هو يوم الخميس ١٤ القعدة الموافق ٢ ابريل وانني اتيمن بيوم الخميس هذا فأجعل فيه سفري وأيضا أتحراه لا تطلب فيه أهم حاجاتى لانه قضيت فيه حاجة سيدنا ابراهيم الخليل عندما ذهب الى ملك مصر ليتسلم السيدة سارة الخليلية

صلاة الجمعة والخطابة

أصبحنا فى اليوم التالى وقد أردنا أن نؤدى فريضة الجمعة بمسجد سيدي الغريب ولما حان وقتها ارتقى المنبر أحد الاشياخ (وكان من مودعي الحجاج) وأخذ يخطب فحمد الله بمحامد كانت تسترعي الاسماع وتأخذ بالالباب وصلى على نبيه الكريم بكلام مؤثر بليغ ثم انبرى يناجي المنبر الذي يعتليه ويبين مزايا المنابر ومن يهزون أعوادها بالحكمة والموعظة الحسنة التى تصل الى أعماق نفس السامع فترده الى رشده ثم انتقل الى الكلام عن منبر سيدنا ومولانا خطيب الامم صلوات الله وسلامه عليه الذي صنعه له الغلام الانصارى النجار من ثلاث درجات وكيف أنه لما انتقل اليه حن الجذع الذي كان يخطب عليه قبلا وبكي لفراقه كما يبكي الفصيل عند فطامه وأخذ يبين الخطيب أن هذه المعجزة أفضل من معجزة سيدنا المسيح عيسى عليه السلام فى احياء الموتي لان الميت سبقت له الحياة فلا يستبعد أن تعود اليه أما هذا الجماد فلم تسبق له حياة ثم صدر منه ما يشبه الكلام وهو البكاء. وكنا نغصت الى الخطبة وقد سرى مفعول السحر الحلال من نفوسنا حتى تمنينا أن يطول الوقت فيطيل هو من هذا السلسبيل

أما اهل السويس فانهم أصحاب أعمال وهم يودون سرعة الانصراف الى أعمالهم ولهذا حصل منهم ضجة وغوغاء اضطر معها الخطيب أن يقصر

من كلامه وينزل الى الصلاة وبعدها ارتقى كرسي الوعظ وألقى كلمات طيبة تحث على مكارم الاخلاق

الحث على الاجتماع

بين انفراج الشفاه عن بسمات الغبطة والسرور وعند تلألىء الجباه بفيوضات الهنا والحبور كانت تتبسط النفس فتذهب الى البحث في الحكم الرائعة التى بني عليها التشريع فى هذا الدين القويم

انظر الي الحكمة من الحث على صلاة الجماعة حتى يجتمع أهل الدرب أو الحارة ويتباحثون فى شؤون أحوالهم الخاصة بدربهم أو حارتهم

ثم ارجع البصر الى الحكمة من صلاة الجمعة تراها لاجل ان يجتمع اهل الخط او الناحية وينظرون ايضا في صالح خطهم او ناحيتهم

وفى هذه الحكمة أيضا ناحية من نواحى الحث علي ضرورة الاجتماع لان الانسان مدني بطبعه والدين الذى اختير له هو دين اجتماعى عمرانى حنيف . وقد التفت الافرنج الى اقامة النوادى كما كانت تفعل العرب وكان لنا اجتماعات راقية زاهرة (بالمنادر) العامرة استبدلناها الآن بالمحال العمومية ومشارب القهوة وفى هذا على الاخلاق بلاء عظيم

الخطب فى عز الدولة

سرح الفكر هنيهة فى حالة الاسلام وقد مضى عليه أحقاب طويلة وهو يتعثر فى الحواجز الشائكة التى وضعت في طريقه وقد اغتبطته الامم لانه وصل من الرفعة الى السماكين حتى كان أمير المؤمنين المأمون الخليفة العباسى يتطلع الى السماء ويخاطب السحب بقوله (سيرى أني شئت فستمطرى

لى ذهبا) يعني بهذا أن السحابة مهما قذفت بها الرياح لابد أن تلقى حملها من الماء فى بلاد الاسلام لسعة ملكه كما يفتخر الانجليز الآن (بان الشمس لا تغرب عن أملاكهم)لان الزمن فى كندا غيره في افريقيا مثلا وقد كان خطيب الامم صلوات الله وسلامه عليه اذا اهمه من امر الاسلام شيء صعد المنبر وخطب الناس فيما ينفعهم فى الحياتين وقد حذا الصدر الأول من الاسلام هذا الحذو وكذلك أخلافهم

الخطب الدخيلة

الي أن وجد الدخلاء منفذا يتوصلون منه الى الفت فى عضد الاسلام فالفوا كتب الخطب الركيكة المسجعة التى يقولون فيها لا تركنوا الى الدنيا وازهدوا فيها وطلقوها بتاتا وهكذا من الالفاظ التى تقعد بالهمم وتثبط العزائم فاستكان العامة لقولهم وقنعوا بشظف العيش بينما الامم الاخري تدأب على السعي الحثيث حتى بلغت شأوا عظيما من الرقى والحضارة والحمد لله قد ابتدأنا أن نفتح أعيننا بعد الرقاد الطويل لما ينبهنا به جماعة الوعظ والارشاد ويحضوننا على الاخذ بقوله تعالى (وأبتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا)

ليس عليها جديد

يقولون أن ليس على وجه الارض جديد وقد تحققت هذه النظرية بما وجدوه بمدافن الفراعنة العظام من صور شتى ترسم أنواع الآلات الحديثة ومنها آلة التليفون ويذكرني بهذا الحديث وصول ناس هذا الزمان الى مدي بعيد فى الاختراع حتى صار التليفون الاثيرى يتكلم

به سكان نيويورك مع أهل لندن وقد استفدت انا الآخر بهذا الاختراع فكنت أكلم أهلي بالتليفون الخاص بنا بمصر مدة اقامتنا بالسويس كأننا كنا معهم والفضل فى هذا للذي علم الانسان مالم يعلم سبحانه وتعالى

الحاج العزيز علي قومه يشيعونه الى السويس اما انا فقد اردت أن لا أشق على احد ولا ارهق الجيوب التى أنهكتها الازمة ومع هذا فقد دعى الحنان أحد اخوتي لان يحضر لتوديعي فنزل عندى ضيفا كريما واتخذت له غرفة خصيصة به بالنزل

اصبحنا السبت فاستلمنا الجوازات واعلنا عن قيام الباخرة في اليوم التالي وقد مضينا الليلة كسابقة الليالى فى هناء وصفاء

فهذه ثلاث ليال سويا اقمناها بهذه القاعدة البحرية العظيمة ومفتاح خليج السويس ومرفأ القطر لهذا البحر الاحمر العظيم وكانت هذه الايام الثلاث تعدغرة فى جبين العمر لا تتعاش نفوسنا بالفرح بعز اللقاء

الى بور توفيق

استيقظنا مبكرين فى صباح الاحد الموافق ١٧ القعدة و ٥ ابريل ثم حضر عندنا عربجى النقل بأيعاز من حسن يوسف الشيال (الذى سلمنا بطاقته يوم وصولنا) وحمل الامتعة الخاصة بنا مع امتعة أناس آخرين نازلين معنا اما نحن فقد ركبنا سيارة اوصلتنا إلي بور توفيق التى هى مينا السويس وهناك تلقانا الشيال حسن يوسف وقد تسلم العفش ليوصله الى مقرنا بالباخرة

عطف الاصدقاء

لي صديق حميم وزميل قديم هو صاحب العزة الميرالاى محمد بك

احمد المسيري مدير ادارة الحج والمحاجر الصحية وقد اردت ان انتفع بهذه الصداقة واراد هو بدوره ان يظهر عطفه على اخيه فكانت توصية وكان اعتناء . وانه وإن كان صديقنا العزيز قد وجه الينا عناية يشكر عليها إلا ان هذه العناية كانت تشمل الجميع ايضا لما جبل عليه من مكارم الاخلاق والادارة الحازمة والحمدلله حيث لم تكن هذه التوصية من نوع المحسوبية الممقوتة التي تتغلغل في احشاء الادارة فتجعلها معتلة مختلة وتعرقل تقدم الاعمال. نعم انه يوجد من هذا النوع محسوبية لها خطورتها من النفع والضرورة كان يأتي وزير فيعين خلصائه ابتغاء مساعدته فى اقامة منار العدل والقسط كما كان يفعل سيدنا عثمان بن عفان فى تعيين اقربائه الامويين للمناصب العالية اجتهادا منه حتى يساعدوه فى تدبير أمور الدولة بأمانة واستقامة كما يعهده فيهم

أضف إلى هذا أنك تجد حكام اليوم غيرهم بالامس حيث كنت فيما مضى تري أصغر عسكري يركل الحاج برجله او يلكمه بيده لاتفه الاسباب اما الآن فان مسافة الخلف بين الحاكم والمحكوم قد تقاربت وأصبحا يتبادلان العطف والاحترام هذا ومن جهة اخرى فان الامة قد تنبهت لحفظ كرامتها فهي لا تقبل النزول على الضيم او الرضا بالعسف وسوء العذاب

فى المباخر

دخلنا الى المباخر المعدة لتطهير الحجيج بعد ان ودعنا اخانا العزيز وانتظرنا إلى ان تتم الاجراءات اللازمة للنظافة والتبخير والحق اقول انها عناية من الحكومة في المسائل الصحية تشكر عليها كثيرا ولقد أعجبني جدا

انتباه عمال التبخير لواجباتهم وأيضا أكبرت فيهم الامانة والعناية ولو يطاوعني القلم لكتبت عنهم طويلا ولكن المدي واسع أمامه فتراه مضطرا لهذا الاقتضاب

على سطح الماء

رايتنا المحبوبة

صعدنا الي سلم الباخرة وتقابلت مع أخينا البكباشي حسين بك يسري (وهو بالمعاش الآن) ومندوب سعادة أمين يحيى باشا في ملاحظة الباخرة أداريا فاكرم وفادتي وسلمنا قمرة نظيفة (هي إحدي غرف الباخرة) وكانت خصيصة بنا نحن الاثنين

وهذه الباخرة اسمها (دمشق) احدي باخرتين استأجرهما سعادة أمين يحيى باشا من شركة فرنساوية والثانية اسمها (بلجرانو) وقد تقدم يحيى باشا الى مناقصات في عطاءات عن نقل الحجاج فرسي عليه العطاء ولكن لسوء الحظ ان كان عدد الحجاج قليلا في هذا العام وكنا نأمل ان لو ساعده الحظ وتسنى له انشاء شركة بواخر مصرية تمخر عباب البحار وهي ترفع رايتنا المحبوبة لارتاح البال وكنا نعد انفسنا أمة ولو كاليونان مثلا التي لم تبلغ معشار عددنا وعندها الاساطيل والجيوش الجرارة .

وكانت تخفف من لوعة الحسرة التي لازلنا نكابد عناءها من يوم ان باعت الحكومة المصرية بواخر البوستة الخديوية للشركة الانجليزية بصفقة خاسرة . كذلك وكينا نمحو من ذاكرتنا ذلك الافتيات على حقوقنا بالضغط على

الرجل الحازم الذى كان يريد ان يرفع رأس مصر عاليا وابتدأ في انشاء شركة بواخر مصرية بادارة حضني بك واجبروه على حل هذه الشركة حتى ينفردوا هم بتحويل مجرى الكسب والثروة اليهم

ولقد سبق ان نفذت بصيرة سيد العرب الي خريطة المعمورة فرأى بثاقب فكره ان من يمتلك نواصى البحار يسيطر على اليابسة بما رحبت فحث قومه على اعتلاء متن اليم بقوله الحكيم (من هاضه البحر فمات فهو شهيد) وقد أخذ أهل الغرب بهذه النظرية العالية حتى تنازعوا سيادة البحار ونحن أصحاب الفكرة وقفنا مكتوفي الايدى ولا نبدي حراكا فعسى ان نتلافى هذا النقص فى كيان قوميتنا .

قيام الباخرة

أقلعت الباخرة بعد الزوال بقليل وسارت بسم الله مجريها وكان يجول بالخاطر شيء من الأسى لفراق الوطن ولكن الحنين الى اللقاء العظيم في أسمي وأقدس مكان حبس العبرة التى كانت تريد ان تفيض وكانت الباخرة ترفع راية مصرنا المحبوبة فكانت نفوسنا تطيب لمرآها الوسيم

الحج مرة فى العمر

انه وأبيك لفراق شاق لاننا تركنا العيال وتركنا المال تحت رحمات القدر ولعظم هذه المشقة قد نظر مولانا اللطيف الرحيم نظرة حنان الى عبيده الضعفاء ففرض علينا الحج فى العمر مرة واحدة وبعضهم يقول انه على التراخى وشرطه مع الاستطاعة التى منها أمن الطريق وتوفر الزاد والراحلة وغير ذلك مما هو واضح فى كتب الفقه (ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدي للعالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان

آمنا . ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين) - قرآن كريم -

الطعام فى الباخرة

كانت تنشرح صدورنا لهذه المناظر الخلابة منظر البحر والباخرة تمخر عبابه فى سكون وهدوء وهي تتهادي كالعروس عند زفافها وقد طابنا الاكل من مطعم الباخرة (الاستراتور) فجاء به الخادم (الجرسون) فى القمرة بعيدا عن الاختلاط في نظير مبلغ خمسة وسبعين قرشا مصريا ندفعه يوميا . وقد تسرب الوهم الينا بأن دوار البحر ربما يؤثر علينا ولكن شيأ من هذا لم نحس ولم نشعر به مطلقا كأن العناية الصمدانية التى سخرت البحر لموسى أرادت أن تهدأه لنا حتى لا يشوب هذا الشعور المنعش الجميل أى تنغيص

ومن عادة البحر الاحمر عدم السكون في معظم أوقاته حتى وفى خليج السويس الذى يري الانسان شاطئيه بالعين المجردة وخصوصا فى البقعة المعروفة ببركة فرعون

غرق فرعون

ولما كان الشيء يذكر بالشيء فاننا نذكر نعمة الله تعالى علي بني اسرائيل حين جاوزوا البحر وقد انفلق اثني عشر فرقا فكان كل فرق كالطود العظيم وكان من رحمة الله تعالى بهم أن جعل كل سبط يمشى في درب من الاثني عشر دربا التى تفتحت لهم وبينه وبين جاره نوافذ ليأنسوا برؤية بعضهم حتى انجاهم من عدوهم ولما اتبعهم فرعون بجنوده انطبق البحر

عليهم فهلك هو ومن معه اجمعون

ولغرق فرعون هذا قصة لاتخلو من تفكهة وعبرة وذلك أن ملاكا ذهب الى هذا الفرعون فى زى انسان ومثل بين يديه فى اليوم الذى يباح فيه للشعب بمقابلته وقد استفتاه في غلام أبق منه ماذا يكون جزاؤه ؟ فأجابه فرعون (جزاؤه الغرق) فطلب منه أن يكتب له هذه الفتوي فكتبها له على ورق البردي ولما جاء فرعون على شاطيء البحر الاحمر واراد ان يدخل فى اليبس الذى انحسر عنه الماء ليلحق ببنى اسرائيل جفل حصانه فجاء الملك وركب فرسا أمامه ليغري الحصان على النزول ولما كان فى وسط البحر اراه فتواه فعرف انه هو العبد الآبق وهذا هو سبب المثل الذي يقول (فرعون مسكوه بخطه)

ولقد ثبت فى التاريخ أنه حصل من بني اسرائيل زلة ما كان يحسن بهم أن يقابلوا الاحسان بغير الاحسان وذلك أن أقدامهم لم تجف بعد من طينة البحر الاحمر حين انجاهم مولاهم من عدوهم وخرجوا الى البر فوجدوا نفرا يعبدون أصناما فقالوا ياموسي اجعل لنا الها كما لهم آلهة

وكان غرق فرعون هذا في يوم الاربعاء حتى تجد اغلب الناس يتطيرون من هذا اليوم وانه فضلا عن غرق فرعون فيه فقد ولد فيه سيدنا يوسف الصديق فأصابه ما أصابه من السجن والتغريب وولد فيه أيضا سيدنا ايوب فجرى عليه الكثير من البلاء والتعذيب وبعضهم يقول ان التشاؤم هو من يوم الاربعاء الاخير من الشهر الذى يسمونه (اربع لا يدور) ولكن عندنا ان يوم الاربعاء هو يوم يستجاب فيه الدعاء بعد الزوال لان سيد الكائنات دعي الله فيه يوم الاحزاب فنصره بريح الصبا هدمت مضارب الاعداء وكفأت قدورهم كما قال تعالى (يا ايها

الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا)

فى زمن الدراسة

كذلك وقد عادت بي الذكرى الى زمن الطفولة ايام كنا بمدرسة القريبة وكان زميلنا التلميذ النابغة مصطفى كامل (ك) هو المفرد العلم بها لما امتاز به من حسن الصفات ومن النباهة والفصاحة حتى كأنه خلق ليكون زعيما وكان من امره ان اتبع الناس مبادئه العالية فى الوطنية وتيقظت الامة بعد ان كانت فى سبات عميق فهو بغير مراء قدوة الزعماء اذ الفضل للمتقدم على كل حال وكان من لدائدنا بالمدرسة ايضا عبد السلام بك فهمى وابراهيم بك فوزي وحسن بك حسني ومحمد بك زكى وكثير غيرهم . تذكرت هؤلاء الاتراب وتذكرت الرموز والاحاجي التى كنا نتذاكر فيها وضمنها هذا السؤال الجغرافي.(اخبرني عن بقعة من الارض لم ترها الشمس الا مرة واحدة فى العمر ؟) وهي بالطبع هذه الارض التى تفسح عنها ماء البحر الاحمر حتى سار عليها بنو اسرائيل

ليس بها نوافذ

ولما كان من عادة الصفو ان لا يرافق الحياة فى كل ادوارها فقد صادفنا عناء يقلل من هذا الصفاء حيث كان جو القمرة حارا جدا لانها تواجه افران الباخرة مباشرة وليس بها نوافذ كافية لجلب الهواء .وكانت هذه الاخرى احدى نصائح الدهر لانها تذكرنا بحر سقر حتى يقلع الانسان عن التمادي فى الغي والطغيان . هذا وقد نوهنا عن هذه

الحرارة حتى اخذت في دفتر الاحوال عند ضابط البوليس المعين بالباخرة

المياه بالباخرة

وكانت المياه العذبة تصرف لكل من الحجاج بقدر معلوم وتصرف فى اوقات معينة يحضرها البوليس ويلاحظها مندوب الباخرة وبيده مفاتيح الفناطيس التى ملئت من نهر النيل المبارك . وطريقة صرفها ان يقدم الحاج جوازه الى ضابط البوليس فيسلمه (ماركة) ليصرف بمقتضاها من العسكري الذى عليه النوبة عند المياه فيملأ الحجاج زمازمهم واوعيتهم بما يلزم لشربهم اما الوضوء والاستحمام فيؤخذ الماء اللازم لهما من ماء البحر

اشرقت شمس اليوم الثاني بالباخرة والجو صحو والنسيم عليل والبحر هادىء والطقس جميل والسفينة تتهادى فى المسير فكنا نسبح بحمد اللطيف الخبير

المواقد وتسوية الطعام

وكان محظورا على الحجاج ان يوقدوا مواقد الاسبرتو والبترول اتقاء حدوث حريق كالذى حصل فى باخرة الحجاج المغاربة فى العام المنصرم أمام ثغر جدة (ولا تزال بقايا الباخرة المحترقة هناك)

وعندما يريد احد من الحجاج ان يطبخ طعامه او يسوي الشاي او القهوة فيكون ذلك بمطبخ الباخرة (وبالاجرة طبعا)

مبيع المأكولات بالباخرة

ويوجد أيضاً بالباخرة (كنتين) لمبيع البقول والخبز والخضر المطبوخة

باللحم والفول المدمس والفواكه والشاي والقهوة وغير ذلك وبالطبع ان الاسعار في البحر غيرها في البر وهذا الغلاء ليس منشؤه الطمع أو الغبن ولكن الضرورة تقضي به لانه توجد أصناف قابلة للتلف مثل تعفن العيش والفاكهة أو حموضة الطبيخ ولو حصل شيء من هذا يكون من نصيب السمك وهذه الحالة لها قيمتها من الحساب عند التسعير وكذلك أتعاب العمال وطريقة حصولهم على الكسب فانهم بعد سفر الباخرة وتفريغها يستمرون بدون عمل حتى تستعد الباخرة الى دور آخر وهذه البطالة لها قيمتها أيضاً من النظر

الطير ابو قردان

وكان يزيد الحال جمالا على جمال انه كان يحلق فوق الباخرة طيور جميلة تشبه الطير المعروف عندنا (بابي قردان) ولا تختلف عنه الا فى اللون فقط

وانى أتكلم هنا عن ناحية من نواحي الحياة فى مصر على ذكر الطير الانيس (أبي قردان) حيث كنت أرى فى صغرى الفلاحين وهم يطاردون هذا الطير النافع مطاردة عنيفة إلى ان جاء المفكرون من الامة وجاءت وزارة الزراعة أيضا ينصحون للناس ويذكرون لهم منافع هذا الطير الوديع وانه صديق الفلاح الحميم حيث يساعده فى تنقية الدودة من القطن لانه يجعلها غذاءه هذا عدا انه يأكل الحشرات الضارة بالزرع ولما عرف الفلاح له هذا الفضل لم يمسسه بسوء حتى تراه اليوم اليفاً يقف وسط الحقل يمرح بين الفلاحين وهم في عملهم

الامام والطبيب

وكانت الحكومة تعين لكل باخرة إماما يبين للناس فيها مناسك الحج

فكان إمامنا يقوم بهذا الواجب خير قيام

وكذلك تعين الحكومة طبيبا لكل باخرة وكان طبيب باخرتنا شابا دمث الاخلاق حسن الطباع

تعداد الركاب

وكان ركاب الدرجة الثالثة يتفسحون فى كل أنحاء الباخرة حتى انهم كانوا يزحمون الاماكن المعدة لاستراحة ركاب الدرجة الاولى والثانية ولم يكن أحد منا يسأم أو يتذمر لانه سفر سعيد يقصد به وجه الله تعالى ولا معنى للفوارق مادامت الراحة متوفرة

وركاب الدرجة الاولى والثانية ٨٠ نسمة بينما ركاب الدرجة الثالثة ٧٩٠ نسمة وكانوا يسكنون العنابر التحتية أو سطح الباخرة (الكوكرتة) وكان يحصل لبعضهم شيأ من هيضة البحر إلا انه قليل جدا لمناسبة هدوءه وكانوا يستعملون المراوح (المانيجة) لسكان العنابر فكانت الراحة متوفرة

حمامات الباخرة

وكانت الحمامات كافية لاستحمام جميع الركاب وكان ماؤها اجاجا الا انه كان يتسنى لبعضهم أحيانا استعمال الماء العذب من الفايض عن حاجة شربهم

ميقات الاحرام

وفى ظهر اليوم الثالث (الثلاثاء) صفرت الباخرة ثلاث مرات أعلاما بأننا اقتربنا من موازاة بلدة رابغ (الجحفة) التى هي ميقات أهل مصر للاحرام (وهي كائنة على الشاطىء الشرقي من البحر الاحمر وبينها وبين جدة

في الإحرام

نحو الست ساعات بسير الباخرة) فخلعت ملابسي العادية ولبست ازارا (أي تحزمت ببشكير) ولبست رداء (تلفحت ببشكير آخر) وهذا في اصطلاح الشرع الشريف (عدم لبس المخيط والمحيط)

ما أحسنها من ذكرى وما أروعها في النفس حيث يتجرد الانسان من ثيابه ويعرى رأسه اعظاما واحتراما للامر القادم عليه وهو المثول أمام عتبات البيت العتيق المطهر وما أجمل التلبية التي يلبي بها المحرم عند كل مناسبة (لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك)وقد لبست صاحبتي أيضا ثيابا بيضاء والمرأة تحرم بوجهها ولها أن تغطي رأسها وتستر شعرها ولها أن تسدل ثوبا خفيفا علي وجهها من فوق رأسها سدلا خفيفا تستتر به من نظر الرجال اليها وقلنا في نية الاحرام للعمرة (نويت الاحرام بالعمرة وأحرمت بها لله تعالى لبيك الخ) وصلينا ركعتين سنة الاحرام هذا وقد يجزىء الوضوء عند تعذر الاستحمام

اعلام الحجاز

ما أجمل صباح الاربعاء ٢٠ القعده ٨ ابريل والغزالة تطل من كناسها وهي تشمخ بانفها لعلمها ان الباري جل شأنه جعل العالم الكوني ينتفع منها بالحياة وبالحرارة وبالنور وكان يزيد بهاء ظهورها ظهور الشاطيء المقدس معها

ظهرت أعلام الحجاز فكانت قرة عين للناظرين . ظهر ثغر جدة المبارك وألقت الباخرة مراسيها عند الساعة الثامنة صباحا ووقفت بعيدا عن الشاطيء على بعد الميل وكسور الميل لانه توجد أراضي عالية وشعاب بالمينا تمنع البواخر من الدنو الى الرصيف والركاب والامتعة ينقلون في مراكب

صغيرة شراعية تسمى السنابك وذلك على حساب المتعهد لانه يدخل ضمن أجرة الباخرة

هذه ثمان وستون ساعة قطعت فيها الباخرة المسافة من السويس الى جدة وتبلغ هذه المسافة ٦٤٦ ميلا

القنصل والمندوب

أقبل زورق بخاري يقل حضرات قنصل مصر فى جدة ومندوب وزارة الداخلية والطبيب المصري وعند ما وقعت أنظارنا على العلم المصري يرفرف على هذا الزورق الهبنا اكفنا بالتصفيق تحية لعلمنا المحبوب ولفرحنا بهم أيضا لانهم مواطنونا ولاننا نغتبط بعناية الحكومة بمصالح شعبها وهؤلاء هم أمناؤها على النظر في هذه المصالح

وكم كنت أود أن يسود الوفاق وحسن التفاهم بين بلادنا العزيزة وبين الحجاز حتى تتسهل مأمورية القنصلية المصرية ولي كلمة في هذا الموضوع أرجئها الي مناسبة الكلام عنه

صعد هؤلاء الى الباخرة ومعهم طبيب مملكة الحجاز وبعد عمل الاجراءات الطبية واستلام قيمة الرسوم الخاصة بمملكة الحجاز وقدرها ماية قرش وستة قروش مصرية عن كل حاج بعد كل هذا تصرح بنزول الحجاج

وكان الحجاج فيما مضي يدفعون رسوم كل جهة على حدتها وقد أحسنت الحكومة صنعا بتحصيل هذه الرسوم صفقة واحدة ثم هي تسلمها الجهات اختصاصها

سفينة السعادة

وقد جاءني غلام من أهل جدة يدعوني الى النزول فى فلوكته

أولى من النزول مع الحجاج فتحصل مضايقة ويحصل تلف للمتاع ولما وجدت مشورته ناضجة نزلت معه أنا وصاحبتي ومعنا العفش يحمله الولد علي مرات ولا تنس أن الاخراج كانت لها قيمتها عند الحجاج من التقدير والاعجاب

كنا أول من نزل من الباخرة ولما استقر بنا المقام فى الفلوكة صرنا نلبي ونحن مغتبطين فرحين وسارت الفلوكة بنا تحفها عناية الله تعالى الى أن وصلنا الى الرصيف وبالطبع أن نصيب المراكبي كان بمقدار تقديرنا لسفينته حيث كنا نعتبرها كسفينة النجاة التى توصلنا الي العز والسعادة

إلى الشاطئ المقدس

كنا والحمد لله أول من خطى الى الرصيف فقابلنا عمال المينا وأشاروا الينا بالخروج وقد تركنا الامتعة حتى تعمل عنها الاجراءات اللازمة

المطوف

كل حاج يريد أن ينزل الى الاراضى المقدسة بالحجاز لا بد له أن ينزل فى كنف رجل مطوف تعترف به الحكومة الحجازية رسميا ويكون هذا المطوف مسؤولا أمامها عن كل الحجاج الذين ينزلون عنده ويعطى عنهم المعلومات الكافية ويحصل منهم الضرائب اللازمة لها. وكان معي جملة أسماء من المطوفين وضمنهم رجل اسمه حسن افندى كتوعه موظف بوظيفة أمين صندوق رسوم الرصيف بكمرك جدة وقد اشتغل فى مهنة المطوفين من العام الفائت وقد دلني عليه أحد المعارف فتخيرت أن

انزل عنده . ولما خرجنا من باب المينا وجدت وكلاء المطوفين فى انتظار الحجاج وهم كثيرون جدا ولما سئلت عن مطوفى عند الباب أخبرتهم عن اسم حسن افندى كتوعة هذا فتقدم الي وكيله الحاج محمد باتان وهو رجل بشوش الوجه رقيق الطباع ومعه اخوه الحاج احمد باتان وهو أيضا رجل مؤدب فسلمته الجوازين الخاصين بنا ثم أحضر الامتعة من الكمرك وحملها على عربة نقل تشبه عربات (الكارو) عندنا

وقد حضر حسن افندي كتوعة وسلم علي سلاما طيبا ورحب بى كثيرا وقد رأينا منه رجلا لين العريكة دمث الاخلاق

نداء سيدنا ابراهيم

لما فرغ سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام من بناء البيت العتيق المطهر صدر له الامر الكريم فى قوله تعالى (وإذ بوأنا لابراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود . واذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق) فهجس فى خاطره (والى أين يبلغ مدى صوتي الضعيف ؟) فاجيب من طريق الالهام العالى (انما عليك النداء وعلينا البلاغ) فارتقى أبا قبيس ونادى باعلا صوته (إن لله بيتا فحجوه) فرددت جميع الاكوان صدى صوته حتى وصل الى مسامع الارواح في علم ربها ومن لم يجب منها فلا حج له ومن أجاب مرة فله الحج مرة ومن أجاب أكثر فأكثر . ويظهر أن روحى أجابت غير مرة حيث سبق أن حظيت بالحج منذ واحد وعشرين عاما وقد من علينا الكريم بالحج هذه المرة أيضا في جو حر طليق مع الرخاء واليسر

ولقد ضمنى مجلس سمر مع أحد الاصحاب فتجاذبنا أطراف الحديث حتى

فى زمن الحج السابق

أفضى بنا الى ذكر المجتهدين من الوطنيين ومن بينهم رجـــل يستعمل وسائل النشر بطرقه المختلفة وقد نوه عنه صاحبي بأنه يتبع الطريقة الامريكية فقلت له ولماذا لا تقول انه يتخذ طريقة خليل الله في النشر عن بيت الله ؟ ألم يكن نداء سيدنا ابراهيم هذا هو تعليم لنا على اتباع النشر وقد سبقتنا اليه أوروبا وأمريكا حتى لا يعلن أهلها عن التجارة فحسب بل وحتى الاسئلة البسيطة يستعملون النشر عنها فى صحفهم

وكيل المطوف

يقول الحاج محمد باتان — كنت أحسب أن عائلتكم القادمة الى الحج كبيرة جدا (يقصد أنها مركبة من خدم وحشم وجواري وعبيد) لان الذي عرفه عن قدومى بالغ له فى شخصيتى واعتبارى حتى توهم ما توهم والآن لا يري أمامه الا رجلا فردا ومعه زوجه فحسب

على رسلك ياباتان . ان الرجل منا لو انحدر الى مزالق التبذير لا يقوم منها الاصفر اليدين خصوصا ونحن فى حاجة الى المال كاحتياج الظمآن الى الماء الزلال لأن الازمة قضت على كل رطب ويابس . هذا ومن باب الاقتصاد فى النفقات يمكنك الاستغناء عن الخدم وتكلف من تريد بقضاء حوائجك ازاء أن تبسط كفك بالعطاء

نزلنا بدار باتان التى يمتلكها وهي دار فسيحة فى ترتيبها الشرقي الجميل وبواجهتها الرواشن (المشربيات) المخروطة بشكل عربي متقن وأغلب الدور فى البلدة كلها بهذا الشكل . وهي كائنة بجوار السوق وقد استلفت نظرى أثناء المسير أن كل الدور اصبحت ويوضع على كل دار منها رقم خاص بها وأيضا كتب على كل شارع لوحة باسمه وكانت هذه أول

استبشاري بتقدم النظام وقد أخذنا مكانا خاصا بنا نزلت به مع صاحبتي

ولقد نزل بناحية أخرى من الدار جماعة من أهل قنا بصعيد مصر يبلغ عددهم أربعة أشخاص ومع أحدهم زوجه ويرافقهم أحد اهالي مصر اسمه الحاج محمد سليمان عرفني بنفسه لداعي نزولنا عند مطوف واحد وقد رأيته وتبدو عليه علامات الصلاح والتقوى

فى طرقات جدة

بعد أن استرحنا قليلا تمشينا بين طرقات جدة ومررنا على القبر الذى يقولون عنه انه للسيدة حواء أم البشر . وقد رأيت أن العمران قد امتد الى البلد - فصل بعض التحسين فى البناء ولكنها لا تزال محافظة على شكلها الشرقي وهي بلد تجارية وبها الخانات والمخازن والدكاكين وأسواقها مكتظة بالبضايع لأنها مينا الحجاز البحرية وبها أيضا سفارات الدول الاجنبية

وكانت تحية قدومنا الى الارض المقدسة أن انعم علينا المنعم الكريم بفاكهة لم نرها فى مصر بعد وهي أننا اشترينا بطيخا وكان ناضجا ولذيذا والبطيخ لا يظهر عندنا فى مصر الا فى شهر مايو

وقد حضر المطوف حسن افندى كتوعة فسلمته جنيهين اثنين عن أجرة السيارة الى مكة المكرمة وجنيها واحدا أجرة جمل لحمل الامتعة الخاصة بنا وأخذ أيضا اثنين وثمانين قرشا مصريا رسوم وكيل المطوف بجدة وكل هذا عني وعن صاحبتي

المياه فى جدة

والمياه فى جدة على نوعين منها الماء الرائق وهو يصفى (بالكندنسة)

وهي الآلة التى تخرج الاملاح من المياه المستخرجة من البحر وهذه معدة للشرب والنوع الآخر ماء المطر وهو يحجز فى الصهاريج زمن الامطار وهو عكر وغير نظيف هذا عدا مياه الآبار فى جهات مختلفة

وتصادف أن كنت اتوضأ ورميت بفضلات الوضوء بالشارع وإذا بياتان يقول لى ان الرش هنا ممنوع ويظهر أن الغرض المقصود من هذا هو عدم التبذير فى استعمال المياه

شعرنا بالراحة عند المبيت لاننا خرجنا الى وجه الارض (وكنا لا نزال نشعر بشىء من اثر اهتزاز الباخرة) فنمنا نوما هادئا عميقا وقد حمدنا الله سبحانه وتعالى

على متن السيارة

استيقظنا مبكرين فى صباح الخميس ٢١ القعدة و ٩ ابريل وبعد أن صلينا الغداة (وكنا نصلى قصرا من يوم أن بارحنا ديارنا) وبعد أن فطرنا وشربنا الشاي والقهوة (من عندنا) مكثنا ننتظر السيارة التى تقلنا الى مكة المكرمة الى أن جاءت وقت الظهر فركبت صاحبتى من الداخل من ناحية السواق وركبت أنا بجوارها وأمامها الحاجة القنائية وبجوارها اقاربها وبجوارى بعضهم فصرنا ثمانية وقد أحضروا لنا خمسة من الهنود لتكملة حمولة السيارة اللوري

امنية شاعر

الغواص الماهر اللبيب قد يغوص وراء الصدف الملىء بثمين الجواهر

وكذلك كانت قريحة شاعرنا الفحل أمير الشعراء فانها أخرجت لنادرة من نفائس دره الغالية حيث يقول منذ عشرين عاما ونيف

ويارب هل سيارة أو مطارة

فيدنو بعيد البيد والفلوات

فهذه امنية شاعرنا العظيم قد تحققت وهذه السيارة تقطع المسافة من جدة الى مكة فى ثلاث ساعات بعد أن كنا نقطعها على الجمال فى يومين نبيت ليلة منهما فى بحرة ولا يزال بعض الناس يسيرون هذا المسير

اما الطيران فانه سبق أن سخرت الرياح لسيدنا سليمان بن داود عليهما السلام فكانت تحمل بساطه شهرا فى الغدو ومثله فى الرواح وكانت الطيور تظله لتقيه من وهج الشمس وهجير الحر وهذه من نعمة الملك الذي لا ينبغى لاحد من بعده

وقد اتجهت افكار العرب نحو هذا الطيران حتي قرأنا لهم بعض نظرياتهم فيه ولو دامت مدنيتهم التى كانت آهلة بالروحيات أكثر منها في الماديات لكانوا اتموا التصميم وحازوا قصبات السبق في ابرازه للعالم. وهذه اوروبا جاءت الآن تأخذ بنظريات اساتذتهم فاخرجوا الطيران الى حيز الوجود وتقدموا فيه تقدما باهرا فنحن أن اخذناه عنهم لقلنا (هذه بضاعتنا ردت الينا)

هذا ولا يفوتنا أن ننوه بقوة الحكومة السعودية وبطشها لان العربان كانوا يقفون حائلا منيعا دون سير هذه السيارات لأنهم ينتفعون من تأجير جمالهم فى كل موسم

بين الماضى والحاضر

قبل أن نولي ظهورنا ثغر جدة المبارك ونستقبل قبلة الاسلام المشرفة

لا بد أن نلقي نظرة على الماضي والحاضر حتى نقارن بينهما

فى المرة الاولى كنت أشاهد ثغر جدة يموج بمختلف الاجناس من الناس وكان أهلها يفرحون ويخرجون ذرافات ووحدانا لملاقاة المحمل الشريف ويشنفون أسماعهم بنغمات الموسيقى ويمتعون أنظارهم بالاحتفال بوصوله وقيامه الى مكة المكرمة وفى ركبه العساكر يحيونه ويحفون به والآن قد حرمت هذه المظاهر لزعمهم ان المحمل ما هو إلا صنم كالاصنام البائدة وإن الطبل والزمر منكر يغضب الله تعالى

كل المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها يجعلون السفر الى الحج من الافراح التى يهنيء فيها بعضهم بعضا وكانوا يدخلون الى الحجاز وهم في فرح وهيام تكاد أن تطيش معه أحلامهم فيستفزهم هذا الى إظهار السرور وخصوصا عند عودتهم بكل الانواع المباحة

لما شرف سيدنا الانسان الكامل صلوات الله عليه إلى المدينة المنورة وقابله أهلها بالدفوف والانشاد اظهارا لسرورهم فلم يستنكر ذلك منهم

ثم استمع لما ترويه مولاتنا السيدة عائشة الصديقية اذ تقول (دخل علىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندى جاريتان من الانصار يضربان بدفين فاضطجع رسول الله على الفراش ودخل أبو بكر فقال (بمزمار فى بيت رسول الله) وكان عليه الصلاة والسلام متغشيا بثوبه فكشف عن وجهه الشريف وقال (دعها يا ابابكر فانها أيام عيد)

وكانت السيدة عائشة الصديقية ايضا تتفرج من شق الباب على قوم من الاحباش يلعبون (بالدبية) وهي واضعة خدها على كف بعلها العظيم ويقول لها (حسبك حسبك) ولكنه لم ينهها عن التفرج

فنستخلص مما توضح أنفا أن اظهار الشعور بالفرح وما اليه (من

طبل وزمر) ليس فيه حرج بل التضييق على الناس حتى ينزووا وينكمشوا هو بعينه المنكر والمحظور سيما وإن عظماء الصدر الاول وهم لاتزال ماثلة أمام أنظارهم انوار النبوة وتعاليمها المجيدة لم تأنف نفوسهم الزكية من اقامة الافراح واظهار المسرات

كانت الامم قديما تعالج المرضي فى مستشفياتها بالموسيقى وقد أخذت السلالة الحديثة عنهم هذه النظرية . وكذلك كانت الامم تولد الحماس في نفوس جندها بنغمات الموسيقى ولا تزال الامم المتحضرة تحذو هذه الفعال فلست أدري لماذا يحرم من هذه المزايا أمم الاسلام ودينها سهل لين حيث يقول ذو الخلق العظيم لمعاذ بن جبل وزميله وهو يوصيهما عند سفرهما الى اليمن بقوله الحكيم (يسرا ولا تعسرا وبشرا ولاتنفرا)

انظر الى تربية النشىء عند معاصرينا المتمدينين وهم يقوون عضلاتهم بالرياضة البدنية تحت نغمات الموسيقى حتى يشبوا نشطين فرحين وحتى لا يسأموا الحياة المضنية المملة

وما لنا نذهب بعيدا وهذا التاريخ ينبئنا عن مجلس الذكر الحكيم عند سيد الحكماء حين كان يقف عند حد من الكلام فى شؤون العلم الشريف ويقول (حمضونا) فيتكلم الاصحاب الاخيار فى قصص الامم الغابرة ويتناشدون اشعار العرب

نعم ان بعض المسلمين قد تورعوا عن الملاهي ولكن هؤلاء قوم تجردوا من حظ هذه الحياة وتبتلوا الى الله سبحانه وتعالى وانقطعوا اليه فاستخلصهم لعبادته وخصهم برحماته الصمدانية فهم أولياؤه وأصفياؤه وليسوا هم كل المسلمين بل الاسلام يأمرنا بأن نعمل لدنيانا كاننا نعيش ابدا يعني ان نقيم الصروح والمعاقل ونشيد القصور والمنازل وننشىء

الاساطيل والجحافل وتضرب بسهم وافر فى كل نوع من أنواع الحياة ولا نهمل فيها حتى لايدوسنا العدو باقدامه وأمامنا الحلال بين والحرام بين

ثم وهذا المحمل بحفله وموكبه كله دعاية بريئة الى الحج الشريف والحج هو زرع الحجاز وحصاده والحج أيضا هو دعوة سيدنا ابراهيم الخليل (ربنا اني اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون)

انه يتحتم على الحجاج الذين يقومون بالسيارة أن يقللوا من الامتعة التى يأخذونها معهم فكان معظمهم ليس معه إلا ربطة الفرش وخرج صغير وتعلق هذه الامتعة فى قوايم دروة السيارة (سقفها)

قيام السيارة

قامت السيارة اللوري على بركة الله تعالى ونحن بثياب الاحرام وكنت بفضل المولى عز وجل الشخص البارز فيها للسر الذى يودعه الخلاق العظيم فى النفوس اللاجئة اليه وهو سبحانه وتعالى الذى يوزع على كل نفس قسطها من هذا السر . وكنت أنشد لمن معى بكلمات التلبية وهم يرددونها وذلك فى أوقات متعددة أثناء السير وكنا نلبي اذا علونا مرتفعا أو هبطنا واديا أو لقينا ركبا كذلك ويلبي الانسان عقب كل فريضة وفى سائر بقاع الحرم رافعا بها صوته الا فى مسجد الجماعة خوف التشويش والمرأة (لا ترفع صوتها)

انطلقت بنا السيارة انطلاق القذيفة من فم البندقية وكنت أنظر الى

هذه الرواسي الشامخات على الجانبين وأتذكر يوم أن كنت أرى بين كل مسافة وأخرى حشدا من الجنود الترك يجتمع فى حصن لهم فوق قمم الجبال لحفظ الطريق من عبث العربان وعيثهم وكانت هذه مسائل صورية فقط لأن هؤلاء الاتراك لا يريدون أن يشتبكوا مع العرب فى خصومة تقض مضاجعهم بما يضعونه من أشواك الغدر والوقيعة بهم ولهذا عند ما كانوا يسمعون أصوات استغاثة يجعلون كأن فى آذانهم وقرا فلا يسمعون وعلى أعينهم غشاوة فلا يبصرون

والآن ترى هذا الطريق وهو خلو من أي جندي أو شرطي والحجاج والسابلة يسيرون بكل اطمئنان وهذا الامن الذى يمتد روافه على ربوع الحجاز يعد من مفاخر الحكم السعودي

كانت اللوري تتعطل فى الرمل لان الارض فى معظم الطريق رملية فكنا ننزل ونزحزحها من مكانها حتى تسير وما أحلاها من مناظر سارة وما أطيبه من عطل محبوب

وبالطريق نقط تسمى رأس القائم والرغامة وجرادة . ولقد مكثنا فى بحرة قليلا للاستراحة وشرب الشاي والقهوة وكنت أشترى (الكشرى) الارز بالعدس مطبوخا للتبرك و اشترى ايضا من الشربات الحلوة التى كان يعرضها البدو للبيع

وفى بحرة الرغاء هذه مسجد صغير يقال ان السيد الكامل بني أصوله منصرفه من غزوة الطائف سنة ثمان من الهجرة

وبعد بحرة نقطة حدة وبعدها الشميسى وبها مسجد صغير محـــل بيعة الرضوان

بيعـــة الرضوان

الـكاتب القدير هو الذى يجعل القلم في يده كريشة للمصور تصور الحقائق تلمسها الايدى وترمقها الاعين واضحة جلية . ومن لى بقلم جرىء يصف ما لهذه البيعة من اثر صالح وفضل عظيم وكان أحرى بنا إزاء هذا الفضل ان نكتب على مكانها بأحرف من نور (هذا محل الشجرة المباركة شجرة بيعة الرضوان التى بايع تحتها من جادوا بالنفس فى سبيل الرحمن)

(إن الذين يبايعونك انما يبـايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما) — قرآن كريم —

وسبب هذه البيعة أن صاحب دعوة التوحيد ارتأى أن يزور البيت العتيق معتمرا في السنة السادسة من الهجرة وكان مع قريش على حرب فلما علمت بمقدمه الشريف من المدينة المنورة أخذتها العزة بالاثم واجمعوا أمرهم على أن لا يدخلها عنوة أبدا حتى لا يكونوا مضغة فى أفواه العرب وحمية الجاهلية زينت فى رؤوسهم هذا العناد حتى وقف أمامه خالد بن الوليد على رأس جيش بعسفان ليصده عن البلد الحرام بغيا من عند أنفسهم وهو ابن بجدتها وفى الذروة العليا من مقام سادتها

ولما رأى الحـكيم الرشيد أن لا مناص من الحرب قال (اشيروا علي أيها الناس اتريدون أن نؤم البيت ومن صدنا عنه قاتلناه ؟) وهنا بدت ظاهرة مـن ظواهر افضليـة هذه الامة على باقى الامم حيث يرد عليه سيدنا المقداد بن الاسود بقوله (لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى (إذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون) ولكن اذهب انت وربك

فقاتلا انا معكم مقاتلون والله يارسول الله لو سرت بنا الى برك الغماد لسرنا معك ما بقي منا رجل) فتهلل وجهه الشريف بالبشر والسرور

واعقب هذا الفضل فضل آخر نكتبه بمداد الشكر لهذه النعم التى تفضل بها المنعم الكريم على هذه الامة الملحوظة بعنايته الصمدانية . وذلك أن سيد الاصفياء لما رأى وقوف جيش المشركين في طريقه قال (هل من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم) فسلك بهم أحد الصحابة طريقا وعرا ولما تجاوزوه الى أرض سهلة قال (قولوا نستغفر الله العظيم ونتوب اليه) فقالوها ثم قال (والله انها للحطة التى عرضت على بنى اسرائيل فلم يفعلوها) بل صاروا يتدللون ويتلكأون بطرا بالنعم التى يتقلبون فيها وقد قال الله تعالى عن هذه الحطة (وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين)

ولو استمعت الي حتى أبين لك حسن الانقياد وجميل الاخلاص وانكار الذات أمام الزعامة العظمى من قول عروة بن مسعود الثقفي عظيم القريتين الذي عنته قريش بقولها (لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) حيث يقول عندما عاد بعد اداء المفاوضات مع قيادة جيش الموحدين الميمون . لقد رأيت ما يصنع أصحاب محمد به إنه لا يتوضأ الا ابتدروا وضوءه ولا يسقط من شعره شيء الا اخذوه وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده ولا يحدون النظر اليه تعظيما له ثم قال يامعشر قريش انى جئت كسرى فى أيوانه وقيصر في ملكه والنجاشي فى عزه فما وجدت ملكا فى شعبه مثل محمد فى أصحابه

وهذه الآداب العالية قد اقتبسها هؤلاء الفضلاء من أداب الذي أدبه

ربه فأحسن تأديبه

وقد يتجلى أمامنا الاخلاص أيضا بكامل معانيه عندما توجه سيدنا عثمان بن عفان الى مفاوضة قريش وقد عرضوا عليه أن يطوف هو بالبيت والطواف كما لا يخفى ضربة لازب على كل داخل الى البلد الحرام ولكنه أبى ما دام رئيسه ممنوعا . ولما كانت القلوب تتناجى فتتعرف مكنونات أسرار بعضها فقد قال صفوة الرحمن إن عثمان لا يطوف ما دمنا ممنوعين

ثم انظر ايضا الى عطف الرئيس وحنانه حيث يقوم هؤلاء الالف واربعماية ذات من ذوات المؤمنين ويبايعون قائدهم العظيم ثم يضع هو يده اليمنى على اليسرى ليبايع عن عثمان وهو يقول (اللهم ان عثمان فى حاجتك وحاجة رسولك)

هلم بنا نجوس خلال هذا المعسكر الاسلامي المنير الذى خضعت له رقاب الورى لننظر فى أمر هؤلاء الرابضين فى رحالهم حيث تراهم ليوث الشرى يزأرون ويتحفزون للوثوب عند أي اشارة تصدر من القيادة العظمي فهم كما يصفهم القرآن الكريم (اشداء على الكفار) ثم أعد الكرة وأمعن النظر تراهم كما يقول القرآن أيضا (رحماء بينهم) لا فرق بين كبير وصغير وأمير وحقير وهم يعيشون عيش الزهد ويعرضون عن هذه الحياة الدنيا لانهماكهم فى تأييد كلمة التوحيد التى يجودون لاجلها بالمهج والارواح

فى عصرنا هذا يتباهي الافرنج بأنهم عريقون فى الديموقراطية ويفتخر البعض منهم بأن المساواة أدت بهم الى تبوأ العمال عندهم كراسى الحكم ولكن منذ ثلاثة عشر قرنا ونيف كنت ترى المساواة الصحيحة والاخاء الحقيقي . ترى علي بن أبي طالب وابا بكر الصديق وعمر بن الخطاب مع حظوتهم بالقرب من مقام زعامة الاسلام فانهم يتساوون مع بلال وعمار

وعامر بن فهيرة فى الحقوق أمام القانون السماوي وفضلا عن هذا فقد عين سيد الحكماء شابا ليس من خواص الاشراف وهو اسامة بن زيد ابن حارثة على رئاسة جيش فيه عظماء الصحابة مثل ابى بكر وعمر . فهو بهذا يعلمنا بأن مناصب الدولة يجب أن لا تكون وقفا على طبقة الارستقراطية بل يعين فى الحكم من يكون جديرا بالقيام باعبائه كائنا من كان

صلح الحديبية

وأخيرا تم صلح الحديبية وكتبت عنه شروط المعاهدة وهي تنحصر فى خمس مسائل

(١) الهدنة لمدة سنتين

(٢) من يأتي من قريش إلى المسلمين بغير إذن وليه يرد الى مكة

(٣) من يأتي من المسلمين إلى قريش لا يرد إلي المدينة

(٤) كلا الطرفين له تمام الحرية أن يتحالف مع من يريد

(٥) لا يدخل المسلمون مكة فى هذا العام بل يدخلون فى العام المقبل

وقد أغضبت هذه المعاهدة فريقا كبيرا من المؤمنين وكأني بهم وقد غفلوا عن بعد نظر الزعامة العظمى وحكمتها العالية والتوفيق الالهي الذى يلازم خطواتها المسددة حيث أن البند الثاني من المعاهدة اصبح شجى فى حلق قريش لانه لما اسلم ابو بصير واراد ان لايشق على خـــير الاوفياء ويذهب اليه وهو على عهد مع قريش بل ترا أى له انه يمكث بطريق القوافل الى الشام وانضم اليه ابو جندل بن سهيل بن عمر و مع نخبة من القوم حتى اجتمع منهم زهاء الثلثماية انسان فقطعوا طريق قريش وهم لابد لهم من الذهاب الى الشام للتجارة فناشدوا الآمر بصلة الرحم صلة الرحم فانجدهم وأمر فعاد اليه ابو جندل اما ابو بصير فقـد قضي نحبه راضيـا مرضيـا

وانصرف الذين كانوا حولهم من الاعراب وعلى هذا فقد لغى البند الثاني من تلقاء نفسه حتى كانت (الحديبية تعد من اعز فتوحات الاسلام) وكان مقام من حضرها من السادة الاجلاء كمقام اهل بدر الكرام

فهذا ملخص وجيز عن مسجد البيعة الذى نمر عليه ولا نعبأ بمركزه العالى الذى فاضت منه فيوضات المولى الكريم سبحانه وتعالى على هذه الامة

وفى اثناء سيرنا كان الهواء يهب من جهة الجنوب حارا ساخنا ويأتي بغبار أصفر يسد الانوف والعيون ولكن ما احلا النسيم الذى يهب في ارض الحبيب حتى ولو كان من لهيب

فى البلد الحرام

ظهرت اعلام مكة فكان القلب يرقص طربا من لذة القرب وسالت العبرات على الوجنات وما اهدأ وما اهنأ دموع الفرح بهذا اللقاء ولدى وصولنا اوقفت اللوري عند مخفر الشرطة واخذ اسمى مع أسم المطوف وتعداد الراكبين فى السيارة لاجل تحصيل (الكوشان) وهي الضريبة المقررة من الحكومة

كلمة عن العمال والجنود

قبل أن أحط رحالى ببلد الله الحرام لا بد ان القي كلمة هادئة عن كل المناظر التى انطبعت فى ذاكرتى بطابع الاعظام والاجلال من يوم أن تشرفت بالنزول إلى الارض المقدسة من شاطيء جدة الى البلد الامين .

كل هذه المناظر قد حلت من نفسي مكانا عليا من الاكبار والاعجاب حيث رأيت عمال المينا صغيرهم وكبيرهم وعمال الكمارك رئيسهم ومرؤوسهم والعساكر وضباطهم وكبار الشرطة وأتباعهم حتى وسواق السيارات ونقبائهم كلهم في جد ونشاط يؤدون واجباتهم بغير اعياء أو ملل . والاحسن من هذا والاكثر غبطة هو احتفاظهم بزيهم العربي الجميل (بالكوفية والعقال والقفطان والعباءة) الامر الذى جعلنى أدعو الله تعالى أن يسدد خطوات هذه الحكومة (الشرقية) ولا سيما انى أحفظ لها فى أعماق نفسى كثيرا من الحب والاحترام لانها قضت على الفوضى وقطعت دابر المفسدين

ولقد مررت على القشلاق الحميدي الذى كان مكتظا بفيالق الجيش العثماني فوجدته الآن خاويا على عروشه وسبحان من تفرد بالدوام والبقاء

دخلنا الى (جرول) وهي غربي مكة وباب الدخول اليها وعندها بئر ذى طوى التى اغتسل منها سيد الاصفياء لدى دخوله إلى مكة فى حجه المبارك

الشيخ محمود

وهذه الجهة مشهورة أيضا باسم (الشيخ محمود) نسبة الى الفيل الذى برك فى هذا المكان . وسببه ان ابرهة (وابرهة باللغة الحبشية معناها أبيض الوجه) وهو أحد كبار ملوك الحبشة قد شيد كنيسة له فاخرة وزخرفها وزينها بانواع الجواهر وأراد أن يحول الناس عن البيت الحرام ليحجوا اليها ولهذا صمم على هدم الكعبة المشرفة ثم سار بجنوده التى ملأت الفضاء وسدت منافذ الهواء ويصحبهم دواب النقل مع الخيول والافيال

ولدى وصوله الى أرض الحجاز نزل بقرب ذى المجاز (بين عرفة ومنى) ثم أرسل رسوله الى كبير قريش وزعيمها وشيخ البيت الحرام عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف يدعوه الى مقابلته فى معسكره وفى اثناء ذلك جاء رعاة ابل الشيخ عبد المطلب واخبروه بأن جنود ابرهة اغاروا على الابل واستاقوها الى ناحيتهم فلما وصل الى السرادق الفخم المعد لاقامة الملك وتقدم للدخول هابه الملك وأكرم نزله ونزل عن سريره وجلس معه على البساط حتى لا يعلوه ثم كلمه والترجمان يتوسط بينهما فى التفاهم فيسأله ما حاجتك فيقول حاجتي ان ترد الي ابلى فقال له الملك إننى اكبرتك اذ رأيتك ولكنك لما سألتنى الابل وتركت البيت الذى هو عزك وعز قومك سقطت من عينى فاجابه اننى رب الابل (اما البيت فله رب يحميه) عند ذلك رد اليه ابله وودعه باحسن مما لاقاه

ثم سار ابرهة بجنوده وكبير الافيال الذى هو (الفيل الابيض) يتقدم الجميع ولما اقترب من البيت المطهر أقبل عليه نفيل بن حبيب الخثعمي من أشراف قريش وعرك أذنه وقال له (أبرك محمود وارجع راشدا من حيث جئت فانك فى بلد الله الحرام) ثم أرسل اذنه فبرك مكانه وهذا هو سبب تسمية الفيل (باسم الشيخ محمود) حتى سمي المكان بهذا الاسم

وصار القوم يضربون الفيل وينخسونه بالكلاليب فيقوم ولكنه يتجه لغير جهة الحرم ثم أرسل الله تعالى عليهم الطير الابابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول

ويقول العلم الحديث أن البلاء الذى نزل بهم هو (ميكروبات الطاعون) والقرآن الكريم يعبر عنها بالطير الابابيل ليقربها الى افهامنا وقد ورد

فى (حياة الحيوان) أن الطير الابابيـــل تعشش وتفرخ بين السماء والارض وهذا القول ينطبق تمام الانطباق على تعريف جراثيم الاوباء التى تسكن فى الجو وهي تفقس ملايين الملايين من فراخها فتتسلط على الابدان التى يؤذن لها بالتسلط عليها (صنع الله الذى اتقن كل شيء)

وكانت قريش تتحصن فى رؤوس الجبال حيث لا طاقة لهم بأبرهة وجنوده ولما اهلك الله هؤلاء الطغاة اعتزت قريش بقوة الله تعالى وهابها العرب وقد اعتبروا أن أهل مكة جميعا هم أهل الله تعالى.

وكانت أم المؤمنين السيدة الجليلة عائشة الصديقية تحكى بأنها رأت فى صغرها فى مكة المكرمة سائس الفيل وقائده أعميين مقعدين يتكففان الناس

وصار العرب يؤرخون من عام الفيل هذا الى أن جاء الاسلام فجعل تاريخه من ابتداء الهجرة الشريفة النبوية التى هي أعظم حادث حدث فى التاريخ

نجاة اهل الفترة

من سياق هذه القصة تتبين لنا عقيدة شيخ الحرم الوقور فى مقام الالوهية العظيم حيث أنه يقول (ان للبيت ربا يحميه) فهو يعتقد في وجود الله سبحانه وتعالى وفى قدرته عز شأنه على حماية البيت وهو على كل شيء قدير. وكان يقول مع خواص العرب عن عبادة الاصنام (وما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى)

ولهذا يقول فريق من علماء المسلمين بان أهل الفترة ناجون من العذاب وأيضا لقوله تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وهم لم تصلهم الدعوة الى التوحيد بعد

كما وانه يتضح للقاريء ايضا كيف كان مقام الشيخ الموقر عبد المطلب بن هاشم من الشرف والسؤدد وهو قد ورث الامارة كابرا عن كابر ولا غرو فانه سليل الاصلاب الشريفة والارحام الطاهرة لان حفيده سيد الانبياء والانبياء لا يرسلون الا فى احساب قومهم

الحاج طاهر

وقد سبق أن ارسل حسن افندي كتوعة رسالة برقية الى الحاج طاهر التونسى وكيله بمكة المكرمة ولدى وصولنا الى (جرول) وجدناه فى انتظارنا فقابلنا بترحاب وقبول وهو فصيح اللسان يعطيك الشهد من معسول قوله حيث يقول لنا انى طوع بنانكم وخادم اقدامكم. يالله . كيف ذلك ياحاج طاهر ؟ وكيف تكون خادم اقدامنا ونحن ما هجرنا أوطاننا ولا تركنا عيالنا وأموالنا الا لنهاجر الى الله ورسوله وهذه الهجرة لصالحكم حيث اننا أخذنا معنا من الجنيهات الذهب الانجليزى مايفوق المائة عدا ومن الورق النقدي ما تعد عشراته على الاصابع هذا عدا ثمن الحوائج التى استصحبناها معنا وعدا سبعة وعشرين جنيها مصريا مصاريف سفرتنا فى البر والبحر إلى جدة ذهابا وعودة . وكل هذه المبالغ ننفقها فى سبيلكم فمن هو الخادم إذن ؟

كما وأن التاريخ يذكر أنه عندما استعمل سيد الفاتحين عتاب بن اسيد واليا من قبله على مكة المكرمة قال له (ياعتاب أتدرى على من استعملتك ؟ استعملتك على أهل الله) ونحن خدام أهل مكة الذين هم أهل الله تعالى

فى طريق البيت

هناك فى هذه الجهة (جرول) أباريق معدة للوضوء (بالاجرة طبعا)

فتوضأنا وصلينا العصر قبل فواته بمسجد انشىء حديثا هناك ثم استأجر الحاج طاهر عربة صندوق حملت الامتعة وركبت فيها صاحبتي ومعها الحاجة القنائية أما نحن فسرنا على الاقدام ملبين مكبرين مهللين وكنا نتخيل أننا لا نسير على الارض بل كان شعورنا بالفرح يرفعنا حتى نكاد نطير لانها الارض المقدسة التى تشرفت بسيد الكائنات وهذا الغبار الذى يتصاعد منها لهوا طيب رائحة من المسك فى شمى وأحلى من الشهد فى ذوقى لانه التراب الطاهر الذى أينع فيه زهر النبوة العالية الغالية وخطر عليه أفضل مخلوق وأكرم بشير ونذير

قطعنا شارع الباب وجزءا من شارع الشبيكة وبعد أن جاوزنا الدار التى تقطن بها البعثة الطبية المصرية بقليل حطينا رحالنا بدار وكيل المطوف وقد نصح لنا بأن نستريح و نتعشى ثم نقوم بالواجب المفروض للعمرة من طواف وسعي

البعثة الطبية المصرية

ما أحسن ما أرى بلادي العزيزة وهي تقوم بقسط وافر من البر بهذا البلد الامين وكم كنت قرير العين عندما رأيت لوحة على باب دار رحبة فسيحة مكتوب عليها بالقلم العريض (البعثة الطبية المصرية)

هذه البعثة التى أخذت دورا هاما بين حكومتنا المصرية والحكومة الحجازية وكانت هذه الحكومة تنظر الى بعثتنا نظرها إلى شىء يخدش ناموسها أو يؤثر على سمعة استقلالها والحال أننا في مصر نتساهل مع المستوصفات والمستشفيات التى تشيد دورها بارضنا لعلمنا بانها تؤدي خدمات انسانية بحتة . نعم أنه يوجد بعثات تستتر وراء هذا الاسم ولكنها

تنطوى على أغراض سياسية أو تبشيرية ومن واجب الحكومات الرشيدة أن تفطن لاعمالهم ولا تتركهم ينشبون أظفارهم فى مرافق ومعالم بلادها

ولا يفوتني هنا التنويه بأن هذه البعثة الطبية المصرية قد قامت خير قيام بواجبها الانساني وكانت تعتنى بالمرضى الذين يؤمون دارها من كل الجنسيات وكانت تشرح الداء وتصف الدواء بكل همة واعتناء حتى استحقت من الجميع كل ثناء واطراء وحتى التاريخ نفسه يسجل لها بين طياته صحيفة نضرة بيضاء

فى دار المطوف

أن دور مكة ذات طبقات متعددة وهي على طرازها الشرقي الجميل ابنيتها متوسطة ولا تحتوي على شيء من الادوات الصحية بدورة المياه فالمراحيض عادية والمياه تجلب اليها بواسطة السقايين

والدار التى نزلنا بها ذات طبقتين فالطبقة السفلى منها يسكنها حجاج آخرون مع مطوفين اخر أما نحن فقد صعدنا الى الدور العلوي ودخلنا الى غرفة مفروشة بالطنافس الفارسية . وكنت أود أن اقول

الطنافس المصرية

لان صناعة السجاجيد فى مصر أخذت فى دور التقدم وهى تتطلع إلى المصريين رجاء أن يحوطوها بشيء من عنايتهم حيث أن كل مشروع يحتاج فى حداثة عهده الى وسائل تحميه وإلا تلاشى قبل أن يدرج من مهده وأبلغ وسائل الحماية أثرا هو عناية الجمهور وأقباله حتى تتقدم الصناعات وتصبح البلاد فى حالة طيبة من اليسر المالى

وما دام الحديث قد جرنا الى ذكر المال فما يكون للقلم أن يترك المجال حتى يفي المقام حقه من المقال لانه المال . والمال كما لا يخفى هو قوام الحياة بل هو كل شيء في هذا العالم ولقد عثرت على حكمة تهدينا الى طريقة تدبيره وترشدنا الى الابتعاد عن تبذيره وهذه هي

حكمة شاعر العصر

يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وهذا بلبل مصر الصداح وصوتها الرخيم العذب يسمعنا من آيات بيانه ما يزري بقول من قال (ما ترك الاوائل قولا لقائل) فشاعرنا العبقري أمير الشعراء قد ترك له الاولون فراغا ملأه دررا ولآلىء وحكما غوالى اذ يقول

وانما الامم الاخلاق ما بقيت

فان هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

انني أعجب بهذه القريحة الوقادة التي مثلت لنا الحياة الخالدة في بيت من الجمان المنظوم يجدر بنا أن نجعله نبراسا نستضيء به عندما تدلهم خطوب الاهواء

لعمرك أن الاخلاق هي الدعامة القوية التي ترتكز عليها حياة الامم حياة طيبة

فالاخلاق هي التي تمنع هؤلاء الذين يسكبون جامات الراح في احشائهم نظير أن يسكبوا للاغريق ما في جيوبهم

والاخلاق هي التي تمنع أسراء الشهوات أن يتسكعوا في الطرقات حتى يقعوا في حبائل أمثالهم المتسكعات ويحشون جيوبهن من المال الذي

تحتاج له الاسرة ويصلح به شأن العيال .

والاخلاق هي التى تهيب بقعداء المقاهى أن ينفضوا عن كواهلهم غبار الكسل ويطرقوا بكل قبول أبواب العمل والعمل هو البركة وهو الكنز الذي لا ينضب معينه والعز الذى لا يبقى معه ذل أو شقاء

والاخلاق هي التى تجعل البليد نشطا والجبان مقداما وهي أيضا تمنع الاشحاء أن يطمروا مال الامة فى باطن الارض ولا يخرجونه لنفع الامه أو على الاقل يخرجون ربع عشره فى كل عام حتى يبل ريق المعوزين

وبالجملة ان الاخلاق هي التى توفر لنا المال ناميا زكيا نتمكن به ان نرقى بالاحوال الاقتصادية رقيا يجعلنا فى مصاف الامم التى كنا نسبقها باشواط بعيدة فى مضمار الحضارة والعمران

ومتى تقدمنا فى الاقتصاد وتجمع لدينا المال الكافي نقوى أنفسنا بكل ما فى وسعنا لان التسليح القوي هو مفتاح باب الامن وقاعدة سلم السلام (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل) عند ذلك يهاب العدو والصديق جانبنا وننال أمانينا القومية والسياسية بغير نصب أو صخب

والخلاصة أن الاخلاق هى باب السعد الموصل الى حسن الاقتصاد والاقتصاد هو الطريق الموصل الى الاماني القومية وهذه المسائل الثلاث يجب ان تتمسك بها كل امة رشيدة ولا تهمل فى احداها لتظفر بالعز ونيل المني

فى دار المطوف

ولنرجع الى دار المطوف

فانه موضوع فى الغرفة على الطنافس بعض المساند وهي تتكيء على (مصطبة المشربية) التى لاتخلو منها دار فى مكة المكرمة وخارج هذه الغرفة غرفة

اخرى مفروشة بالخسف الخوص فقط وقد أفهمنا الحاج طاهر بان هاتين الغرفتين معدتان لنزولى وصاحبتى وادخل الستة الباقين فى غرفة صغيرة بجوارنا

وليمة المطوف

وتقدمت لنا وليمة المطوف وهي مائدة تحوى صحافها القيشاني الكثير من الطعام الشهي مثل الحساء بالدجاج والكباب والكفتة واللحم والخضارات المطبوخة باللحم وبعض التوابل مثل السلاطة وما اليها الامر الذي اكد عندى الخبر القائل باعتناء المكيين فى مأكلهم وتفننهم فى تعدد الاطعمة

كذلك وتقدمت مائدة اخرى الى الستة الباقين تشبه مائدتنا تماما فاكلنا وحمدنا الله تعالى

الملابس فى مكة

كذلك وللمكيين ولع خاص بالتأنق في الملبس حيث ترى الرجال يوشون الملابس بالتطريز حتى تجد السروال مشغولا (بالروكامو) على حافة رجله و يلبسون الكوفيات المطرزة ايضا ولا يأنفون ان تكون الجبة أو الجاكتة من الوان زاهية جدا وهم يتعممون بكوفيات ملونة ومطرزة فوق طاقية بيضاء من البفتة

وأهل الطبقة العليا يتعممون فوق طاقية مكوية مجدولة وهي معروفة لدينا (بالعمامة المكية)

اما الملابس الرسمية تقريبا فى البلد فهي الملابس النجدية (بالكوفية والعقال والعباءة والقفطان)

أما النساء فان ملابسهن متقنة ومكوية وهن يلبسن الثياب البيضاء في العزاء والمآتم

الى البيت المطهر

بعد ما فرغنا من الاكل جددت الوضوء وقمنا جميعا نقصد البيت المطهر وأمامنا الحاج طاهر يلبي فنرد عليه ويدعو فنكرر دعاءه الى أن أكرم الله وفادتنا وقربنا إلى أعتابه القدسية ودخلنا من باب العمرة (أحد أبواب المسجد الحرام) فتلونا قوله تعالى

(رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا)

ولدى تشرفنا بالحرم الشريف صلينا العشاء مؤتمين بالشيخ محمد سليمان

امام العتبة المقدسة

هذا بيت ربنا ماثل أمامنا . سبحان ربنا الكبير المتعال. لماذا لا يكون بيت ربنا من زخرف ولبناته من لجين ومن نضار وترصع حوائطه بنفائس الاحجار وترابه الند والعنبر وحصباؤه اللؤلؤ والمرجان

سبحانك ربنا وتعاليت ياذا الجلال والاكرام . لماذا تضع بيتك الكريم في هذه الارض الجرداء بين هذه الجبال القاحلة ؟ ولم لم تضعه بين جنات وعيون ومقام كريم مثل هضاب سويسرا الخصبة أو ربوع لبنان الجميلة أو في بقعة من أخصب أرضك وتفجر الانهار خلالها تفجيرا حتى تنبت الزرع والنخيل والاعناب ؟

وكأني بلسان العزة الصمدانية يجلي لنا الحقيقة اذ يقول إنني أبعدته

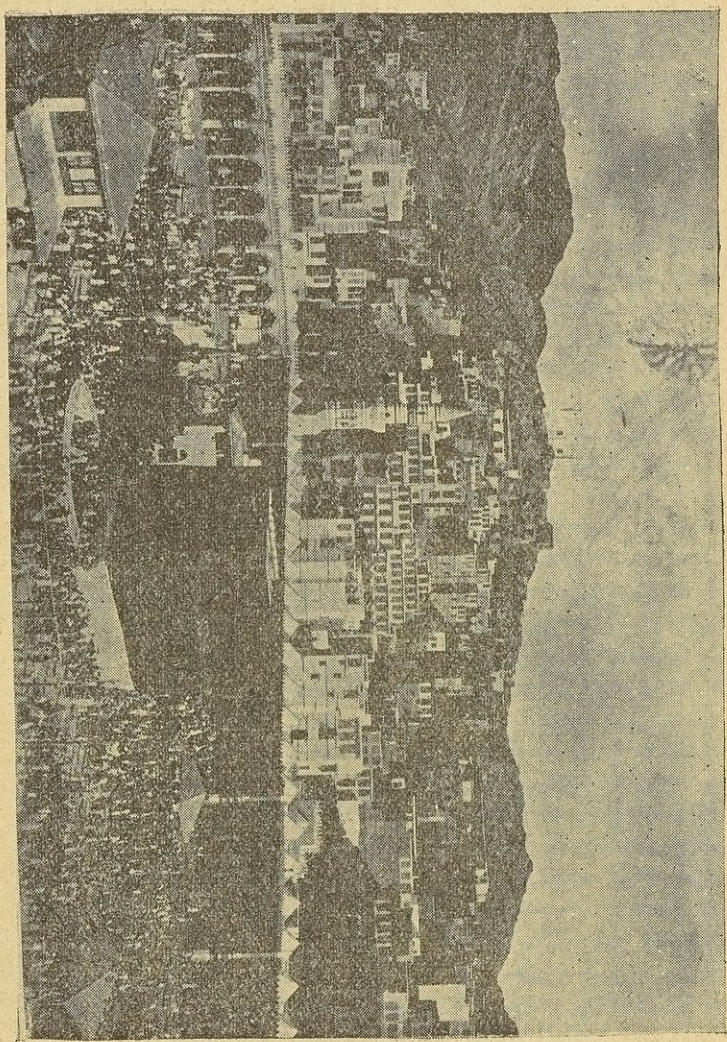

الكعبة المشرفة بالحرم الشريف

عن العمران والمدنية لاخرج منه انسانا كاملا هو صفوتي من خلقي اختصه برسـالاتي و بكلامي والبرهان الحسي على أنه ما ينطق عن الهـوى ولا يتكلم من عندياته أنه نشأ فى هذه البقعة القفرة بين هذه الامة الامية (إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى)

كذلك وجعلته بعيدا عن العمران حتى لا يشغل القاصد إلى بيتى شيء من اللهو ومن الرياضة بل انه يأتى الي متجردا من ذاتيته ليشاهد بروحانيته ملكوت السموات والارض

المران والعلم

أين ذهب هذا العلم الذى تعلمته فى مناسك الحج وأين ذهب المجهود الذى بذلته فى المطالعة حتى احتاج الى دليل يرشدني عن الطواف

وهنا تذكرت حكاية أحد السادة العلماء عندما أم المسجد الحرام وصلى ركعتين تحية المسجد فقال له غلام من أهل مكة (إن تحية المسجد هنا الطواف)

كذلك وتذكرت محاورة شاب مكي مع أحد السادة العلماء أيضا وهو يرى من نفسه الارتياح لغزارة مادته فى العلم ويود الشاب أن يتغلب على الاستاذ فى الجدل فقرأ أمامه (إن الله وملائكته يصلون على النبي) فتعجل الشيخ وقال اللهم صل وسلم عليه فقال له الشـاب انك لست الله ولا من الملائكة فلماذا لا تصبر حتى اتم الآية (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما).؟

سبحان الرزاق الكريم. إذا كنا لا نحتاج إلى دليل فمن أين تأكل هذه الجيوش الجرارة وهي تتعيش من هـذه المهنة مهنة المرشـد لاداء

اركان الحج

وهؤلاء المطوفون فى مكة مع الحجاج أشبه بالتراجمة فى مصر مع السائحين ولكن اولئك أكثر نفرا وأعز جندا

امام الحجر الاسود

صفنا الحاج طاهر امام الحجر الاسود وهنا تذكرت قول بعضهم انه يمين الله فى الارض وكأننا نعاهد الله تعالى بايماننا وتذكرت ايضا قول سيدنا عمر وهو يشير اليه (انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلك ما قبلتك) فهو ينبه الناس وهم حديثو عهد بالوثنية ان عبادة الاحجار قد فات زمانها اما هذا الحجر الاسود فأنه رمز من الرموز المعنوية وانه ايضا يأتي يوم القيامة فيشهد لمن استلمه وانه وضع ليكون علامة لابتداء الطواف

قتل الخراصون

الذين يقولون ان الحج فيه شيء من الوثنية وقد أقره الاسلام تأنيسا للعرب وموافقة لفعلهم حتى يتألفوا الاسلام

يقول الله تعالى فى كتابه العزيز (لكل امة جعلنا منسكا هم ناسكوه فلا ينازعنك فى الامر وادع الى ربك انك لعلى هدى مستقيم) وقد جاء الاسلام مؤيدا لملة ابراهيم الخليل فلما امر عليه السلام ببناء البيت المطهر كان ذلك قبل العرب وكلف الله سبحانه وتعالى الناس بالحج اليه فتملكته جرهم ثم خزاعة الى أن وصل الى قريش ولما جاء الاسلام صار يطهر البيت المشرف من الادران التى الصقها به الابليس البشري (عمرو بن لحي) وهي الاوثان وما

اليها من انصاب وازلام والذى بقي بعدهذا كلها امور معنوية تشير الى معاني غاية فى الحكمة والهداية وسأتكلم عن الحكمة فى المناسك عند الكلام على كل منهاما يدحض مفتريات هؤلاء المتعنتين

مزايا الحج

كما وان الحج فيه مزايا لا يستهان بها وفوائد جمة لعامة المسلمين

منها أن الحج كمؤتمر عام يجتمع فيه شعوب الاسلام للتفاهم فيما ينفع الاسلام كمؤتمر لاهاي الذى يحكم اليه الافرنج فيما يحدث من الخلاف بينهم أو كعصبة الامم التى تنضم اليها شعوب أوروبا وبعض شعوب آسيا

وهو يذكر الانسان أيضا بأن مصيره الى القبر لان لباس الاحرام كهيئة الاكفان والقبر أما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار فلينظر الانسان الى اي قبر يكون مصيره

وهو أيضا يذكر الناس بالبعث والنشور يوم يقوم الناس لرب العالمين - يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله

كسوة البيت

ابتهجت النفس وقرت العين بمرآى الكعبة الوسيم فقلنا (اللهم أنت السلام ومنك السلام حينا ربنا بالسلام اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما ومهابة وزد من حجه أو اعتمره تكريما وتشريفا وبرا

نظرت إلى الكعبة المشرفة فاذا عليها ستر كالذى كانت تهديه لها مصر فارتسمت أمامى تلك الصفحات من التاريخ التى تصلب فيها عود الوهابيين حتى وقفت أمامهم مصر وقفة الحانق الذي يغضب لمقابلة حسن

الصنيع بضده لان مصر التي هي أحسن بلاد الله تودداً ووفاء لاهل المدينتين المقدستين والحرمين الشريفين كانت تتفق بسخاء على هذه الكسوة الشريفة والكساوي الاخرى لمقام سيدنا ابراهيم وغيره. هذا عدا الهبات والتبرعات لعائلات كثيرة من الحجازيين حسب نص وقفيات الحرمين الشريفين التي أرصدها الخيرون من المصريين

ولما وجدت نفسها أمام هذه الصلابة التي لا مبرر لها اضطرت لان تقبض يدها حتى تهب رياح الرشاد فتزيح وخامة هذا العناد

نعم انه قد تسنى للملك السعودي العادل أن ينشيء مصنعا يخرج منه الكسوة الشريفة كل عام

المشاريع المفيدة

ولكن ياحبذا لو رفعت مصر عن كاهله نفقة هذه الكسوة ويصرفها هو في وجوه أخرى مفيدة لبلد الله الحرام كرصف الشوارع وتركيب أنابيب المياه لتوصيلها الى المنازل وغير ذلك من التحسينات التي يتطلبها الرقي في العمران اليوم

ومتى توفر لديه المال الكافي يمكنه أن ينشيء سكة حديدية من جدة الى مكة وطريقها ممهد لا يحتاج الا الى مد القضبان

كذلك وأمامه مشروع ردم مرفأ جدة حتى يصل الرصيف الى الغاطس (الماء الغزير) فترسوا عليه السفن ويسهل الشحن والتفريغ

يمكن حسم الخلاف

ثم واذا كانت الحكومة السعودية ترى ان نفقة مصر على الحجاز فيه

حط من كرامتها فان هـذا الزعم يدحضه الواقع لان الـكعبة المشرفة التى يتوجـه اليها مسلمو الارض قاطبة ليست ملـكا للحجازيين أو النجديين فحسب بل لـكل المسلمين أن ينظروا فى شأنها ويعملوا لصالحها وأظن أن الملك السعودي الكريم قد تنبه لهذه النظرية فعقد مؤتمره الشهير الذى دعى اليه أمم الاسلام للتشاور فى شأن الحرمين الشريفين

وما اخال اسباب الخلاف بين مصر والحجاز الا ويمكـن التغلب عليها والرجوع فيها الى حكم الله تعالى بغير مغالاة أو تعصب للرأي

ولما علمت أخيرا بأن الحكومة السعودية تود أن تنزل على فتوى علماء المسلمين فى مصر بخصوص المحمل الشريف تفاءلت خيرا بان قنـاة الوهابيين أوشكت ان تلين

فى الطواف

صار يلقننا الحاج طاهر نية الطواف بأن نقول. نويت . أن اطوف. بالبيت العتيق . طواف العمرة . سبعة اشواط . لله تعـالى . بسم الله الله اكبر . ونشير بيدنا الى الحجر الاسود

ثم ابتدأنا فى الطواف بان جعلنا البيت عن يسارنا وكـنا ننقـاد للحاج طاهر كما ينقاد الصبي الى معلمه حتى اتممناها سبعا مع دعوات كان يلقنها لنا ايضا وكنا نرمل فى الثلاثة أشواط الاول مع الاضطباع

وكانت يدى فى يد صاحبتى (والمرأة لا ترمل فى الطواف ولا تهرول فى السعي)

وسبب هذا الرمل انه لما جاء أفضل الخلق الى البيت المطهر معتمرا كنص معاهدة صلح الحديبية قال المشركون (انكم سترون اصحاب محمد

فى الاضطباع

وقد انهكتهم حمى يثرب) فلهذا عندما أراد الطواف اخرج ذراعه الشريف الايمن من الرداء ووضع اطرافه على كتفه الايسر (وهذا هو الاضطباع) وفعل أصحابه مثله ثم أمرهم بالرمل (وهو الجري القليل) في الثلاثة أشواط الاول ولم يكمل باقي الاشواط استبقاء لعافيتهم حتى صار المشركون يعجبون بفتوتهم وقوتهم ويقولون لبعضهم انظروا لمن تقولون ان الحمى انهكتهم وهم ينفرون كما ينفر الظباء

والحكمة من اتباعنا لسنة الرمل هذه أن الشرع الشريف يحثنا على أن لا يرى منا اعداؤنا الا القوة والفتوة واننا لا نستكين الى العدو ولا نركن إليه لان العدو لا يصير حبيبا يوما ما وفي الوقت نفسه ينبهنا بان الجنس النشيط شأنه دائما الرجولة والبطولة الممثلة في هذا الرمل

الحكمة من الطواف

اننا نعتبر هذا البيت المشرف كأنه بيت الملك ونحن نلتمس المدد والبركة من المالك لنواصي الخلق اجمعين فنطوف حوله حتى تفتح مغاليقه المعنوية ونحظى بالوصول الى حظيرة القدس فيتجلى علينا المنعم الكريم بما هو اهل له من المن والعطاء

وأيضا اننا نطوف به كما تطوف به الملائكة ولنتشبه بالملائكة ايضا وهم يطوفون ببيت العزة في السماء

وبما ان هذا الطواف قد اختص به البيت العتيق المطهر دون سواه فاني الفت نظر اخواننا المسلمين لان يتركوا الطواف حول اضرحة السادة الاولياء

ما بعد الطواف

وبعد الطواف صلى كل منا ركعتين سنة الطواف عند مقام ابراهيم الذى ذكر فى القرآن الكريم (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى)

ثم تبركنا بحجر اسماعيل ولزمنا الملتزم بجوار باب الكعبة المشرفة و دعونا الله تعالى عنده بما شاء ان ندعوه به

وبجوار الملتزم قطعة منخفضة عن الارض عمقها نحو الثلاثين سنتى متر وعرضها متر ونصف تقريبا وطولها متر ان يقال ان سيدنا ابراهيم عليه السلام كان يعجن فيها ملاط (مونة) البناء ولذلك يسميها الناس (المعجنة)

(وأذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم . ربنا وأجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك و ارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم. ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم اياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم) (قرآن كريم)

ماء زمزم

ثم شربنا من ماء زمزم وتضلعنا منه. وهذه زمزم التى كان خير المتوكلين يتضلع منها فيرتوى ويستقى منها فتغنيه عن الطعام حتى كان يقول (زمزم لما شربت له)

وهذه زمزم التى يذكرها كل فرد من افراد المسلمين فى اليوم بضع مرات و ذلك انه عندما يرى احدهم الآخر يتوضأ يقول له (من ماء زمزم)

ولما كان لزمزم هذه صفحات قيمة فى سجل التاريخ فلنأت هنا بلمحة منه اذا اراد الله سبحانه وتعالى امرا هيأ اسبابه فان السيدة سارة الخليلية لما

استمر معها العقم اشارت على سيدنا الخليل عليه السلام بان يتزوج من وصيفتها هاجر (المصرية) ولما نفذ رغبتها حملت منه ثم وضعت غلاما سويا هو سيدنا اسماعيل ابو العرب ـ وهذا هو سبب القول المأثور (اذا فتحتم مصر فاستوصوا باهلها خيرا فان لكم بها نسبا وصهرا) فالنسب هي السيدة هاجر والصهر هي السيدة مارية القبطية ام الطفل المحبوب سيدنا ابراهيم ابن سيدنا ومولانا حبيب القلوب

ولما وضعت السيدة هاجر حملها اتقدت نيران الغيرة في قلب السيدة سارة فحتمت على بعلها الكريم ان يبعدها وطفلها فى أحدى الانحاء النائية فامره الله تعالى ان يذهب بها الى مكان البيت هذا وقد اعد لها ركوة فيها ماء ومز ودافيه بعض الزاد ثم انظر الى البصائر النيرة التى يتصل نورها بالنور اللدني فهي دائما تركن الى التسليم وترتاح اليه وهي دائما ترضى بما يرضيه سبحانه وتعالى حيث تقول له السيدة هاجر عندما تركها وطفلها فى هذه المهمه القفر وولى عنهما (آلله امرك بهذا ؟ قال نعم . قالت اذن لا يضيعنا) فلما نفد كل مامعها من زاد وماء واقترب الطفل الكريم من ابواب الابدية نظر اليهما مولاهما بعين رحمته وانبع لهما من فيض كرمه عين زمزم هذه المباركة

وكان العرب القاطنون على بعد من هذا المكان يرون الطير تحط عليه والطير عادة لا تنزل الا على ماء فارسلوا رائدهم واكتشف الماء فجاء القحطانيون واتفقوا مع السيدة هاجر ان يمكثوا عندها وان يقوموا بكل مايلزمهما من انواع الحياة فرضيت بجوارهم ثم ترعرع سيدنا اسماعيل وساد القوم بما اوتي من العلم ومن النبوة وتوارث بنوه ولاية البيت بعدما بناه هو وابوه الكريم

ولما وصل امر ولاية البيت الى جرهم واستخفوا بحرمته وراى آخر ملوكهم مضاض بن عمرو ان النصيحة لا تنبت فى الارض الجرز طمر غزالتين

من ذهب فى زمزم وردمها و استمرت مطمومة زمن خزاعة وقريش نحو الخمسة قرون

الى ان اراد الله سبحانه وتعالى ان يظهر زمزم تمهيدا لظهور انوار النبوة العظمى أمر الشيخ عبد المطلب فى المنام بحفرها واراه الهاتف مكانها فازدادت قريش بها عزا ورفعة

فى المسعى

خرجنا من باب الصفا ملبين مهللين مكبرين حتى وصلنا الى اسفل الصفا وهو ابتداء السعي

(إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم) - قرآن كريم -

انه ليخيل الي انني اشاهد اكمل الخلق وهو يريد ان يسعى فيمنعه الزحام وكان من رحمته ورأفته (كما سماه مولاه بالمؤمنين رؤوف رحيم) ان لا يضرب الناس بين يديه ليفسحوا له الطريق فيمتطي العضباء والناس يتزاحمون للتمتع بمحياه الشريفة حيث خرج الجميع حتى المخدرات من خباءهن ليشاهدوا نور النبوة و الطلعة البهية

ثم تخيلت ايضا وقوف ابى عبد الرحمن عبد الله بن مسعود وهو يقول للناس (والله العظيم ان من انزل عليه آيات الذكر الحكيم كان يقف هنا مبتدئا بالسعي)

اتجهنا للبيت المشرف وكبرنا ونوينا السعي ثم ابتدأنا به ومعي صاحبي حتى وصلنا الى المروة وقد احتسب هذا شوطا ثم عدنا من المروة الى الصفا

احتسب شوطا آخر وهكذا حتى اتممناها سبعا وكنا نهرول بين العلمين الاخضرين فى كل شوط منها وكان الحاج طاهر يلقننا الدعوات الصالحات اثناء الاشواط كلها

ثم قصرت لصاحبى بأن قصصت لها قليلا من شعرها ثم قصرت لنفسى ايضا وجلسنا نستريح فى انتظار اصحابنا الذين يحلقون عند الحلاق

الحكمة من السعى

جلست افكر ثم افكر مليا فى هذه المظاهر الجليلة التى ليس فيها تزويق ولا تنميق تذكرت الحكمة من السعي وهي لاجل ان نقوم بشكر الاله عزوجل على نعمته الكبرى بان من على السيدة هاجر فانقذها وطفلها العظيم من هلاك الظمأ وانبع لها من فيض احسانه ماء زمزم حتى يخرج من نسله رحمة العالمين لينقذ العباد من مهلكات الفساد

وهنا أيضا حكمة جليلة لا تخفي على الفطن اللبيب وهي ان هذه السيدة وهي ضعيفة لتركيبها النسوي لم تبلغ مناها الا بعد سعيها الحثيث بحثا وراء الماء

وكذلك يقول لنا السعي بلسان فصيح انكم لا تبلغون مناكم ولا تنقاد لكم امالكم الا بالسعي فاسعوا الى الامام والى الامام دائما حتى تكونوا سادة الامم والسعي هو الجسر الموصل الى النجاح والفلاح

والى هنا تمت اعمال العمرة .هذا والمحرم لا يقتل الصيد ولا يرشد اليه حتى ولو بالاشارة ولا يقرب النساء ولا الطيب ولا يحلق شعره او يقصه أو يقلم أظافره وغير ذلك مما هو مذكور فى كتب الفقه

والتعب ايضا رحمة

رجعنا الى المنزل وكان يباح لى ان اتحلل والبس ثيابي الا ان التعب

اعياني فاستسلمت الى الرقاد

انني تعبت وكان موجودا بجوار المسعى الحمالون التكارنة ومعهم سررهم ليحملوا الذين يكلون عن السعي ويوجد ايضا بعض الحمير للركوب ولكنني اردت ان اتمه بنفسي لنحصل على اكبر نصيب فى الثواب

وما يكون لى ان اذكر شيأ عن هذا التعب الا انى اعتقد انه رحمة لنا اذ لولا هذه المتاعب لتفتت الكبد وتمزقت المرارة من شدة الفرح بهذا اللقاء العظيم

انظر الى اثار رحمة العزيز الغفار وارجع البصر الى هذه الآيات الدالة على وحدانية الله تعالى وقدرته حيث انني لو تعرضت الى الهواء فى اي جزء من جسمي لمسني السوء ومرضت ولكنني خلعت ملابسي ولبست ثياب الاحرام وهي ليست محكمة على البدن ومع هذا فانني ظلت سليما معافى والحمد لله رب العالمين

اول جمعة والسورة

اصبحنا الجمعة ٢٢ القعدة ١٠ ابريل فتهيأنا للصلاة ولما تشرفنا بالدخول الى الحرم الشريف لم اجد مقرئا يقرأ سورة الكهف كما هو الحال عندنا وهم يقولون ان السلف الصالح ماكان يقرؤها

كان سيدنا ابو بكر الصديق يعمل أشياء فى خلافته لم يعملها سلفه العظيم ويقول انى افحص الشيء فى نفسي فاذا وجدت له ارتياحا وانشراحا فى صدري اقوم بتنفاذه وقس على هذا ما يفعله الخلفاء الراشدون ومن بعدهم

الصوت الحسن ينبه الاعصاب الفاترة وينعش الاحساس والشعور

فترتاح اليه النفس وتأنس له ولا سيما اذا جاء هـذا الصوت الحسن مع الحكمة التى تضمنتها آيات الذكر الحكيم فأنه يكون ابلغ اثرا فى الموعظة فما بالنا لا نرتل القرآن ولا نترنم به والناس فى انتظار الصلاة فتخشع قلوبهم لذكر الله تعالى

وكان المسجد ليس به كبير زحام لان الذين يبكرون فى السفر الى الاراضى المقدسة يذهبون أولا الى المدينة المنورة للتشرف بالزيارة ثم يعودون الى الحج اما نحن فقد أردنا ان نختلس الوقت لنحظى بالتمتع فى بيت ربنا عز وجل

المشاهد العظيمة

نعم أردنا أن نروح النفس بهذه المشاهد العظيمة التى خلق بينها هذا المولود السعيد الذى خرج مع ولادته نور أضاءت له قصور بصرى بالشام ومعنى هذا النور ان العالم سيستضىء بتعاليمه القويمة حتى يرى الحياة واضحة جلية فيطرح عن كاهله اعباء الاستعباد

وتصدعت لمولده الشريف شرفات إيوان كسرى ومعناه ان قوة بطش هذا المولود الكريم فى الحق ستدمر كل ما اقامه الطغاة وتقضي على هذه المجوسية وعلى عبادة الاشخاص

وقد تنكست الاصنام عند ولادته الميمونة ومعناه ان قد أقترب الوعد الحق لتطهير البيت المشرف من ارجاس هذه الاوثان وجعله كما كان مختصا بعبادة الرحمن

وقفت خاشعا متذكرا عند ما ترعرع هـذا الطفل المحبوب وشيوخ قريش جلوس في دار الندوة بجوار الكعبة المشرفة واذا به يتخطاهم حتى

يجلس على وسادة شيخ الحرم جده شيبة الحمد عبد المطلب بن هاشم كبير قريش وزعيمها فلما ينتهره الشيوخ ليبعدوه عن الوسادة يجهش بالبكاء ولما يأتي جده الوقور يقول (دعوا ولدي فان نفسه تحدثه بمستقبل عظيم)

كل هذه الذكرى مرت في رأسي ثم ذكرت ايضا هذا الحجر الاسود ويحمله شيوخ قريش على رداء الشاب الامين وهو يناهز العشرين من حياته الشريفة فيتناوله ويضعه بيده الكريمة في مكانه الحالي وذلك عندما شجر الخلاف بينهم عمن يكون له شرف وضعه بالركن وقت ان قامت قريش ببناء البيت المطهر واحتكموا اليه

نعم تذكرت هذا الشاب الغض الحياء النزيه العف عندما بلغ سن الكهولة وشرفه الله تعالى بالرسالة . ذكرت وقفاته المشهودة وهو يناضل عن مبدئه الكريم القويم وصناديد قريش يواصلون اليه الاذى ثم يأتي الشقي عقبة بن ابي معيط فيرمي عليه فرث الجذور وهو ساجد فلا يجسر احد على رفعه عنه حتى تأتي السيدة الزهراء وهي لم تزل يافعة بعد فتلقيه عن ابر والد واكرم مخلوق وهي توجه اليهم اقسى عبارات اللوم والتوبيخ

وتذكرت ايضا يوم ان ضيق الكفار عليه الخناق وياخذوا بتلابيبه حتى يأتي صديقه الحميم الكريم ويحجزهم عنه وهو يقول (اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله)

تذكرت كل هذا فعرفت كيف يكون الصبر على احتمال المكاره وعلمت ان هذه من رحمات الله تعالى بنا حيث يعلمنا عمليا عن يد رسوله الامين ان ننهج هذا النهج العالي في الثبات على المبدا مهما كان الاذى في سبيله

ثم ذكرت بعد هذا عاقبة الصبر الجميل و تذكرت هجرته وعودته محفوفا برعاية مولاه عز وجل حتى فتح عليه أم القرى و تكاد ان تمس جبهته الشريفة رحل راحلته تواضعا لله تعالى وشكرا له على نعمة هذا الفتح المبين ثم طهر الكعبة المشرفة من عبادة الاصنام وهو يشير اليها بقضيب كان فى يده ويقول (قل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا)

طهر البيت المشرف واصبحت الانسانية بفضل الله تعالى وبركته ويمنه لا تعود فتتخبط فى ظلمات الوثنية مرة اخري

منازل الحجاج

اتممنا الصلاة وعدنا الى المنزل وكان لزاما علينا ان نتفق على منزل ننزل به مدة مقامنا بالبلد الامين وقد ذهب الحاج محمد سليمان ومعه اخواننا القنائيون للبحث عن غرفة تكون اقل كلفة من الغرفة التى نزلوا بها لان الحاج طاهر فرض عليهم ثلاثة جنيهات اجرة لها مدة اقامتهم بمكة المكرمة يدفعها هم الستة

اما انا فقد فرض علي خمسة جنيهات عن سكننا واورى ان الحظ قد ساعدنا بسبب قلة الحجاج فى هذا العام اما لو كان كالاعوام السالفة لكانت الاجرة تساوى ثلاثة اضعاف هذه القيمة

ولما لم يجد الحاج محمد سليمان احسن من سكننا هذا بعد ما دقق البحث اضطررنا لان نقبل الاجرة وان اقبل ايضا انفرادي بالسكن حرصا على راحة صاحبتى وصيانتها . وعلى هذا فقد سلمته الاجرة وسلمته ايضا اربعة جنيهات رسوم المطوف عنا نحن الاثنان

ومن عادة الحجاج ان يتعرفوا ببعضهم ومتى نزلوا عند مطوف واحد

يكونون كعائلة واحدة فينزل الرجال فى غرفة ونساؤهم فى غرفة أخرى ويوزعون اجرتهما عليهم بالتساوى اما الذين ليس معهم نساء فيمكنهم الاقتصاد فى النفقة بحيث انهم يوفرون من اجرة السكن فيسكن بعضهم فى المقاهى أو يسكن فى بيوت أرضية رخيصة ويوفرون ايضا من اجرة الركوب ومن الطعام والشراب

رسالة مطمئنة

لما كان الواجب على كل مسافر ان يطمئن اهله على وصوله سالما لهذا لم اجد بدا من ارسال اشارة برقية الى مصر وقد اجتهدت ان تكون الرسالة مقتضبة جدا حتى لا أتحمل عنها نفقة كبيرة لان اجرة الكلمة الواحدة احد عشر قرشا صاغا مصريا فجعلتها من اربع كلمات فحسب والامر الذى يستلفت النظر فى هذا الخبر ان الحاج طاهر لما سلم الرسالة الى عامل البرق هنأه بالحظ الذى صادفه من نزول صاحب هذه الرسالة عنده لانه من رجال مصر المعروفين فعاد الي وتبرنح اعطافه فرحا بهذه الصدفة الجميلة لانهم يفرحون كما يفرح الزارع بنمو زرعته

سلامة الاخراج

قضي الامر وخرج حسن افندى كتوعة من معمعة الجدل منتصرا يحمل اكليل الغار حيث دار حوار شديد بيني وبينه عندما تسلم الاخراج منى مع اجرة الجمل بجدة وانا لا اكاد اصدق ان تصلني سليمة ولم تعبث بها ايدى العربان كما كنت اعهد ولقد دهشت وقت ان تسلمت الاخراج ثالث يوم وصولنا الى مكة المكرمة ولم اجد بهما ما ارتاب فيه لانى بحثت ونقبت طويلا

وكانت النهايه ان رفعت أكف الضراعة الي المولى عز وجل ان يشمل من أمن طريق المسلمين بامانه ورضوانه

الفداء للعمرة

بقى علينا الفداء للعمرة كنص الكتاب الكريم (فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدي) فاتفقنا على ان نذهب يوم الاثنين ٢٥ القعدة ١٣ ابريل الى سوق الماشية جهة الحجون لنشترى الشياه اللازمة للفداء

وقد تركت صاحبتى بالمنزل لتستريح وتأنس بالسيدة صاحبة البيت لانها كانت تظهر لها من العطف مايجعل الاخرى تثنى ثناء طيبا عليها وعلى قريباتها اللائى كن يحتفين بها كثيرا وهن جميعا من عائلات عريقة فى مكة المكرمة

وقمنا بعد ان تناولنا طعام الافطار وشربنا الشاي

الشاى فى مكة

والشاي لازمة من ضروريات الحياة فى مكة المكرمة حيث تري اهلها رجالا ونساء شيوخا واطفالا كلهم يشربون الشاي ولهم اعتناء خاص فى طبخه وقل ان تجد منزلا وليس به الموقد وعليه غلايات الشاي وكنت ارتاح جدا لشربه عندهم حيث لم اجد في حياتى مثل الشاي الذى يسوونه فى الطعم والنكهة

وكذلك الاعراب لهم ولع عظيم بشربه وهو كيف عندهم ايضا فلا يمكنهم السير بغير ان يتناولوا منه كمية تسكن اعصابهم

الاثار الشريفة

من الغريب ان الحاج طاهر وزميله الشيخ حسن كانا يحضران عندنا كل وقت لقضاء مصالحنا بطيبة خاطر ولم أجد من أحدهما ميلا لان يرافقنا

للفسحة فى أنحاء البلد وزيارة الاماكن المقدسة بهـا مثل المحل الذى ولد فيه سيد الكائنات والمحل الذى ولد فيه سيدنا علي ودار الارقم ومولد السيدة الزهراء وغـير ذلك من الآثار الشريفـة والسبب فى ذلك ان الحكومة السعودية حظرت على الناس دخول هذه الاماكن بالمرة

اعظم دار فى الوجود

سرت مع اخواننا القنائيين والحاج محمد سليمان من طريق الشـامية فدرب الحجر وهناك وجدنا بقعة مستوية من الارض قيل انها كانت دار السيدة الكريمة خديجة بنت خويلد وقد هدمتها الحكومة

سبحان الله العظيم . دار السيدة خـديجة بنت خويلد تمحى وتصبح حتى ولا أثر بعد عين ؟

هذه الدار التى سطع منها هذا النور الذى اهتدى على ضوئه الخلق فى الوصول الى الحق

هذه الدار التى انبعثت منها رحمات الله الصمدانية على الارض فسكن الناس اليها وتفيأوا ظلال هذه الرحمات

سبحان ربنا المستعان . دار النبي الكريم التى كان يتلقى فيهـا أوامر السماء والتى كان يهبط اليها الامين جبريل بالوحي والتنزيل تمحى وتسوى بالارض

أقسم ان لو كانت هـذه الدار فى فرنسا أو انكلترا مثلا لبنيت عليها العـلالى والقصور وجعلت من أحسن الآثار وأكبر المقتنيات . وهـذه فرنسا تجعل الكوخ الذى كان يسكنه أحد شعرائها أثرا خالدا يحج الناس اليه

فان كنتم تخافون ان يتمسح النـاس باثر حبيب القلوب وهو مخلوق فدعوا النـاس يتبركوا بآثار مولاه الخالق جل شأنه لانه تعـالى شرف

هـذه الدار بأن بعث اليهـا روحه الامين يلقى تعـاليمه خلقه على قلب حبيبه المأمون

فهذا أعظم بيت فى الوجود ايها السادة . هـذا بيت أشرف الورى وأكرم الخلق على الله . وقد ذكر فى القرآن الكريم مرات عديدات فما بالكم تصمون آذانكم عن صيحات الحق التى يلفتكم بها جميع المؤمنين ان لاتخرجوا عن الاجماع والجماعة

كان أحرى بالمسلمين ان يحتفظوا باكبر أثر فى الوجود ولو وصل صوتى الضعيف الى مسامع العاهل الكريم لقلت له ان تق قلبك وأعد بناء هذا البيت العظيم كما كان فى عهد الرسول الكريم ثم امتلك البقـاع حوله لتشيد عليها بناء عصريا فخما (وان استطعت ان يكون من فضة أو إبريز) فهو احدى القربات الى الله تعالى ودع النـاس وخالقهم يتوصلون الى بابه بتقربهم من حبيبه

درب الحجر

قل لى ياحاج طاهر انه درب الحجر وما يدريك مادرب الحجر هو الزقاق الذى كان يمشى فيه سيد الانبياء فى أول نبوته فيسلم عليه الحجر الذى به ويقول له بفصيح العبـارة (السلام عليك يارسول الله) كما كانت باقى الاحجار تقرؤه السلام

كل مايتجلى أمامك هو حجر ومدر ودور وناس تروح وتغدو ولكن شيأ آخر لايدرك الا بالبصائر هو الجلال والـكمال والنور والرحمات التى توزع على الخلائق والملك على ارجائهـا يحملون أبرك التسليمات والتحيات لمن يؤمون هذا المـكان المحفوف بعناية الرحمن

ان بعضهم ينسب الزندقة والزيغ بل والكفر والالحاد لمن يقول بهذا القول . ولست أدرى من أي ناحية يأتى الكفر هل لانه يبعد على القدرة الآلهية ان تنطق الاحجار أو لان المنعم عليه بالسلام لايستاهل هذا الانعام ؟ فلا حرج على فضل الله ايها السادة (وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء)

الكواكب فى المقابر

القينا عصا التسيار الى المعلاة واذا بى أجدها قاعاصفصفا بعد ان كانت عامرة بالمبانى التى تحوى قبور العظماء من هذه الامة

دخلنا وسط هذه المقابر وبعضها معلم بالاحجار وقد وجدنا عجوزا تشير الى قبر تجلس بجواره وتقول (هذا قبر سيدنا عبد الرحمن بن سيدنا ابي بكر الصديق) انعم واكرم . ثم سرنا حتى اقتربنا من سور عند سفح الجبل فوقفنا على تل بجواره وقرأنا ماتيسر من القرآن ووهبناه الى أرواح هؤلاء السعداء

خير قبور المعلاة

وقفت جامدا مبهوتا امام قبر السيدة الجليلة خديجة بنت خويلد التى درج الاسلام من عشها وانتشرت الحكمة والموعظة الحسنة من بيتها ولها الفضل العظيم على الاسلام بان واست النبي الكريم بمالها وعطفها وهي أول من آمنت به وأول من أقام الصلاة خلفه وهو يصلى بصلاة جبريل وهي علاوة على نبل أصلها وكرم محتدها فانها كانت راجحة العقل قوية الادراك على جانب عظيم من الحكمة والنظر الصائب ومن رجاحة عقلها

انه لما أخبرها الصادق المصدق بتردد الملك عليه ازاحت الخمار عن وجهها ورأسها فاخبرها السيد العظيم بذهاب الملك ولما أعادته عاد . عند ذلك علمت ان الذى يأتيه هو الوحي الجليل وليس هو الاغماء الذى يعترى المصروعين أو الذين يمسهم طائف من الجن

تالله انها لو دفنت فى البنتيون الذى يدفن فيه الفرنساويون عظماءهم لكان قبرها هو المفرد العلم بين القبور واذا ماكفت نفائس الاحجار لبناء القبر لأتموه بجماجم وعظام كرماءهم وكانت تحج اليه أوروبا من كل صقع وواد

حول تشييد القبور

اذا كان قد صدر من مقام الرسالة العظمى شيء من النهي عن تشييد القبور فيكون هذا النهي عن تشييدها بقصد العبادة بدليل القول المأثور (لاتتخذوا قبرى وثنا يعبد) أما التشييد بقصد العمران فقد وصل الى علمنا ان امام المتقين قد وضع علامة على قبر أحد أقرباءه الكرماء فهل نظل نعلم قبورنا بالحجارة أو نتمشى مع الوقت ونشيد بنيانها حتى نعرفها؟

ثم وهل من المسلم به ان تتمثل خريطة المستقبل امام من كشفت له حجب الغيب الكوني ويرى الامم تسير أشواطا بعيدة فى الرقي العمراني ثم يأمر أمته ان تقف مكانها جامدة ؟

هذا وتشييد القبور فيه فوائد عظيمة جدا . أنظر الى الافرنج وهم اهل المدنية فى العصر الحاضر تراهم يشيدون بذكرى عظماءهم حتى اقاموا أخيرا (قبر الجندي المجهول) ومأربهم من هذا ان يتولد الحماس والشهامة في نفوس الشعوب

فما يضر لو اقيمت هذه القبور العزيزة علينا وشيدت على احدث طراز

وفوقها القباب التى تناطح السحاب تعلوها الاهلة الذهبية التى تتوهج مع شعاع الشمس حتى يعرف الملأ من المسلمين ان أصحاب هـذه القبور هم الذين باعوا أنفسهم فى الانتصار للحق وفى اعلاء كلمة اليقين التى يتعلم منها الانسان المعنى الحقيقية (للحرية والاخاء والمساواة)

وانهم ثبتوا حتى الموت فى تأييد هذا المبدأ . عند ذلك يتمنى كل من يراها ان يسير على هديهم حتى يلاقى من التكريم من أمته مالاقاه هؤلاء الاخيار بعد مماتهم

تالله ان أهل الارض طراً لمدينون لاصحاب هذه القبور العزيزة لان الرسالة العظمى جاءت لرحمة العالمين وهؤلاء الذين قاموا بتأييد مبدأ الرسالة الاقدس حتى عم الاحسان للناس أجمعين

أما مسألة التمسح التى تهتم له الحكومة القائمة بالامر هناك فيمكننا الاستغناء عنه والاكتفاء بالاقتداء بهؤلاء الاعاظم وفى هذا الاقتداء كثير من الخير والبركة

اسرات تتالم

هذا ومعاول التدمير التى قوضت هذه الابنية العزيزة علينا قضت كذلك على أمال عائلات كانت تمرح فى رغد العيش ونضرة الحياة حيث كنا ندخل على الضريح فنجد خادم القبر وامام المسجد والمؤذن وفراش الجامع ومالىء المياه وسواهم وكل هؤلاء كانوا يرتزقون من عطايا الزوار وكل منهم يعول عائلة هي من جسم الامة وقد تحول نعيم هـذه العائلات الى شقاء أصبحت لاجله تستصرخ السماء من قسوة أهل الارض

اسلام المتحضرين

يقول الامام الحكيم المرحوم الشيخ محمد عبده (ان الاسلام طفل سينمو) لثقته ان مبادئه الكريمة تتمشى مع الفطر السليمة وتتقبلها البصائر التى لا يطمسها الغرض بقبول حسن وقد تحققت نظرية الاستاذ الامام الآن عندما بحث قوم من المتحضرين فى أصوله القويمة أمثال (هدلى ودينييه) وغيرهما من الامريكيين والاوروبيين ولما راقت فى أنظارهم دخلوا فى دين الله أفواجا

وعلى كل حال انه عندما تباشر بشاشة الايمان القلوب لا يمكن أن يزاحمها عبادة أحجار أو حوائط أو قبور أو غير ذلك مما يحذرون

والحمد لله قد قطع الاسلام من عمره المديد هذه القرون الاربعة عشر وهو ثابت الاركان راسخ البنيان ولم نسمع بأن أحدا من معتنقيه قد تركه الى عقيدة أخرى

وهؤلاء المبشرون بين ظهرانينا ينثرون الذهب باليمين ويلوحون بجاه دولهم بالشمال وهم يكدون عقولهم وألسنتهم بأمل التأثير على ضعفاء المدارك والافهام ومع ذلك فلم يطاوعهم أحد حتى ولا ممن يسيل لعابهم لرؤية الاصفر الرنان لشدة عوزهم وافتقارهم

الحجون والحجاز

عدنا أدراجنا الى الحجون والحجون كلمة يرددها اللسان ولكن ينطوى تحتها تاريخ حافل بعظائم الامور وجلائل الاعمال . فالحجون يذكرها فى شعره عمرو بن الحارث آخر الجرهميين الذين كانوا ولاة البيت

ثم دالت دولتهم بعد أن أبادتهم صروف الدهر . والحجون هو شعب بنى هاشم الذى حوصروا فيه وقت أن قاطعتهم قريش . والحجون هو المكان الذى ارتكزت فيه راية الاسلام عندما دخل سيد المجاهدين الى أم القرى وقد فتحها الله عليه . وكم للحجون من ذكر وكم لها من تاريخ

يذهب العامي الى الحجاز وهو يضع نصب عينيه انه يروح باسم ويغدو باثنين (الحاج فلان) وبعض الناس أيضا يذهبون لاداء الفريضة فحسب ولكنهم لو دققوا البحث فى كنه الحجاز لعرفوا أنه البطارية الكبرى الهائلة التى توزع النور والعرفان على العالم باسره

الى المجزرة ومنها

وأخذنا طريقنا الى سوق الماشية وجلسنا على مشرب للقهوة هناك (والمقاهى بالحجاز كل اسرتها من نوع (العنجريب) وأكثر المشروب بها الشاي والمياه تعطى بالثمن)

ساوم الحاج طاهر بائع الغنم واشتري لى شاتين واحدة عني والاخرى عن صاحبتى واشترى اخواننا القنائيون لانفسهم وذهبنا بالشياه جميعها الى المجزرة وراء المعلاة ووكلنا احد القصابين فى ذبحها ثم عدنا ووكيل المطوف احضر اللحوم الى البيت لتوزيعها على الفقراء بمعرفته وبالطبع انه كان له ولتوابعه كفل منها . وعند عودتنا مررنا من طريق الغزة ثم نظرت الى قصر الامارة الشريفية وقد كانت تعلوه المهابة وتزينه أبهة الامارة ورونق الملك واذا بي اراه الآن وقد فارقته زهوته وبهجته وسبحان محول الاحوال

والذى استلفت نظرى أثناء الطريق انى رأيت فى سوق البسط والاكلة والاحمال وما اليها بعض العساكر السعوديين وهم يبيعون ويشترون

بنشاط عظيم حتى أعجبت بهم

الامر بالمعروف

استيقظت في الصباح المبكر كالمعتاد يوميا على صوت الشرطي (الصلاة الصلاة) بصوت مسموع وما أحسن هذا الدعاء الى الخير . ومن عادة الحكومة السعودية ان من يتأخر عن المفروضة في وقتها ترتب عليه العقاب الصارم وهكذا يكون الالتفات من جانب الحاكم العادل الذى يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وليس كما يفعل الافرنج ومن يلف لفهم ان يتركوا للناس الحبل على الغارب بحجة عدم المساس بالحرية الشخصية . نعم انه من حقوق الانسان ان يتمتع بكامل حريته ولكن على شرط انها لا تتعارض مع حرية الغير . كأن يترك رجل يحتسى الخمر ويدمن فيه حتى تضيق ذات يده فينحدر مع عائلته الى هاوية سحيقة من الفقر المدقع وهذه الاسرة هي عضو من جسم الامة واذا اشتكى منه عضو تألمت له سائر الاعضاء فكيف يترك هذا المدمن وقد جنى على نفسه وعلى عياله ؟

وهل من الحكمة ان يترك رجل يتعقب فتاة ليغريها على الفساد فتقع البنت في مزالق الريبة وتلوث شرف عائلة هي أيضا من جسم الامة . هل نترك هذا أيضا للحرية الشخصية ؟

وقد ورد في محكم التنزيل (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) وورد من طريق آخر انها تزيل الجرائم عن الاطراف التى تغسل عند الوضوء خمس مرات في اليوم . فلماذا لا نؤاخذ تارك الصلاة حتى يتقى الناس شره وحتى ان الجرائم التى علقت به لا تضره ولا تضر غيره ؟

وهل يترك رجل يثرى من عرق جبين الامة ولا يؤدى زكاة ماله حتى يعض الجوع الفقير بنابه فيضطر ان يكون وحشا مفترسا

وما دمنا اننا وصلنا الى الكلام عن الزكاة فانه منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا تلقى رحمة العالمين من السماء ان (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) وقد فرضت الزكاة وتقرر ان يكون فى أموال الاغنياء حق معلوم للسائل والمحروم وفى عصرنا هذا يقوم المتحضرون من الفرنجة ويقررون هذا المبدأ الذى هو أحد قواعد الاسلام الخمس وهم يعبرون عنه بالاشتراكية يظهرون بها عطفهم على البائس الفقير وقد عطف عليه الاسلام قبلهم

كل هذه أمورلها قيمتها من الاعتبار والتأمل ومن واجب الحكومات الرشيدة ان تنظر الى الاخلاق بعين العناية لان العلم لايكون نافعا الا اذا أحيط بسياج متين من الادب والاخلاق

وبالجملة انى أقول ولا أخشى فى الحق لومة لائم اننا جعلنا بيننا وبين الاخلاص لله تعالى سدا يحيل بيننا وبين التوفيق الذى هو أجل ماينزل من السماء

وكان السعوديون فى أول حكمهم يمنعون شرب الدخان ومن يجدونه يستعمل التدخين يذهبون به الى مخفر الشرطة و(يفرشونه) أي يضربونه عقابا له ولكنهم أصبحوا الآن يتساهلون بعض الشيء

الاحكام فى الحجاز

تقام الاحكام فى الاقطار الحجازية على موجب الشريعة الغراء وللسادة العلماء النجديين الكلمة العليا فى اصدار هذه الاحكام كما وانه يرجع الى رأيهم أيضا فى تدبير شؤون المملكة . وفى بعض الاحيان يحتاج العلم لان يمتزج بشيء من الحذق والكياسة حتى تسير الاحوال على ضوء المعرفة بهضة العالم ورقيه . وعلى كل حال فان الاحكام التي تصدر في الحجاز

الآن هي أحكام عادلة ولا يردع البدو غيرها لأنهم لا يزالون على شيء من صعوبة المراس ولم يهذب نفوسهم العلم الصحيح المقتبس من تعاليم الملة السمحة والصرامة في الاحكام التي لا تخرج عن حدود العدالة هي الوسيلة التي يتذرع بها الاداري الحازم للصعود بامة من حضيض الفوضى الى مستوى النظام والفلاح

ولو نظمت هذه الاحكام على قواعد دستورية وقوانين محررة على موجب الكتاب والسنة أيضا للعمل بمقتضاها في كل العصور حتى لا تسير الاحكام مع أهواء الحكام وميولهم

ويجب ان تسير الاجراءات وتنجز الاحكام بسرعة حتى يتسنى للعدالة ان تؤثر تأثيرها في ردع المجرمين حفظا لكيان الامة وحرصاً على سلامتها (ولكم في القصاص حياة يا اولى الالباب)

أما التطويل في الاجراءات والتنفيذ جريا وراء أوروبا وهي قد صارت تقنن القوانين وتشرحها وتغربلها وتنخلها تعمقا في البحث وراء العدالة حتى فلتت من أيديها وتاهت عنها

ادخل أي مصرف من مصارف أوروبا أو امريكا تجد الكاتب يجلس في مكتبه وأمامه المسدس على المنضدة ليدافع عن نفسه ضد هجمات العصابات المسلحة وما جرأ هؤلاء اللصوص على الاستخفاف بهيبة الحكومة الا مرونة قوانينهم وكثرة التعاريج في طريق الوصول الى الحق

بلدة دار السلام

ولقد قرأت قبل الحرب شيأ عن بلدة دار السلام حاضرة المستعمرة الالمانية وعن الاحكام فيها وكانت هذه البلدة تكاد ان تبز عواصم أوروبا

فى النظافة وجمال الترتيب والوضع وكانت الاحكام فيهـا استبدادية وعادلة جدا . فمثلا عند مايمر ملاحظ النظام ويرى قمامة عند باب أي دار فيقرع هذا الباب حتى يجاب ويطلب مقابلة صاحب البيت ويأمره ان يزيل هذه القمامة بنفسه فيذعن للامر وعند ذلك يضطر الخدم ان لايتركوا القمامات بجوار البيوت خوفا على سادتهم من مثل هذه الحال

وكذلك عند مايضبط أي جان متلبسا بالجريمة يحاكم فورا امام مجلس أحكام يحكم بموجب قوانين عادلة وزاجرة وتأخذ العدالة مجراها حتى يحكم فى القضية وينفذ الحكم فى مدة وجيزة حتى وان الجرائم امتنعت بتـاتا من هذه البلاد

أما فى الاحوال المدنية فانه عند مايطالب رجل رجلا بدين عليه ان يذهب الى الضبطية القضائية ويقيد اسمه بدفتر المطالبات فيرسل معه قاضى الامور المدنية أحد رسل المحكمة (المحضر) ويستحضر المدين ويأمر الاثنين باستحضار مستنداتهما وشهودهما فى ساعة يعينهـا ثم يفحص القضية ومتى ثبت الدين ينظر فى حالة المدين المالية فان كان متيسرا يضطره الى السداد فورا وان كان ذا عسرة يقسط عليه الدين على حسب مقدرته على الدفع

ونجاز الاحكام بهذه السرعة مع استيفاء مراسم الحقيقـة هو أقرب الى التمشى مع العدالة والعدالة هي العماد القوي والركن الركين الذى تستند اليه الامم فتحيى حياة طيبة هادئة

الهوادج والعربات

من اللازم الضروري أن ننظر فى أمر انتقالنـا إلى عرفات وكانت فكرة حسن افندي كتوعة أننا نتوجه على الهوادج (الشقادف) من نوع

الخيزران وقد أوعز إلى الشيخ عبد الكريم الخطيب صهره وصاحب المكتبة المعروفة بمكة المكرمة (وهو أخو الشيخ عبد الملك الخطيب زعيم الجالية الحجازية بمصر) بأن يقابلني فتفضل بمقابلتي وعرفني بأن الشقادف التي صنعت حديثا ليس فيها شيء من المشقة ولا خوف منها على الراكبين ولكنني كنت أرغب في زيادة الاعتناء براحة صاحبتي وكنت سمعت أن السيارات تطلع الى عرفات بالاجرة وقد حدث في العام الماضي أنه عند دخول السيارات إلى عرفة وتراها الجمال وتسمع ازيزها وصوت بوقها كانت تجفل وتبرطع وتقفز فتشتبك الهوادج وتلقى الاحمال وتسبب عن هذا موت بعض الحجاج لهذا أصدرت الحكومة أمرها بعدم سير السيارات في هذا العام

وقد اتجهت أنظار الناس إلى تأجير العربات الصندوق وكانت العربة تسع من أربعة انفار إلى ستة وهي ذات عجلتين وبكل عجلة (ياي) لاجل رفع خشب العربة عن العجلات حتى لا تعمل شيئا من الارتجاج يضايق الراكبين . وقد رأيت أن نؤجر العربة لنا وحدنا حرصا على زيادة راحتنا وكانت أجرتها عشرة جنيهات ذهابا وعودة واشترطت معهم على أن يكون مسيرنا إلى المشاعر على حسب السير في الحج المبارك وهو

حج خير الناس

صلوات الله وسلامه عليه وكان في السنة العاشرة من الهجرة الشريفة حيث قام من مكة المكرمة يوم التروية وهو اليوم الثامن من شهر ذي الحجة (وسبب تسمية اليوم الثامن هذا بيوم التروية أن العرب كانوا عندما يقومون إلى الحج يجهز كل منهم سقاءه ويأخذ من الماء ما يكفيه هو ومن معه مدة

عرفة إلى أن يعود منها حيث لم يكن هناك ماء وقتها)

وقد وصل إلى منى فصلى بها العصرين والعشاءين كل صلاة فى وقتها وبات بها وبعد أن أقام صلاة الصبح فى اليوم التاسع قام مع الاشراق من منى حتى وصل إلى نمرة فنزل بها حتى إذا كان بعد الزوال ركب القصواء حتى أتى بطن الوادى من عرنة خطب الناس وهو على راحلته خطبته المشهورة التى ذكر فيها تحريم الدماء والاموال والاعراض ووضع ربا الجاهلية وأول ربا وضعه ربا عمه العباس ووضع دماء الجاهلية وأول دم وضعه دم ابن عمه ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب (وكانت هذيل قتلته) وأوصى بالنساء خيرا وأمر بالاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله وأشهد الله عز وجل على الناس بتبليغ الرسالة . ولما أتم خطبته أمر بالاذان فصلى الظهر ركعتين أسر فيهما بالقراءة (وكان يومها يوم الجمعة فلم يصلها) ثم أقام فصلى العصر قصرا أيضا جمع تقديم ولما فرغ من صلاته ركب حتى أتى الموقف فوقف عند الصخرات فى أسفل الجبل واستقبل القبلة وكان على بعيره وأخذ فى الدعاء والتضرع والابتهال إلى غروب الشمس وقد أوحي اليه وهو فى موقفه هذا بآخر اية من الكتاب العزيز وهي قوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا)

وبعد أن غربت الشمس أفاض من عرفة من طريق المأزمين وكان يلبي ولا يقطع التلبية حتى وصل إلى المزدلفة فتوضأ ثم أمر المؤذن بالاذان ثم أقام فصلى المغرب ثم صلى العشاء الاخيرة بأقامة وبلا أذان واستراح حتى عند طلوع الفجر صلى الصبح فى أول وقتها ثم ركب حتى أتى موقفه من المشعر الحرام فاستقبل القبلة وأخذ فى الدعاء والتضرع ثم سار مع الاسفار وقد التقط له ابن عمه عبد الله بن عباس سبع حصيات من حصى الخذف

حتى أتى جمرة العقبة فوقف فى أسفل الوادى وجعل البيت عن يساره ومنى عن يمينه واستقبل الجمرة وهو على راحلته فرماها بعد طلوع الشمس واحدة بعد واحدة يكبر مع كل حصاة وقد قطع التلبية ثم أقبل على الناس يخطبهم بكلامه البليغ (وهو خطيب الامم وقد أوتي جوامع الكلم صلوات الله وسلامه عليه)

ثم انصرف إلى المنحر بمنى فنحر ثلاثا وستين بدنة بيده الشريفة ثم تنحى وأمر عليا أن ينحر باقى المائة وكان نحر هذه الثلاث وستين بدنة اشارة إلى سني عمره الشريف

ثم استدعى بالحلاق وهو معمر بن عبد الله فحلق له رأسه الشريفة والناس يتهافتون عليه وهو يوزع عليهم الشعر حتى ما كان يصل شيء منه الى الارض . وقد حصلت نكتة لطيفة من سيد الظرفاء إذ يقول للحلاق يامعمر لقد أمكنك رسول الله من شحمة اذنه وفى يدك الموسى. فقال معمر والله يارسول الله ان ذلك لمن نعمة الله علي ومنه . قال أجل

ثم أفاض الى مكة قبل الظهر راكبا فطاف طواف الافاضة وبعض الناس قالوا انه سعى والبعض قال انه لم يسع وقد صلى الظهر بمكة ثم رجع الى منى من يومه ذلك فبات بها فلما أصبح انتظر زوال الشمس فلما زالت سار الى الجمار ماشيا ورمى الثلاث جمرات ثم عاد باليمن والاقبال وكذلك فعل فى ثلاثة أيام التشريق وقد قال الله تعالى فى كتابه العزيز (واذكروا الله فى أيام معدودات فمن تعجل فى يومين فلا اثم عليه ومن تأخر فلا اثم عليه لمن اتقى واتقوا الله واعلموا أنكم اليه تحشرون)

اتفقوا معى على هذا السير ماعدا المبيت فى منى عند الذهاب فانه غير ميسور لان البهيم الذي يجر العربة لا يستطيع المشي من منى فى الصباح ويستمر الى عرفات فى الحر وقالوا ان سيدنا رحمة العالمين لو سار فى الشمس

كان الغمام يظله ومن جهة اخرى فقد كمله الله تعالى فى الصبر والقوة والقدرة على تحمل المصاعب وغير ذلك من الكمالات التى لايدانيه احد فيها عليه الصلاة والسلام . وقد صمموا ان نستمر سائرين يوم التروية الى ان نصل عرفة ليلا فقبلت

روحانية مكة المكرمة

ومدة اقامتنا بمكة المكرمة كنت لا استغرق فى النوم نوما طويلا عميقا وما هذا إلا من هيبة المكان والروحانية العظيمة ببلد الله الحرام

ومن الغريب اننى كنت اضل الطريق كثيرا وأنا عائد من الحرم الشريف فكنت أعد هذا من الذهول لحرمة المكان وهيبته لان مكة المكرمة ليست متسعة كثيرا حتى وان الانسان لايهتدى الى طريقه بسهولة

نظرة فى التجارة

حب الاستطلاع الذى هو غريزة فى كل نفس الجأنى الى النزول الى سوق الشامية وشارع المسعى وما يتفرع منهما لاتعرف كنه الاحوال التجارية فى هذا البلد الامين فكنت اجد البضائع المعروضة فى السوق وخصوصا المنسوجات . والمنسوجات هي الضرورة الثانية من ضروريات الحياة (وهي الكساء بعد الغذاء) وكانت أغلب المنسوجات من صنع أوروبا عدا بعض الحرايز التى تصنع فى بكين أو طوكيو أو كلكوتا وسواها من بلاد الشرق وقد توجد أصناف أخرى تصنع في بلاد شرقية أيضا مثل المسبحات والقلائد الخرز أو الكارم ونحوها

ويعرض بالسوق أيضا بعض العقاقير التى تنبتها ارض الحجاز كالسنبل والخزامى والحنا ودم الاخين وغير ذلك . ومن الاصناف التى تنبت في ارض اليمن وغيرها من بلاد الشرق كالبن والفلفل والكبابة الصيني وما اليها وقد يجد الانسان معظم طلباته ولا سيما الاصناف التى تؤخذ بصفة هدايا وكنا نشترى الكثير منها

وكل الحوانيت على الطراز الشرقي (بالمصاطب) ومفروشة بالطنافس أو الاكلمة ونحوها وليس عليها لوحات يعرف منها اسماء أصحابها

ولا يدخل على التجار أي تنغيص فى حياتهم التجارية لان ديونهم ليست بسندات قابلة للانذار (البروتستو) كما هو الحال فى مصر بل ان القاعدة عندهم هي العمل على مقتضى حكم الكتاب الكريم (وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة)

ولا أكون مبالغا اذا قلت ان التجار هناك لا يزالون على الفطرة القديمة أيام كان المشترى يطلب من التاجر قطعة صابون مثلا فيبيعها له ولما يطلب منه شيأ آخر يرشده الى ان يشترى من جاره لانه (لم يستفتح بعد) تلك الايام الهنيئة التى كانت بعيدة عن ضوضاء هذه التى يسمونها المدنية وخبلها حيث كانت القلوب ترتبط برباط وثيق من الحب والاخلاص . أما الآن فحدث ولا حرج عن المضاربات والمزاحمات والمكايد والقدح والذم وما الى ذلك من أنواع المثالب . وحدث أيضا عن جشع التجار حيث لا يشبع نهمهم حدود محلاتهم بل يتطلعون الى جيرانهم وما يصل اليهم من رزق

فالتجارة هي احدى الموارد الثلاث التى عليها مدار الحركة الاقتصادية فى كل البلاد (وهي الزراعة والتجارة والصناعة) والتجارة مهنة شريفة كان يزاولها كثير من النبيين والصديقين

تجـــارة ابى بكر

ولما أفضت الخـلافة الى سيدنا ابي بكر الصديق أصبح وقد أخـذ سلعته وهي (قطعة من قماش) ليبيعها بالسوق كعادته وفى أثناء الطريق قابله سيدنا عمر فسأله عن وجهته فاجابه الى السوق لاسعى على رزق عيالى فقال له ان لك من مشاغل الخـلافة مايستغرق كل أوقاتك فلا تستطيع العمل فى التجارة ولا بد ان نجعل لك خرجا حتى تتفرغ للنظر فى شؤون المسلمين

وكان سيدنا ابو بكر الصديق هذا تاجرا صادقا وفى الحديث (ماامانق تاجر صدوق) ومما يحكى عنه

انه نزل الى السوق ومعه قطعة قماش بها عيب ولما عرضها على المشترى سهي عليه ان يظهر له العيب الذى بها وتمت صفقـة البيع ولما تذكر سيدنا ابو بكر ما بالقطعة من العيب امتعض ولم يهدأ له بال حتى عثر على الرجل فى بلد بعيد بعد بحث دام بضعة أيام ولما أظهر للمشترى العيب قال له اننى أعجب بامانتك هذه وأود ان أكون أمينا مثلك فخذ هـذه النقود بدل النقود التى أعطيتك اياها لانها كانت زائفة

وعلى هذا فبركة الامانة جعلته يحصل على الكسب الحـلال فى الدنيا وهو يرجو حسن ثواب الآخرة

النصيحة من الايمان

فالامانة هي رأس مال التاجر ورأس الحكمة مخافة الله تعالى وهـذه التقوى هي جسر العبور على بحر هذه الحياة الخضم المتموج بانواع الرزايا والاحن . والتقوى هي التى تباعد بين التاجر وبين التعـامل بالربا ورب

قائل يقول انه لايمكن الاستغناء عن الاستدانة بالربا . ومن رأيي انه يمكن الاستغناء عن هذه الاستدانة مادام ان التاجر لايخرج عن حده ولايوسع دائرة عمله أكثر من طاقته . والتقوى هي التي تجعل التاجر ان يتحاشى التبذير وان يقتصد في معيشته حتي يحفظ المال الذى فى يده وهو أحوج مايكون الى المال

ويجب على التاجر ان يتجنب الغش والحلف وان يكون صادقا أمينا ناصحا يقنع بالربح الذى ليس فيه غبن على المشترى هذا عدا انه يتعلم فن مسك الدفاتر ليعرف دخله من خرجه . والمدارس التى انشئت لتعليم الحساب التجاري هي خير مرشد لمن يريد ان يرقى بتجارته الى مستوى النجاح ويجب أيضا ان يكون نشطا خفيف الحركة هاشا باشا لايثير غضبه مساومة الاسعار بالبخس فاذا فعل هذا فانى قمين بان يكون الفلاح حليفه

ويجب على التاجر أن يكون تاجرا فحسب ولا يكون محتكرا لان أغلب التجار يذهب بهم طمعهم الاشعبي الى تخزين كمية من البضائع زيادة عن حاجتهم بأمل أن يرتفع السوق عليها أو انه يحتكر الصنف لزيادة الربح ثم تأتى الرياح بعكس ما تشتهيه سفينته التجارية فيكون مآله الى الخراب والدمار وكثير من البيوت التجارية جرها الطمع الى مهاوى الافلاس فاصبحت فى خبر كان

والتاجر أيضا لا يدخل فى سوق المضاربات لانه ما دخل فيها أحد ونجح مطلقا وكم من عزيز ذل وغني افتقر من تماديه فى السير مع هذه المضاربات

الازمة واسبابها

هذا وكان السوق كاسداً نظرا لقلة الحجاج فى موسم هذا العام بسبب تأثير الازمة المالية التى تعتبر أنها من ذيول الحرب الكبرى لان العالم كان فى زمنها كمن يجرى فى شوط بعيد وهو ينهك قواه ولا يبالى بما يعتريه من الضعف لانه يريد أن يصل الى غرضه حتى اذا وضعت الحرب أوزارها حل عليه التعب وجاء رد الفعل ونشأت الازمة من وقوف دولاب الحركة

لان المعامل الصناعية قد تحولت وقت الحرب الى معامل ذخيرة وأصبح الناس لا يجدون طلباتهم من الحاجيات فكثر الطلب وقل العرض وحصل الغلاء الشديد فى الاسعار ولما عادت هذه المعامل الى عملها بعد الهدنة وكثر العرض وقل الطلب نزلت الاسعار وهذا النزول أدى بكثير من البيوت التجارية التى كانت تحتكر كثيرا من البضائع الى التدهور وتسبب عن ذلك ارتباك كبير فى الحالة المالية العامة

وأيضا فان أوروبا اثقلت كاهل رعاياها بالضرائب لتسدد الديون التى استدانتها أثناء الحرب ومن هذه الناحية جاء الارتباك المالي أيضا

وأوروبا هي الميزان الحساس الذى يعرف منه الناس درجة الحالة المالية فى العالم

اوروبا والمـــادة

والباحثون الذين حنكتهم التجارب يتوقعون لمدنية أوروبا السقوط من حالق لانها تقام على الماديات الصرفة وليس لها اهتمام فى هذه الحياة الا بالحصول على المادة بصرف النظر عن الواسطة التى تبررها غايتهم . وكل

علماءها لا يبحثون الا فى المادة ولا يعبأون بالروحيات مطلقا التى لا بد لكل إنسان ان يسمو بروحه الى الكمال الاخلاقي حتى يتصل بالعالم العلوي . نعم اننا انتفعنا بابحاثهم المادية هذه ولكن كم من عافية تتحول الى انتكاس وكم من نفع يجر الى ارتكاس

الحكيم العربي يقول عن لسان الطير الذى يصنعون من ريشه الاوتار لاقواس السهام . بماذا ادعو عليك ايها الانسان وانت تحرمنى من ريشى ؟ ادعو عليك ان تقتل نفسك بسهمك

وهذا هو المسيو (نوبل) تراه يخترع الديناميت ويعرضه بيمينه لهلاك نوعه ثم هو فى الوقت نفسه يقدم بيساره (جائزة نوبل) لحفظ السلام (فياليتها . . .)

ثم انظر الى المطارات عند اختراعها تجد أول مابدأت به من العمل اكتشاف الحصون وكيف تلقى المدمرات على الآمنين والمستضعفين

وقس على هذا باقى المستحدثات التى يخترعها الانسان لهلاك أخيه الانسان . ومع هذا فان البحث فى هذه الحالة لايحتاج الى منطق أو بيان لاننا نعرف بالبديهة (ان لكل بداية نهاية) وأوروبا قد وصلت الى رأس القنة فاين تصل بعد هذا ؟ بالطبع انها تخلى الطريق لغيرها من المدنيات . وستعلمن نبأه بعد حين

الازمة فى مصر

الاسباب المادية للازمة المالية كثيرة جدا منها ان الحرير النباتي اصبح يزاحم قطننا المصري فى صناعته لان هذا الحرير ذو رونق يروق فى نظر الرائى . ومنها ان الضائقة اضطرت الناس الى استعمال الاقمشة الرخيصة الثمن وجلها

مصنوع من القطن الامريكي وما فى رتبته اما قطننا فلا يصنع منه الا الاقمشة العالية الغالية وهذه ناحية من النواحى التى جاء منها الكساد الى القطن والقطن هو عماد ثروة البلد ولو كنا التفتنا الى منتجات أخرى سواه لمرت علينا هذه الازمة كسحابة صيف

ولقد توجد أسباب أخرى كثيرة غير هذه ولكن الكلام فيها يخرج عن موضوع بحثنا هنا اما الذى يعنينا ونعلق عليه كل الاهمية ان هذه الازمة لها علاقة مباشرة بالاخلاق . لان المزارع لو أخذ التقوى شعاره لتقدمت أحواله وما كانت زرعته من ابتداء بذرها لغاية حصادها وهي غارقة فى حمأة الربا ويالليته الربا فحسب ولكنه الربا الفاحش المقطوع بحرمته حتى من القوانين الوضعية نفسها وكان يمكنه ان يخلص نفسه من أيدى المرابين الذين لا يتركونه الا بعد ان يمتصوا آخر قطرة من دمه وذلك بتمسكه باخلاق الدين القيم فلا ينهمك فى الملاذ التى أهدتنا بها قشور هذه المدنية

ولو اقتصد كل القصد فى معيشته بان يترك سكنى المدن ويرضى بالاقامة فى قريته وسط حقله ليباشره بنفسه لاستقامت أموره كلها

وبما ان دهماء البلد وسوادها هو الفلاح والفلاح مهنته مبروكة وشريفة لانها أول عمل عمله الانسان الاول عند ماهبط الى الارض . فيجب علينا ان نحيط هذا الفلاح بكل عنايتنا وان نقدم له كل المساعدات المادية والادبية

العمال العاطلون

من العجب العجاب ان تكون أوروبا هي القابضة على صولجان المال فى العالم ثم نسمع بان عندها شيأ آخر اسمه (أزمة العمال العاطلين) وقد نشأت هذه الازمة من جملة أسباب وأكثرها أهمية هو وجود كارثة

أخلاقية كبرى فى أوروبا نجم عنها هذا العطل للعمال وذلك أنهم يشغلون البنات فى المناصب ويتركون البنين عاطلين. فالتاجر يريد أن يغرى زبائنه على التردد الى متجره باستخدام الجميلات من الفتيات وهذا ضعف أخلاقي تنفر منه الطباع السليمة وتأباه النفوس الزكية. والمصارف كذلك تستخدم الفتيات. والمصالح الحكومية تعين الآنسات أيضا حتى تتمتع أنظار الرؤساء بهؤلاء المرؤوسات الحسان

تالله انهم لو كبحوا جماح أنفسهم ومنعوها أن تسترسل مع شهواتها واستخدموا الرجال وحتموا عليهم الزواج من هؤلاء الفتيات لما وجدت عاطلا يتلكأ فى الطرقات

وانك لتعجب من أن بعض الشبان عندنا يغرهم برق هذه المدنية الخلاب فيقترحون استخدام الفتيات فى الوظائف حتى يتساوين بالشبان. شيء عجيب جدا: ان هذا الكاتب يود أن يجلس على (الترابيزة) ساعات عمله القليلة ولا يحرم نفسه من مغازلة زميلته (انها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور. وأنى اسائل هؤلاء المقلدين هل ألحقتم كل الشبان بالوظائف حتى احتجتم إلى استخدام الفتيات؟ وأحسب أن الذى يجيب على هذا السؤال هي كشوفات طلبات الاستخدام فانه عندما يعلن عن طلب شبان للالتحاق بالوظائف تجد الالوف يتقدمون اليها حتى ولو كانت حقيرة

صحيح أننا نحتاج إلى معلمات لتعليم البنات حتى لا يختلطن بالرجال المعلمين. ونحتاج إلى طبيبات لعلاج السيدات. ونحتاج إلى ممرضات لتمريض المريضات. وأخيرا نحتاج إلى تعليم البنت لان تدبر حركة البيت وتدبر شؤون العائلة وهذا هو الذى خلقت له

شيء عن المرأة

من الغريب جدا أنك تجد الكثير من الناس يلتهبون غيرة ويتوقدون حمية لتحرير المرأة ولست أدرى ولا المنجم يدرى فى أي وقت استعبدت هذه المرأة . وهذا هو الاسلام يأمرنا بالاحسان اليها ومعاملتها بالرفق واللين . وهذا البدوي القح يعبر عن حسن معاشرة المرأة بما يقع تحت نظره إذ يقول (المرأة كالفرس الكريم تكرمها وتمسك زمامها)

ولكن هذه السفسطة هي لان القانون السماوي يأمرنا بأن نكون قوامين على النساء وهم لضعف فى نفوسهم وخور فى عزيمتهم ينحنون عن هذه القوامة والقائد الذى يتخلى عن القيادة وسط الميدان لا بد أن يكون جبانا والف جبان

وما دام ان الكلام قد وصل بنا الى ذكر المرأة فانى أظهر اعجابى بالسيدة المصرية لما قامت به من المساعدة فى كل أدوار قضيتنا الوطنية ونهضتنا القومية ولا أجد ما اطريها به أبلغ من كلام الزعيم الخالد الاثر وهو يمتدحها بخطبته البليغة فى حفلتنا التى احتفينا به فيها إذ يقول

ان للسيدات دخلا كبيرا فى نهضة الاقوام عموما وان لهن فى نهضة مصر خصوصا ذلك الاثر الجميل حيث اظهرن فى النهضة الحاضرة من الشجاعة والاقدام ما أعجب به كل واحد منا بل ما أعجب به كل ناظر الينا وقد وقفن موقفا كان فخارا لنا وكتبن بأعمالهن المجيدة صفحة من أحسن الصفحات فى تاريخ النهضة المصرية

وانى مع هذا الثناء والاطراء لا أود الا أن تكون كالزهر فى كمه وكاللؤلؤ المكنون فى صدفه . كما يود لها الاسلام وهي ريحانة البيوت أن

لا يتعرض الريحان الى لوافح النظرات فيعتريه الذبول

فالسيدة وظيفتها كبيرة جدا وهي تربية السلالة الحاضرة حتى تنشأ وهي أعضاء نافعة فى جسم أمة رشيدة فأرجوكم أيها السادة أن لا تشغلوها عن وظيفتها هذه الهامة فأنكم تريدون أن تستدرجوها من خدرها الحاجة فى نفس يعقوب

جبل ابى قبيس

صعدت الى جبل ابى قبيس هذا الجبل الامين الذى حفظ فيه الحجر الاسود وديعة حتى ينتهى الطوفان ولما أمر الخليل عليه السلام ببناء البيت المطهر تسلم الوديعة من الجبل ووضع الحجر مكانه فى الركن ليكون علامة لابتداء الطواف

هذا ابو قبيس الذى انشق فيه القمر لسيد البشر وهـذا ابو قبيس الذى تشرف بصعود سيد الانبياء عليه ليبشر وينذر

رقيت الى أبى قبيس المبـارك وكانت توجد منازل كثيرة فى طريق الصعود اليه وهناك فى ذروته موضع انشقـاق القمر وموضع وقوف أبى الانبياء وغير ذلك من الآثار الخالدة والمشاهد العظيمة التى تأخذ بالالباب ذكراها المجيدة

وقد يجلس الانسان على حافة الذروة فيشاهد البيت المشرف والناس يطوفون حوله ويرى بطاح مكة العزيزة وجبالها وشعابها فتحلو له الذكرى بخطرات الحبيب الكريم

ثلاث وخمسون عاما من حياة الانسان الكامل الشريفة وهو يجوس خلال هذه الديار ويؤم طرقاتها وأوديتها . انه لشرف عظيم يضاف الى

شرف المكان وعزه حتى أقسم الله تعالى بهـذا التشريف حيث يقول عز شأنه فى كتابه المكنون (لاأقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد)

كنت فيما مضى أصعد الى أبى قبيس فلا أجد بذروته موضعا لقدم من شدة الزحام وكانت أصوات الابتهالات تكاد ان تبلغ عنان السماء من الدعوات الحارة التى يلقيها الحجاج كما يلقنهم إياها المطوفون ولكننى لم أجد الآن الا القليل من الناس وبعض صبيان المطوفين يتسللون خفية مع حجاجهم وكان فوق الجبل قوم يتعيشون من عطايا الزوار وقد انقطع عنهم هـذا المدد الآن

هبطت من الجبل المبارك وفى سفحه جبل الصفا فوقفت عنده انظر الى الساعين واستمع الى تسبيحهم وتمجيدهم فتخشع نفسى وتستكين جوارحي لان هذا السعي لله وفى الله وكان الناس أصنافا شتى منهم السوداني والهندي واليمني والشامي والجاوي والنجدي والبعض كان يسعى حثيثا أي أنه يجرى طول مسافة السعي وسبحان من خلق الخلق وله فيهم شؤون

اللحوم والخضر والفاكهة

الاغنام فى الحجاز تأكل أعشابا لا تأكله أغنامنا فتصير مادة اللحم مغايرة للنوع الذى نأكله عندنا ولمناسبة هذا التغيير فى المرعى يحسن بنا أن نأكل منه بغير افراط . واللحم على كل حال يجهد المعدة فى هضمه لهـذا تجد أكثر الناس ينصحون بالاقلال منه

وقد تجد الخضارات متوفرة مثل الملوخية والبامية والقرع والبطاطس والطماطم وغير ذلك وهي تجلب من الطائف ومن وادى فاطمة ومن سويلة ووادى الليمون وغيرها فكان الحاج طاهر أو زميله الشيخ حسن يشتري

لنا حاجتنا منها

وكذلك تجد أنواع الفواكه متوفرة أيضا فكنا نأكل المشمش والبطيخ والبرتقال والتفاح والخيار والقثاء والقاوون وغير ذلك. والبقول أيضا متوفرة والسمن كذلك واللبن كثير جدا يسرح به البياعون وينادون عليه في كل مكان

بيد أن الاسعار غالية من غير شك لانه لا بد أن يعمل حساب لمصاريف النقل ويعمل حساب أيضا لقاعدة العرض والطلب لان الطلب في موسم الحج يكون كثيرا فيرتفع السعر بنسبته

وفي مكة المكرمة قاعدة يتبعونها دائما وهي أنه ما دام أمامهم حاج فهو في نظرهم كالبقرة الحلوب ولا بد أن تدر لبنا سائغا لهم فهم يطلبون من الحاج ثمنا للحاجات أكثر من أهل البلد . وكل انسان هناك (من الطبقة الواطئة طبعا) يمد يده الى الحاج يستندى كفه فكل سودانية أو تكروني واضرابهما لا بد أن يسألوه مالا وخصوصا في الحرم الشريف فانك قل ان تجلس ولا يمر عليك الكثير من هؤلاء

ولا أجد ما ألوم به عليهم في هذا لانه موسمهم

الجمعة الثانية والشرطة

جاءت الجمعة الثانية وهي توافق ٢٩ القعدة و ١٧ ابريل فذهبت مع صاحبي الى الحرم الشريف لاداء فريضتها وقد رأيت بعض الزوار قد عادوا من المدينة المنورة فجلست مع بعض معارفي أما صاحبي فانها لا بد أن تجلس في المكان المعد للنساء وكنا لا نسمع الخطبة لبعد المسافة وكان المبلغون كثيرين فكنا نقوم الى الصلاة بتبليغهم

والشرطة السعودية لها مكان خصيص بها فى الحرم الشريف وكنت أرى الشرطي منها يقف فى تمام اليقظة خوف اندساس النشالين بين المصلين أو الطائفين وخوف اعتداء بعض الناس على بعض ونجد أيضا أحد العساكر واقفا بجوار الركن ليمنع ازدحام الناس على الحجر الاسود والحق يجب أن أقوله أن الحكومة ساهرة على حفظ النظام ومنع الجرائم حتى لقد عرفنا أنها فى العام الماضى أبعدت بعض المصريين لاشتباهها فيهم وقد بحثت مع الحكومة المصرية فى أمرهم حتى اتضح أنهم من أرباب السوابق فاراحت الناس من كيدهم ورحلتهم الى ديارهم

على جبل عمر

كان منزلنا بالشبيكة مقابلا لسكة تنفذ على جبل عمر فقمنا بعد العصر وسرنا من هذا الطريق وصعدنا مع الدور المقامة فى هذا الجبل بالتدريج مع مطلعه ولما بلغنا قمته اردنا ان ننزل من الجهة الاخرى فسرنا حتى وجدنا أنفسنا فى طريق منقطع بين جبلين فخصل عندى وحشة لاننى تذكرت الفوضى الماضية ولكننى تجلدت وقد افضى بنا المسير الى محلة العبيد التكارنة فاوجست خيفة من اعتداءهم ولكن هذا الوهم قد تبدد عند ماخرجنا منها الى شارع المسفلة ومشينا قليلا وجدنا مخفر الشرطة قائما بحفظ الامن بحيث انه بمجرد أي نداء أو استغاثة بسيطة يسمع المخفر الصوت وهذه الاخرى عددناها من حسنات استتباب الامن فى البلاد

وايضا الحجر الاسود

تألمت صاحبتي لعدم استطاعتها استلام الحجر الاسود بالنسبة لشدة

الزحام فى الاوقات التى كنا نتشرف فيها بالطواف وكذلك كنت اتمنى انا الآخر ان أكون سعيد الحظ لو وضعت فمى على الحجر الاسود مكان الفم الطاهر الشريف . هذا الفم الذى تفجرت منه ينابيع الحكمة وانبعثت منه أسرار علم الله المتين لما كان وما يكون فى هذا العالم الكوني العظيم . ولما كانت المنى لاتنال بالتمنى والقعود بل تنال بالاقدام والعمل ولا بد لمن يجنى الشهد من الصبر على لسعات نحله .فقررنا ان ننفض غبار الكسل ونهجر مضاجعنا فقمنا من المنزل عند ما انتصفت الساعة الثانية من صباح اليوم التالى ولما تشرفنا بزيارة الحرم الشريف وجدنا الطائفين قليلين جدا فتمكنا من استلام الحجر وتقبيله وهذا من فضل الله واحسانه والحمد لله رب العالمين

الزمن العربى والافرنكى

اننى حددت هنا زمن الساعة بالحساب الافرنكي لاقربه الى ذهن القارىء ولكن أهل الحجاز يستعملون الساعات بالزمن العربي (من الغروب الى الغروب وقد أدرت ساعتى مثلهم ولا يضيرنا لو استعملنا الساعة بالحساب الافرنكي لان زمنها (من الزوال الى الزوال) وكذلك الزمن فى الشهور فان العربية منها تكون على حساب منازل القمر والافرنكية على حساب تنقل الشمس فى البروج (وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا) - قرآن كريم -

الجو والمياه فى مكة

اننا فى فصل الربيع والطقس عندنا فى مصر يكون عادة معتدلا بخلاف

الجو فى مكة المكرمة فان الحرارة تلازمه وقت وجود الشمس فكنا نحتاج الى المياه كثيرا

والمياه الآن فى مكة المكرمة متوفرة جدا لان مجارى الماء من عين زبيدة جارى العمل فى اصلاحها أولا بأول ويأتى الاعراب من ناحية الطائف ومنى وعرفة وغيرها فيشتغلون فى حرفة السقاية فى زمن الموسم فيحمل الرجل منهم الصفيحة أو الصفيحتين ليبيعها الى الحجاج وكنا نشترى الواحدة بهللتين أي بنصف قرش سعودي أما أهل مكة فيشترونها بهللة واحدة أو يأخذون من رواتبهم من السقايين

وكان جفاف الجو يساعد كثيرا على تبريد المياه فعند ما تملأ القلة الفخار التى يسمونها (الشربة) وعند ما تمكث فى الهواء كنا نشرب منها ماء عذبا فراتا يحسب الانسان انه مبرد بالثلج

هذا ويوجد مصنع للثلج فى مكة المكرمة حيث تجد انواع الشربات والغازوزة بالثلج وتجد أيضا المياه المثلجة لو اردت

العملة فى مكة

هذا والريال السعودي فى الحجاز يساوى اثنين وعشرين قرشا سعوديا وقد يوجد له نصف ريال وربع ريال وهي مسكوكة من الفضة. اما القرش السعودي فانه مسكوك من النيكل وله نصف قرش وربع قرش وهذا الربع هو الذى يسمونه (هللة) وهذه التسمية من زمن العملة القديمة أيام حكم الاتراك والهاشميين

أما العملة المصرية فان التعامل بها فى مكة أسهل من كل عملة أخرى حتى ومن عملة البلاد نفسها (السعودية) لان وحدتها اعشارية فيسهل التعامل

بها وكل التجار يجتهدون أن يبيعوا بها . فالورقة النقد المصري تساوى خمسة ريالات مصرية والريال المصري يساوى عشرين قرشا مصريا وستة وأربعين قرشا سعوديا . أما الجنيه الانجليزي فانه يصرف بماية قرش مصري ولكنه في الدوائر الرسمية لا يصرف الا بسبعة وتسعين قرشا ونصف قرش

والصيارف في مكة وسواها من بلاد الحجاز كثيرون في زمن الحج وهم يتخذونها حرفه (وهم بالطبع مسلمون) لانه لا يقيم في الحجاز غير المسلمين الا في ثغر جدة حيث الضرورة تقضى بوجود قناصل الدول ومن يعاونهم

محلة جيـــاد

هي أكثر بقاع البلد عمرانا لانها آهلة بالكبراء من أهل مكة المكرمة وبها دار الحكومة ومصنع الكسوة الشريفة والمستشفى الحجازي ومحل الكهرباء وهو المولد الكهربائي لانوار الحرم الشريف

وقريبا منها مصلحة البريد وهي كائنة بجوار احد أبواب الحرم المسمى (باب ابراهيم) وكان البريد يصلنا عن يد المطوف في الاوقات التي تصل فيها البواخر التي تحمل البريد

وكانت الرسائل التي ترد الي من أهلي تباعا خير شاهد علي حسن انتظام مصلحة البريد بالحجاز

التكية المصرية

وهناك في هذه الجهة أيضا (التكية المصرية) وكم كنت أغتبط وأفرح عند ما أمر عليها وأرى الفقراء جلوسا في انتظار الطعام الذى يوزع عليهم

منها . وكانت الدنيا لاتسعنى من شدة السرور عند ماأرى بلادى العزيزة لها اليد الطولى فى أعمال البر والعطف على أبناء هذا البلد المقدس لهذا كانت عقيدتى دائما بان مصر وهي كنانة الله فى أرضه لاتضام ابدا وان من أرادها بسوء قصمه الله

انه لشيء يثلج الصدر ويبهج النفس ولكن يجيش فى صدرى خاطر يضطرنى الاخلاص لبلادى وللانسانية أيضا لان أبينه هنا وعسى ان يجد صدرا رحبا ممن لهم الهيمنة على ادارة هذه التكية

التكية كلمة أعجمية تعريبها (دار العجزة) وانى رأيت كثيرا ممن يوزع عليهم الطعام غير عاجز بالمرة بل تبدو على ملامحه العافية والقوة واظن انه ليس من الانصاف ان نعود هؤلاء الاقوياء على الكسل والقعود حيث يأتيهم رزقهم رغدا بغير كد أو تعب

نعم انى التمس بعض العذر لمن لهم الاشراف على ادارة هذه الدار لانهم مقيدون بما يمليه عليهم الواقف فى حجة وقفيته بان الذى يوزع من الخبز والطعام يكون بالمقدار الذى يعينه . ولكن لما كان غرض الواقفين من هذه الارصادات اجمالا هو فعل الخير والبر بصرف النظر عن التفصيلات التى أوضحوها فنحن نساعدهم أيضا ونوجه ماأرصدوه الى الخير المحض (وكل وقت يعطى حكمه)

اننا نوزع الطعام على العجزة فقط وعلى من أخنى عليه الدهر من العائلات والذى يفيض بعد هذا ننشيء به دارا كبيرة للاستشفاء لعلاج المرضى والزمنى داخلا وخارجا

هذا وكانت توزع أيضا مرتبات وهدايا وعطايا لعائلات كثيرة من الحجازيين والبدو بقصد البر والاحسان ولكنها فى الحقيقة ليست من البر

ولا من الاحسان بل انها كانت تعطى فى السابق ثمنا لكف أذى هذه العائلات عن الحجيج وعن المحمل الشريف وأصبحت عادة استمر العمل بها الى الآن

فاذا رأى المشرفون على كل هذه الارصادات ان ينشئوا معهدا للعلم بمكة المكرمة والمدينة المنورة على طراز ازهرنا الشريف لتهذيب النفوس المتعطشة الى العلم النافع وهذا التهذيب مما يساعد على انتشار الامن والامان والمثل يقول (كل مدرسة تغلق سجنا)

انه لو حصل ذلك لكانت ترتاح أرواح الواقفين فى قبورهم . وهذا ماعن لى أبديته ورائدى طلب الاصلاح وحب الخير

اول دار للعبادة

كانت لاتزال فى نفسى رغبة شديدة لزيارة دار الارقم بن ابى الارقم المعروفة الآن بدار (الخيزران) وقد تنبه كما قلنا على المطوفين بان لا يلفتوا أنظار الحجاج لمثل هذه الاماكن فسألت رجلا من البدالين يجلس امام حانوته فاشار الى زقاق قريب من الصفا فدخلته ووجدت فى انتهاءه الى اليسار دارا مغلقة ومكتوب على عتبة بابها من الاعلا كلمات مذهبة وكان رجال من أهل مكة جلوسا امام دورهم بالزقاق وقد تأثرت حتى اغرورقت عيناي بالدموع أسفا على غلق هذه الدار وهي أول مكان عبد الله تعالى فيه على دين الاسلام الحنيف

فان كان منع الناس عنها لتبركهم بمن كانت البركة مجسمة فى ذاته الشريفة فلنتمسح باعتابها ولنمرغ جباهنا على أرضها تبركا بذات الله عز وجل الذى عبد فى هذه الدار

كما وان التاريخ يكتب لها صفحات من تبر مسبوك لانه خرج منها سيدنا حمزة بن عبد المطلب على رأس صف من سادتنا الصحابة وسيدنا عمر بن الخطاب على رأس صف آخر وخرجت نواة الاسلام الممثلة فى أنوار هؤلاء الاقمار أقمار الهدى والرشاد وهي تدرج الى الحرم الشريف . خرج هؤلاء الكواكب المتألقة وبينهم السيد الكامل صلوات الله وسلامه عليه وكانوا لايتجاوزون الاربعين عدا الى ان وصلوا الى البيت المطهر ليعبدوا الله جهرة كما عبدوه خفية وهذا شأن عظيم يجب ان نحفظه لهذه الدار

القوم عندنا فى مصر يعتنون جد الاعتناء بحفظ آثار الملوك والامراء وكان أولى بنا ان نحتفظ بالآثار التى درج الاسلام منها حتى ترعرع واشتد ساعده بفضل الله تعالى وبفضل مثابرة هؤلاء السادة على الجهاد فى اعلاء شأنه حتى أصبحنا نتنعم بنعمة الاسلام التى لاتعادلها نعمة أخرى فى هذا الوجود

وايضا فى الطواف

لايخلو يوم من أيامنا السعيدة التى تشرفنا فيها بالاقامة فى هذا البلد الامين الا ونحن نطوف بالبيت المطهر أو نصلى فيه أو نشاهد الكعبة المشرفة حيث قد ورد ان الله سبحانه وتعالى ينزل فى كل يوم وليلة مايه وعشرين رحمة على هذا البيت المطهر منها ستون للطائفين وأربعون للمصلين وعشرون للناظرين

وما أحسن منظر الطائفين وهم فى المطاف يموجون كالبحر الزاخر فمرة ترى نفسك بجوار بناء البيت لصيقا به ومرة تقذفك الامواج خارج المطاف وترى الوف الورى وهم يتضرعون ويبتهلون ويخشعون ويبكون ويتباكون

وما أحسن هذا المنظر المفرح حين ترى الديموقراطية تتمثل بأكمل معانيها فى هذا الطواف فالناس كلهم سواسية يطوفون فى مقام واحد لافرق بين الامير والحقير والرفيع والوضيع والعبد والحر الكل سواء فى المطاف لايزاحم احد احدا ولا يعتدى احد على احد

جبلة بن الايهم

اننى وأيم الله ان لم أكن مسلما لوددت ان أكون مسلما لان روح الاسلام العالية وتعاليمه القويمة تمتزج مع الفطرة فترتاح اليها النفس ويهدأ لها الحس

وقفت أتأمل فى هذه الديموقراطية الحقة والمساواة العادلة فراح بالى إلى حكاية جبلة بن الايهم الغسانى أحد ملوك الدولة الغسانية بغوطة الشام وقد أسلم وذهب إلى الحج ولما كان بالمطاف داس على ردائه أحد الاعراب فتلبس بالغضب وصفع الاعرابي على وجهه فالتجأ هذا الى أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب ليشكو له هذا الاعتداء وقد أبت عليه نخوته أن يقبل الدية مطلقا بل ظل متمسكا بطلبه فى القصاص لهذا صمم سيدنا عمر على أن يقتص من جبلة ولكن هذا كبر لديه أن يتساوى ملك مع سوقة فى الحقوق فهرب إلى هرقل ملك اليونان بالقسطنطية وتنصر هناك .

فليتأمل عشاق المدنية الحديثة فى مبادىء دينهم السهل الحنيف الذى هجروه فجهلوه والانسان عدو مايجهله

الرقيق والاسلام

قد حافظت الحكومة السعودية على تقاليد اسلافها فى خدمة الحرم

الشريف واستمر الاغوات على خدمتهم له وسيأتى يوم ينقرض فيه هؤلاء الخصي لان النخاسة أصبحت ممقوتة فى نظر العالم باجمعه وقد انتشرت فكرة الغاء الرقيق فى كل مكان

ومن الغريب أنك تجد الافرنج ونفوسهم تذهب حسرات على الرقيق وفى الوقت نفسه تراهم يوقعون شعوبا وأمما فى حبائل اسرهم واسترقاقهم

ثم هم يدعون بأنهم أصحاب فكرة الغاء الرقيق وقد سبقهم الاسلام الى هذا الفضل لانه يحث الناس على التزوج من الاماء والحكمة من هذا أن يقل الرق تدريجا ولكن المسلمين لم يفطنوا إلى هذا الاصلاح العظيم وظلوا متمسكين بالتسري ارضاء لنفوسهم

التضلع من زمزم ايضا

كانت تحلو لنا اليقظة وقت التهجد فقمنا قبل فجر يوم الاثنين ٢ الحجة ٢٠ ابريل وتشرفنا بالدخول إلى الحرم الشريف حتى نتمكن من التضلع من ماء زمزم المبارك فى وقت ليس فيه زحام فنضح لنا الزمزمي بالدلو شربنا وفرحنا وسررنا . ولقد تذكرت يوم أن وقف الانسان الكامل وطلب أن يملأوا له الدلو ليتضلع منها وقال (لولا أنى أخشى تزاحم الناس على السقاية لملأت بنفسى) ودار فى ذهنى أيضا ذكرى أيام السقاية لحد أن وصلت الى سيدنا العباس بن عبد المطلب وكان لها شأن عظيم فى الجاهلية وصدر الاسلام لانهم كانوا يملأون الاحواض من هذا الماء المبارك ويخلطونه بالتمر والزبيب ويقدمونه شرابا سائغا للحجاج وكانت قريش تعمل هذا افتخارا حيث كان عندها السقاية هذه وعندها أيضا الرفادة وهي

ضيافة الحجيج والحجابة وهي مفتاح الكعبة المشرفة وغير ذلك من التشريفات.
أما الشرف الاعظم هو ظهور النبوة العالية منها زادها الله شرفا وعزا!

ويوجد ناس بالحرم الشريف يتخذ الواحد منهم جانبا من أي مكان به ويملأ بعض القلل الفخار ويبقيها عنده حتى تبرد ويعرف هذا الرجل باسم الزمزمي ويستخدم عمالا من تحت يده يسقون الناس. وكل مطوف يلحق حجاجه (الموسرين) عند واحد من هؤلاء الزمزميين ليجلسوا عنده ويأخذوا أيضا كفايتهم من الماء المبارك

وكان الزمزمي الخاص بنا يبعث الينا الماء المبرد (في القلل) من زمزم المبارك ثم يحضر الصبي في اليوم التالي. ويأخذ الفارغ ويحضر بدله الملآن. وكان يبعث الينا بالصفايح المملوءة من هذا الماء أيضا للاستحمام به مرات عديدة كذلك وقد بعثنا اليه بالقماش الذي استحضرناه للكفن لاجل أن يباركه بالغسل من ماء زمزم المبارك

هذا وبعض الناس يملأون بعض العلب الصفيح من ماء زمزم المبارك وتلحم هذه الصفايح بالقصدير ويأخذونها الى بلادهم للتبرك ولكن أغلب هذا الماء يعتريه الفساد فيتغير طعمه

احرام الكعبة المشرفة

وفي هذا اليوم أحرمت الكعبة المشرفة بان رفعت الكسوة الشريفة من الارض الى الاعلا نحو المترين ووضع مكانها قماشا أبيض

وكنت استحضرت معي طيبا لاضمخ به الكعبة المطهرة

وكنت أسمع من بعض النسوة المصريات المترددات على الحج وهي ترى الكعبة محرمة فتقول (عقبي لكل سنة ياأختي) فكنت لا أتملك نفسي

من الضحك من شدة السرور لهذا الكلام الفكه الصادر عن سلامة نية وسذاجة ولكن المقام يقتضى التأدب لانه من اللازم ان يتأدب الطائف فى الطواف كما يتأدب المصلى فى الصلاة

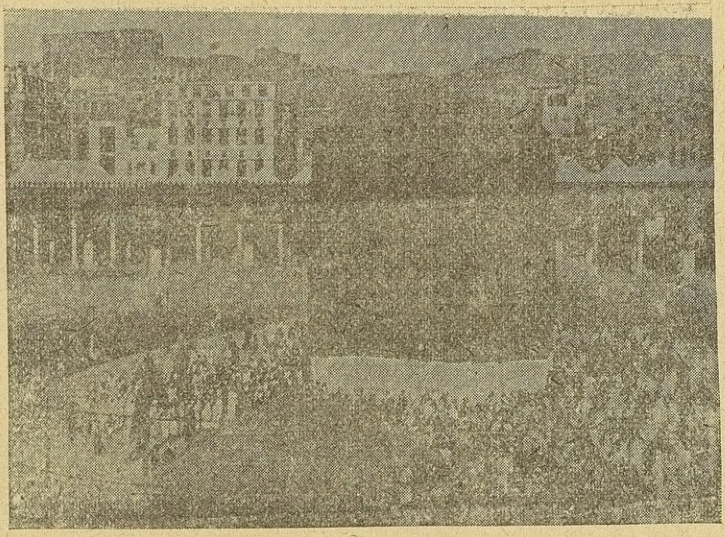

الكعبة المشرفة فى الاحرام

اننا لو أخذنا كلام هذه المصرية على ظاهره لعددناه بساطة بل نذهب الى أكثر من هذا فنعده بلاهة ولكن عند ما نوجهه الى حقيقته نجد انه دعاء للمسلمين بان العقبى للكعبة فى بقاء الاسلام قائما مرفوع الرأس راغما أنف حساده ومبغضيه حتى يأتى ابناؤه ويحجون اليها فى كل عام

ونجد أيضا انه دعوة الى المسلمين ونداء لهم بان يحجوا حتى يجنوا فوائد الحج العظيمة مادية ومعنوية وحتى يقيموا ركن الاسلام الخامس ادامه الله قوي الاركان مرفوع البنيان وان يلهم أهله بتعرف كنهه حتى يعبد الله تعالى حق عبادته فى الارض ليتفضل ببقاء أهلها عليها لان الاسلام هو الدين الذى اختاره عز وجل لعبادته بدليل قوله تعالى (ان الدين عند

الله الاسلام) واذا لاقدر الله وانقرض الاسلام فلا بقاء للنوع الانساني على ظهر الارض لقوله تعالى (وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون ماارید منهم من رزق وما اريد ان يطعمون)

الاخلاق فى مكة

لم تزل نفسى تواقة الى التبرك ببئر ذى طوى فذهبنا عند الاصيل الى جهة جرول وهناك تبركنا بماء هذه البئر وهو فيه بعض الملوحة ثم استأجرنا عربة صندوق من هناك سارت بنا من الخلاء من ناحية كداء إلى أن وصلنا المجزرة فالمعلاة فأوقفنا العربة قليلا لنستدر الرحمات على هذا الجدث الطاهر الذى ضم رفات السيدة الجليلة خديجة بنت خويلد وقد تقدم الينا ناس من البدو يحترفون الشحاذة وبينهم رجل عجوز لطلب الصدقة ولما سبق وأن زعت عليهم منها قبل هذه المرة فاعتذرت بعدم وجود (فكة) معى فقال العجوز إذا أردت أن تفك ريالا أو نصفه أفكه لك فتسرعت ورددت عليه أنه ما دام عندك هذا المقدار من المال فلماذا تتسول ؟ فانهال علي دعاء وشتما وتقريعا وكان جوابى عليه السكوت التام كما أمرنا الله تعالى فى قوله الحكيم (الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الالباب)

ان هذا الرجل هو من حثالة البدو وما ينبغى أن اتخذ وقاحته هذه مقياسا لاخلاق المكيين لانه ليس منهم . ولقد ينسب البعض الى المكيين شيئا من الحدة فى الاخلاق ولكن الذين يعنونهم هم طبقة البياعين والمكارين ومن اليهم وهؤلاء مثلهم فى كل أمة

أما الطبقة المتنورة فهي على جانب عظيم من حسن الخلق . ولكنهم لما وجدوا أنفسهم وهم يأوون الى ركن ركين من جوار بيت الله المحرم فهم يعتزون بهذا الجوار وياحبذا هو من جوار

شيء من التاريخ

مشؤومة جدا كانت رصاصة سراجيفو التى اشعلت البارود فى أوروبا حتى اندلع لهيب النار فى القارات الخمس . وكان دم الارشيدوق ولي عهد النمسا كدم السيد يحيي بن ذكريا صار يفور ويغلى ولم يهدأ حتى أريق عليه دماء الملايين من البشر وكأنى بالفتنة وقد استيقظت حتى أصبح العالم كريشة تتقاذفها الرياح فلا تستقر على حال حيث ترى المؤتمرات والانتقالات والسفر الى العواصم كل هذا خوفا من شبح الحرب حتى تجد كبار الساسة يضعون أكفهم على وجوههم حتى لا يروا هذا الشبح المخيف ينقض على الانسانية مرة أخرى فيقلق بالها

هذه الحرب الضروس قد غيرت معالم كل شيء حتى جعلت المرأة تثور على المجتمع فبعد ان كانت المرأة الافرنكية تشد (البوست) على خصرها لتحجب ردفها وتقاطيع جسمها وتضع نقابا خفيفا على وجهها أصبحت والسفور لا يكفيها بل انها اقتصت من أطراف ثوبها حتى أظهرت ماتحت الفخذ وما فوق الساعد ولم يكفها أيضا انها تركت البيت ينشد سوء حظه بل انها تريد ان تزاحم الرجل كتفا لكتف فى الحياة العملية . ومن الاسف اننا نرى عندنا بعض القوامين على النساء وقد رضوا من نسائهم بمجاراة المرأة الغربية ولا يعلم الا الله تعالى الى أي مدى تصل بنا هذه الحالة الهادمة لكيان الامم

كانت الانسانية قبل الحرب ناعمة البال هادئة السر وكانت دولة الادب عالية الذرى رفيعة العماد فبينما ينقلون الينا شعر بيرلوتى وأدب مدام آدم جولييت وغيرهما من كتاب الافرنج اذا بنا نرى بنات القرائح يتضوع اريج زهرها فى شعر شوقى وحافظ وصبرى وأدب المويلحي ومحمد مسعود وعلى يوسف ومصطفى كامل وحافظ عوض والبشري وغيرهم من أعلام البيان وفحول الكتاب والادباء

ومن ناحية أخرى كنت تسمع صرير الاقلام على قراطيس الصحف وهي تنقل اليك أدب الجاحظ وشعر أبى الطيب والفرزدق وغيرهم

وبجانب هذا كانت أسرة الطرب تعطف على الانسانية فتحيي وجدانها وتوقظ شعورها بما تشنف به مسامعها من نغمات الحان المثانى ونبرات أصوات المغانى التى كانت تزيح الوجد المبرح بالنفس وتنفس الكرب عن القلب المحزون . وكان عماد هذه الاسرة عبده افندى الحامولى والشيخ يوسف المنيلاوى ومحمد افندى عثمان وفى الطبقة الثانية منهم الكثير من الفنانين

ولقد ذكرت هؤلاء لاذكر الشيخ يوسف المنيلاوى وقد دعى بعض أصدقائه لحفلة سمر خصوصية بمنزله بكوبرى القبة وكان ضمن المدعوين عبده افندى الحامولى فتناول العود ليجامل زميله وصديقه وتصادف ان دخل أحد اصدقاء الشيخ يوسف وكان لايعرف الحامولى فقال هذا الصديق على الشيخ يوسف وهمس فى أذنه (من هذا الذى ينعر دعه ينقطنا بسكوته وغن لنا انت ياشيخ) فاجابه الشيخ (هس. هذا عبده افندى الحامولى) فاعتدل الرجل فى جلوسه وقال (إيه . الله الله . كمان والنبي ياسي عبده)

الاعتذار

قلت لمن أتحدث اليه من أصدقائى بعد ان قصصت عليه هذا القصص مارأيك ومعظم نجاح الاعمال يتوقف على بعد الصيت وسعة الشهرة ولقد أقدمت على كتابى هذا ولا شهرة لدي تجعل القارىء ينظر الى الكتاب نظره الى شيء قيم ؟

فاجابنى ان قيمة المرء وما يتقنه وانه لكل كريم هفوة ولكل جواد كبوة فاعتذر الى القراء كما يفعل الكرام الكاتبون فى مستهل كتبهم . وهاانا ذا استميح القراء عفوا ان كبا اليراع أو هفا

كلمة فى الاخلاق

وما دام ان القلم قد يجد من حسن ظنه بالقراء كهفا يلجأ اليه من ملالهم فأنه يكتب الآن شيأ عن الاخلاق بغير اسهاب

اما اهل الحجاز فانهم يتمسكون بتعاليم القرآن المجيدة ويتخلقون باخلاق حكامهم المستقيمين والناس على دين ملوكهم

والمرأة الملكية يزينها الحياء والخفر وهي تحافظ على الحجاب فلا ترى الا ملابسها تستر جميع بدنها ولو فتحت على نفسى بابا من المقارنة بينها وبين المرأة المصرية لما استطعت غلقه فى كلة أو كلمتين وامامى هنا فى مكة المكرمة النسوة المصريات اللائى حضرن لاداء فريضة الحج وهن يسرن متبرجات غير متحليات بحلية الادب والكمال بينما ترى النسوة الحجازيات والجاويات والهنديات والشاميات حتى والسودانيات جميعهن متمسكات بالحجاب

ويا حبذا لو فكرت حكومتنا السنية فى تعيين ملاحظين لحفظ

الآداب مدة الحج ليرجعوا هؤلاء النسوة الى حظيرة الحشمة والوقار حتى لاتشوه سمعة الامة المصرية بين الامم

الحجاب والاستهتار

بالطبع ان الكلام عن الحجاب تمجه أذواق الطبقة التى تعودت على مخالطة النساء فى أوروبا وهم ينظرون الى الحجاب نظرهم الى الشيء البالى العتيق لظنهم انه حجر عثرة فى سبيل العلم وما هو كذلك بل ان البنت البعيدة عن الاختلاط بالجنس الآخر يكون ذهنها خاليا من الغزل ومن الغراميات فيجد العلم فيه موضعا سهلا وموطنا خصبا وفضلا عن ذلك فان الحجاب يحفظ الانساب وهو عون للأسرة على ادارة البيت ادارة حازمة (ومن انقطع الى شيء أتقنه)

المثل يقول (لاحلاوة بغير نار) ومعنى هذا ان كل شيء يحتاج الى تضحية ولقد ضحينا كثيرا بل وكثيرا جدا حتى قذفنا بفلذات أكبادنا فى أتون الاستهتار والاستخفاف بالقوميات ازاء عودتهم للوطن مزودين بالعلم الذى ينهض بالبلاد الى الرقي والحضارة ولكنهم يعودون الينا وهم ينكرون كل ماألفوه فى وسطهم المصري ويريدون ان يصبغوا البلد بصبغة أجنبية وهذا خطر عظيم على قوميتنا وعلى كياننا

وعسى ان تقوم جامعتنا المصرية مقام جامعات اوروبا فى تثقيف الناشئة وتعليمها حتى نصبح ولا نحتاج الى بلاد المجون التى يقع فى حبائلها عماد المستقبل للبلاد

العلم والعقوق

لقد جبلت النفس على ان تكون أمارة بالسوء وكنا نأمل من هذا

العلم ان يهذب نفوس المنتسبين اليه وان يأخذ بيدهم الى رحبة الفضيلة الواسعة حتى يقلعوا عن العقوق بالوطن والوطن فى حاجة الى أبناء برره مخلصين

ان الوطنية ليست شقشقة ولا هي اجهاد الحناجر والهاب الاكف بل الوطنية الخالصة هي ان نتكاتف على اعلاء شأن الوطن ماديا وادبيا وان نتوخى النهوض به حتى يسمو الى مجده القديم

اليس من العقوق بالوطن ان يستعمل الشاب كل وسائل الحيل حتى يسلب الفتاة اثمن شيء لديها وهي العفة والعفة قد تراق على جوانبها الدماء . وان تمشي المرأة المصرية وهو يوجه اليها الكثير من هزج القول وفحش الكلام وهذه المرأة هي من بنات الوطن ويجب علينا حمايتها ؟

اليس من العقوق بالوطن ان يهتك ستر المصونات الابكار ويعبث بالاعراض والاعتبار ثم هو يستغني بهذا الفساد عن التناسل المشروع وقد يعتز الوطن بسلالة بنيه الابرار ؟

اليس من العقوق بالوطن ان ينفق مال الوطن فى الملاهى وفى بؤر الفسوق والعصيان والوطن فى شدة الحاجة الى هذا المال ؟

وأخيرا اليس من العقوق بالوطن ان يفضل الزواج من الاجنبية ويترك مواطنته تندب حظها التعيس ؟

فى شأن الزواج

ولقد وصلنا مرغمين إلى الكلام عن الزواج وهو قد أصبح فى هذا العصر من المشكلات العويصة والمقام هنا لا يسمح بأن نطيل البحث فى موضوعه ولكننا ننحي باللائحة على من عقدوا مسألته حتى صارت أعقد

من ذنب الضب وهؤلاء هم الذين تنكروا لكل شيء مصري وهم لو ضحوا بشيء من ميولهم وبروابوطهم لرأوا أن الواجب يقضى على كل منهم بأن يتملك عواطفه ويروض عروسه حتى تأنس بطباعه وأن يحاسنها ويلاطفها لانها بطبيعة خلقها ضعيفة وتحتاج إلى المواساة

وما دامت أن البنت كاتبة حاسبة ومؤدبة ونزيهة فهذه هي الزوج الصالحة . ولكن شيئا آخر يطلبه المتفرنجون . أنهم يطلبون الوارثة المثرية المتفرنجة المتبرجة برفع النظر عن الاخلاق أو الدين أو الناموس

ثم وهذه الامة التى يأمرها دينها بالتبكير فى الزواج لاكثار النسل وهي لا تصدع بأمره بينما أمة الالمان تفرض ضريبة على الاعزبين حتى ترغمهم على الزواج . ولقد سمعنا عن أمة الترك أنها لا تسلم رخصة السيارات الى السواقين إلا اذا قدموا شهادة تثبت زواجهم وهذا من قبيل الحث على الزواج حتى يعول الرجال النساء

ياحمـــاة الامن

الان وقد استفحل الداء وعز الدواء (وأخر العلاج الكي كما يقولون) فأننا نجأر الى القائمين بالامر فينا ونطلب منهم حماية المرأة باسم القانون الذى هم حماته . نطلب منهم صيانة الفضيلة التى هم نصراؤها . نطلب منهم تنفيذ القوانين واللوائح التى تأمر باقامة بوليس الآداب ليحمى الآداب من أيدى هؤلاء المقوضين لدعائم العمران والاجتماع

ياحماة الامن . انه عند ما تهرق دماء الفضيلة على مذبح الشهوات يضطرب حبل الامن فتصبح مهمتكم شاقة فاعملوا على حفظ اخلاق الامة حتى لاتتدهور إلى مهاوى الرذيلة فتذهب ريحها وتفشل فى كل أمورها

الدين واخلاق القرآن

أننا لو ذكرنا هؤلاء المفتونين بالدين وأخلاق الدين يقولون رجعيون يريدون أن يرجعوا القهقري بالامة عدة أجيال وما هذا الا من جهلهم بالدين

فالدين لا يامر بالفحشاء لان الله سبحانه وتعالى يكرم الانسان ويربأ به أن يجعله كالسوائم ضائع الانساب (يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن اكرمكم عند الله أتقاكم) - قرآن كريم -

الدين يامر بأخراج الزكاه حتى لا تستيقظ فتنة الاشتراكية التى ترتعد منها فرائص العالم وترتجف لها كل أعصابه

الدين يبعدكم عن الخمر والميسر لحفظ أموالكم التى هي قوام حياتكم..

وبالجملة ان كل تعاليم الملة الحنيفية هي لسلامة النوع الانساني وحفظه من شرور نفسه ونزغات عدوه أما ما سوى ذلك فان الله سبحانه وتعالى لا تنفعه عبادتكم ولا تضره معصيتكم (ان تكفروا انتم ومن فى الارض جميعا فان الله لغني عن العالمين)

هذا ولا بد أن أذكر شيأ من اخلاق القرآن الكريم حتى يتجلى جلاله وجماله البهيج أمام أنظاركم حيث يقول الله تعالى عز وجل

(وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين إحسانا اما يبلغن عندك الكبر احدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما. واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا. ربكم أعلم بما فى نفوسكم ان تكونوا صالحين فانه كان للاوابين غفورا. وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا. ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا. واما تعرضن عنهم ابتغاء

رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا. ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا . ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا . ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا . ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا . ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل انه كان منصورا . ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤولا . وأوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا . ولا تقف ماليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا . ولا تمش فى الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا)

ثم يقول عز شأنه فى موضع آخر عند وصاية لقمان لابنه

(يابني أقم الصلاة وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ان ذلك لمن عزم الامور . ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الارض مرحا ان الله لايحب كل مختال فخور . واقصد فى مشيك واغضض من صوتك ان أنكر الاصوات لصوت الحمير . ألم تروا ان الله سخر لكم مافى السموات وما فى الارض واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة)

الامن والعدل ايضا

والامر الذى كان يستلفت نظرى انه عند ماكنا نتفسح فى أنحاء البلد لم نجد أحدا من الحجاج يمشى فى الخارج مطلقا وهذا ناشىء من الخوف الذى تأصل فى النفوس من السيرة القديمة ايام كان البدو يفتكون بالحجاج

كلما انفرد أحد منهم ويدخلون البيوت التي يسكنون بها وخصوصا الطبقة السفلى منها ويقتلونهم ويسلبون أمتعتهم .اما الآن فانك تجد الدور مفتوحة ولا يغلق باب على أي دار حتى وان الغرف التي كنا نسكن بها ليست لها أبواب بل كنا نجعل ساترا على الباب ليحجب الانظار فحسب وما هـذا الا من هيبة الحكومة وسطوتها ومن عامل الله وجده

نعم ان من يجعل رضاء الله تعالى نصب عينيه لابد ان يكلأه ويرعاه ويسهل له الصعاب ويلين له قلوب العباد . ولما كانت هذه الحكومة السعودية تحكم البلاد فى حدود أحكام الشريعة الغراء فانها تمكنت من اقامة قسطاس العدل حتى لزم كل فرد من أفراد الرعية حدود الاستقامة فلم تجد سارقا ولا ناهبا ولا فاتكا ولا مستهترا ولا فاسقا ولا ولا

تتفزز عواطف المتمدينين وتسيل أكبادهم رقة وحنانا على من تقطع يده فى حد السرقة فلماذا لانقطع يمين هذا السارق حتى يرعوى النـاس عن السرقة ونكون قد ضحينا بفرد لاجل سلامة المجموع . وهـذا أزكى وأبلغ من الحكم بالنزول فى (تكايا) السجون فيعود المجرم الى الاجرام بشراهة . ولو أقمنا الحد أيضا على من يعاقر الخمر ماوجدت سكيرا يتخبط بين الحوائط ثم يتمدد فى الشارع حتى يمضى ليلته نزيل السجون

لما دوخ سيدنا ومولانا عمر بن الخطاب بلاد اليونان واقتص من أطراف ملكها أرسل اليه القيصر هرقل من يودى بحياته الغالية غيلة ولما ذهب هذا المغتال الى المـدينة المنورة وصار يتعقب سيـدنا عمر الى ان ذهب خارج المدينة فوجده نائما تحت ظل شجرة ووجد وحشا كاسرا يلعق قدمه فقال الجاسوس (عدلت ياعمر فحرستك السباع) ثم عاد أدراجه ولم يفز بطائل فالعـدل هو أساس العمران والعدل تستقيم به البرايا

حمـــام الحمى

كنا نلقى الحب الى حمام الحمى وما أجمل هـذا الحمام وهو يملأ الحرم الشريف وكل دور مكة المكرمة ولا يقربه احـد بسوء (لان الصيد فى الحرم حرام)

وهذا الحمام موجود من قبل الاسلام لانه مذكور فى شعر الحارث بن مضاض من الجرهميين الذين كانوا ولاة البيت . وقيل ان الحمامة التى عششت وباضت على غار ثور وقت ان اختبأ فيه الحبيب والصديق عند الهجرة الشريفة هي من جنس هذا الحمام حتى دعى لها سيدنا مجاب الدعاء بالبركة . وقيل ايضا بان حمـام الحمى هذا قد ظلل على الفـاتح العظيم يوم الفتح الاعظم لتقيه حر الشمس ومن التجأ الى اعتـاب مولاه يسخر له كل شيء

ولقد لاحظت ان هذا الحمام لايقف على سطح الكعبة المشرفة الا نادرا جدا

ولحرمة الحرم الشريف وهيبتة قد جعلت له حدود يأمن فيها الحيوان والنبات من التعرض لهما فيمنع فيها الصيد ويمنع ايضا ان يعضد شوكها أو يختلى خلاها (اى حشيشها) ويقول الله سبحانه وتعالى (اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم) وقال تعالى ايضا (وجعلنا البيت مثابة للناس وامنا)

الجمعة الثالثة بالحرم الشريف

وكانت توافق ٦ الحجة و٢٤ ابريل ولما تشرفنا بالدخول لاداء صلاتها

بالحرم الشريف كان الزحام بالغا أشده لان الحجاج كلهم مجتمعون استعدادا للوقوف بعرفة وكان منظر الناس وهم جلوس حول الكعبة الشريفة يروق للاحداق وكانت تشرأب اليها الاعناق . وهم يولون وجوههم شطرها من جميع الجوانب وهي فى الوسط كالقمر تحيط به هالته

ان معظم الحرم ليس مسقوفا والشمس محرقة ولم يكن بأرضه فراش يجلس عليه الناس بل كنت أرى المطوفين يستحضرون أكلة زرقاء لحجاجهم وهي من نوع واحد الامر الذى فهمت منه ان هذه الاكلة من متعلقات الحرم الشريف

ولقد فرشت سجادتي على الحصى وجلست تحت المظلات (التندات) الموضوعة من الخشب امام البواكى اما صاحبتى فانها جلست فى المحل المخصص للنساء .

وبعد ان أدينا الفريضة وخرجنا من باب العمرة تفقدت (كيس) الفضة فلم أجده وكان به نحو الاربعة ريالات سعودية (فكه) وانا الذى فرطت فى الاحتفاظ به بل انا الذى أغريت الحرامي على السرقة لاننى كنت أخرج منه النقود للفقراء الذين حولى ثم وضعته فى الجيب الخارجي حتى تمكن النشال من نشله بسهولة اثناء الزحام وهذه الحالة الشاذة لا تعتبر قاعدة لحصول ما يماثلها من السرقات لاننى لو كنت احتفظت بهذا الكيس كما أحتفظ بالنقود الاخرى ماكنت فقدته

اهل جاوة

انك لتجد أغلب الحجاج فى مكة من الجاويين والمكيين اعتناء خاص بقدومهم لانهم أكثر الحجاج نفعا لهم وهم يأتون من بلادهم كل عام قبل

الحج بنحو الخمسة أو الستة شهور ومذهبهم المبادرة الى الحج مادام الشخص منهم قد شب عن الطوق لانهم لا يقولون ان الحج مفروض على التراخي بل انه يجب حالا عند الاستطاعة

وتراهم أيضا يحضرون الى مكة حتى يروحوا عن أنفسهم من استبداد دولة هولندا التى اغتصبت حرية بلادهم وهي تضيق عليهم الخناق فى شخصياتهم ومعتقداتهم كما هو شأن المستعمرين كلهم فانهم ينظرون الى الامم التى رماها سوء الطالع بالوقوع بين براثنهم نظرهم الى قوم متوحشين فيعاملونهم معاملة السوائم

ولا يزال يرن فى أذاننا أصوات استغاثة هذه الامم من استبداد هذه الدول بهم وما حادثة تنصير شعب بأسره عنا ببعيد

هذا وقد تنبه الجاويون الآن وعرفوا انه لا معنى لليأس مع الحياة ولا معنى للحياة مع اليأس فشمروا عن ساعد الجد لينهضوا ببلادهم من طريق تلقى العلم فتراهم يبعثون البعوث منهم الى مصرنا العزيزة وبعضهم يتلقى العلم بالازهر الشريف والبعض يلتحق بالمدارس المصرية

المدارس فى مصر

كل من يقول أن السياسة لا قلب لها فهو صادق لانها عندما تريد السير من اي ناحية فلا تبالى بان تجرف كل ما يصادفها من خير ومن احسان حتى لا يعوق طريقها عائق فكان محور سياسية اوربا فى الشرق يدور حول محاربة هذا الدين الحنيف لعلمها بانه دين المدينة الصحيحة دين الاجتماع والعمران فلهذا قد تداخلت سياسة اوربا فى مدارسنا المصرية وقت ان كان لها السيطرة عليها فمنعت اقامة الصلاة وامرت بالغاء تدريس القرآن والديانة بها. ولكن

الحمد لله قد ارتحنا الآن كثيرا عندما وجدنا من المشرفين على ادارة التعليم عناية عظيمة بالاخلاق يشكرون عليها

وقد عددنا منع اختلاط البنين بالبنات والغاء المدارس التى كانت تندى جبين الفضيلة عددنا هذا بانه فاتحة خير نرجوا ان نصل بعدها الى ما نأمله من تقويم الناشئة والعود الرطب يمكن تقويمه بسهولة

الشرق والغرب

من يوم ان نشآ وهما فرسا رهان او فارسا ميدان وطيلة عمرهما وهما يشدان طرفي الحبل فمرة غالب ومرة مغلوب وكل منهما فى كفة الميزان فمنهما راجح ومنهما مرجوح

ولكن الشرق هو مهبط الوحي ومهد العلم ومنبع النور والعرفان وقد اعتز اهله بهذه الفضائل فركنوا الى القعود وتركوا الميدان حتى احتله الغرب واستولى على ماتركه الشرق من عدة وعتاد

تدفقت سيول المعارف من بلاد الاندلس إلى أرض الفرنجة فاخصبت بعد أن كانت قحلاء مجدبة وأنبتت من الفنون ما أصبحوا يتطاولون به علينا وقد صاروا يحاربوننا بنفس سلاحنا

فانه وإن كان نجم الشرق قد أفل فانني لا أجد أبلغ من حكمة فى الشعر وهو ينهاه عن اليأس بقوله الحكيم

فدنياك يا شرق لا تجزعن
إذا اليوم ولى فراقب غدا

وكان قول (حافظ) شاعر مصر العظيم فألا حسنا على الشرق حيث أنه استيقظ من غفوته ونشط إلى السير بخطوات جبارة نحو مجده التالد

وانني أقول لهذا الشرق بأن خطواته لا تكون موفقة وسديدة إلا إذا اتكأت على سند قوي من الالتجاء الى مولانا الخالق الاكبر جل شأنه وعز سلطانه وهذا الالتجاء ينحصر فى كلمة واحدة صغيرة هي الاخلاق

فالاخلاق الاخلاق ايها الشرق الناهض فهي الحصن الحصين الذى يصون سعيك من كيد الكائدين

استعداد الناس للموقف

فى مساء هذا اليوم ابتدأنا نسمع رغاء الجمال وصياح الاعراب (الجمالين) ونشاط المطوفين وصبيانهم استعدادا لتجهيز الشقادف على الجمال لقيام الحجاج الى عرفة وكان هذا المنظر يبعث على السرور ويريح الخاطر ويثلج الصدر حيث ترى الجنسين من الحجاج يركبون فى الشقادف على الجمال والرجال منهم محرمون والنساء يلبسن ثيابا بيضاء وهن يغنين بالغناء الحجازي

وكانت امارات السرور والفرح تلوح على محياهم جميعا .وقد قام جيراننا القنائيون فى هذا اليوم الى عرفة أيضا . وكثير من الحجاج يقوم فى اليوم التالى وهو اليوم السابع من العشر الاوائل من شهر ذى الحجة هذه الايام المباركة التى أقسم الله تعالى بها فى كتابه العزيز حيث يقول جل شأنه (والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل اذا يسر هل فى ذلك قسم لذى حجر) .

وفى التروية يوم الاحد ٨ الحجة ٢٦ ابريل جهزنا أنفسنا استعدادا للقيام الى عرفات فاغتسلت للاحرام ثم أحرمت وأحرمت صاحبتى أيضا بان لبست ثيابا بيضاء (والمرأة لها ان تلبس ثيابها المعتادة) وقد وضعت على وجهها غطاء غير لصيق به

الحج عن الغير

وقد كلفت الحاج طاهر ووالده الشيخ محمد مغربى وزميله الشيخ حسن بان يحج كل منهم نيابة عن واحد من أقاربى ويسمونه بمكة المكرمة (البدل) نظير اتعاب لهم فى ذلك

ولما كان المرحوم والدى قد أدى فريضة الحج قبل أن ينتقل إلى العالم الآخر . أما المرحومة والدتي فانها ماتت قبل أن تؤدى هذه الفريضة ولما ان سبق لى الحج غير هذه المرة فقد أردت أن تكون حجتى هذه نيابة عن والدتى فقلت (نويت الاحرام بالحج نيابة عن والدتى وأحرمت به لله تعالى لبيك الخ)

وقد جاءت والدتي فى المنام إلى صاحبتى وقالت لها (أرأيت الشال القطيفة الذى اهدانيه مصطفى ؟ (أنه لشال كويس) فاجابتها (أنا الاخري عندى شال مثله)

وهذه الرؤيا التى تظهر فيها روح المرحومة والدتي غبطتها وارتياحها إلى ما أهديته اليها من الحج (الذى عبرت عنه بالشال القطيفة) ماهي إلا رد بليغ على من ينكرون انتفاع الاموات بما يفعله الاحياء لاجلهم من الترحم والدعوات الطيبات

فى طريق المشاعر

جاءت العربة بعد العصر فاخذنا الضروري من المتاع ومن الطعام وأخذنا (الزمازم) مملوءة بالماء وركبت أنا وصاحبتى قبل الغروب بساعتين

وسرنا مع عربتين تقلان ثمانية أشخاص من المغاربة ينزلون عند مطوفنا ولكنهم يقطنون بمنزل آخر

سارت العربة وقلوبنا تنبض بالفرح الذى كدنا ان نطير معه شعاعا وأخذت العربات طريقها من الغزة الى الحجون الى البياضية مع التلبية أثناء الطريق

امام القصر

مهمة القلم الآن ان يجول فى ميدان التعبير عما يدور بالخاطر اثناء وقوع أنظارنا على قصور الملك الفخمة بالمعابدة

عاهل الوهابيين الكريم يسكن القصور الشاهقة ويتنعم فى البذخ والترف حيث يجلس على فراش وثير ويتمتع فى عز نضير ويركب الخيل المطهمة والسيارات الفخمة . وكان سيدنا ومولانا المصطفى صلوات الله عليه يسكن دارا ليست مجصصة ولا مزخرفة ويعيش عيش الزهد والقناعة وكان مسجده الشريف على قامة وقد سار على سيرته الخلفاء من بعده .

فكأنى بهذا الملك العادل وهو يتمشى مع تقدم العمران فى نفسه ولا يتمشى به فى بيوت العبادة ودور الآثار الشريفة

اذن نكون اتفقنا على ان البدعة الممقوتة التى يعبر الدين عنها بانها ضلالة هي التى يغير المبتدع بها حكما من أحكام الدين فى أصوله أو فروعه مثل هؤلاء الذين ينكرون آيات الحجاب ويحبون ان تشيع الفاحشة فى المؤمنات ويتركون المرأة تمشى فى الاسواق تحيط بها نظرات الفساق وتختلط بالرجال هذا الاختلاط المزري المشين ومثل الذين يبيحون التعامل بالربا وغير ذلك من الامور المغايرة لتعاليم الشريعة الغراء

أما البدعة فى العمران وفى تحسين المساجد وتشييد دور الآثار واقامة التذكارات لعظماء الرجال فلا اخالها الا مباحة والله سبحانه وتعالى يقول (انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) فان قلتم اننا نعمرها بالعبادة فنقول ولماذا لا نعمرها بالعمران أيضا ؟

جبل النور

أقول له ياحاج ظاهر اصنع معروفا معى وبلغنى مأربى من زيارة غار حراء الذى يسمونه فى مكة (جبل النور) فيماطلنى ويثبط همتى عن التوجه اليه وقد علمت ان هناك جنديا يقف قريبا منه فلا يمكن أحدا من الصعود اليه أو الدنو منه بل يقول له (ماذا يفيدك دخول الغار وهو كهف كان يعبد الله تعالى فيه انسان ولا شيء غير ذلك ؟) . سبحان الله. اليس هذا المكان هو الذى كان يتعبد فيه أول العابدين الليالى ذوات العدد حتى شرفه الله تعالى بالنبوة وهبط فيه روح الله يلقى عليه كلام الله؟

تالله انه ليجدر بنا ان نقيم عليه قبة من الابريز الخالص ونرصعها بالاحجار الكريمة ان لم يكن لخاطر النبي الكريم فكرامة لله الخالق العظيم نعم انه يجدر بنا ان نجل ونقدس هذا المكان الذى ابتدأت منه تنزلات رحمات المولى الرحيم فانقذ عبيده من التخبط فى دياجير الشرك والضلال

ان عدم الاعتناء بهذه الآثار المباركة هو جحود للجميل وانكار للتضحية التى ضحاها اولئك الاخيار حتى جعلوا كلمة الله هي العليا وببركة جهادهم أسبغ الله علينا نعمة الاسلام والايمان

كل الامم يحفلون بتاريخهم ويدرسون لابناءهم سيرة سلفهم ويمثلون لهم الحكماء والعظماء منهم أحسن تمثيل . أما نحن فنقطع صلتنا بالماضى

ونخاف من التمسح بالاعتاب لانه كفر ونفاق . والحال انك لو سألت انسانا من السذج البلهاء عن هذا القبر أو الاثر لاجابك على البديهة ان صاحبه ولي الله ولا نحبه لذاته بل لصلته بالله سبحانه وتعالى

سرنا بعد البياضية بقليل واذا بصراخ يأتى لنا من الخلف (ان قفوا لان عربات الافغاني تعطلت) والافغاني هذا يقولون عنه انه حاكم (كابول) حاضرة بلاد الافغان وقد أقبل الى الحج ومعه زوجه وابنه ونساء ورجال أخر يبلغ عدد الجميع تسعة أشخاص وقد نزلوا عند مطوفنا أيضا واستأجروا لقيامهم الى عرفة عربتين من نوع الصندوق ولما قاموا من مكة المكرمة وتعطلت العربات استوقفونا لاجلهم فوقفنا قبل الغروب بجوار استراحة من الاستراحات العديدة التى فى الطريق وبها المياه الباردة والشاي والقهوة

أوقف الغلام صالح السوداني حمار العربة التى تقلنا وكان حمارا صلبا جسمه كالبغل ويسبق الخيل وكان لا يقف فى طريقه الا اذا أوقفوه وأيضا كانت حمولته خفيفة فلم يحصل له عطل طول الطريق

نزلنا وكان خير منزل وأكبر فضل وأعظم منة من الله سبحانه وتعالى ولو كان نزولى هذا لكسب بدرات من المال مافرحت كفرحى بغار حراء الذى كان امامنا مباشرة

هذا غار حراء الذى كان يتردد عليه سيدنا رحمة العالمين الايام العديدة يقوم فيها بعبادة ربه سبحانه وتعالى حتى أتاه الحق اليقين وأنزلت عليه أول آية من آيات ربنا عز وجل (اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم)

تذكرت عند ماكان يغطه الملك بالغار حتى يبلغ منه الجهد أثناء

عرض القراءة عليه ثم ينزل عليه السلام من الجبل وفرائصه ترتعد حتى يصل الى زوجه الكريمة السيدة خديجة ولما أخبرها الخبر طيبت خاطره وعطفت عليه بقولها (انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق فلا يخزيك الله أبدا) ثم انطلقت به الى ورقة بن نوفل (وهو امرؤ تنصر فى الجاهلية وعنده علم من الكتاب) وقالت له (أي ابن عم) استمع من ابن أخيك فاخبره الصادق المصدق خبر مارأى فقال له ورقة هذا الناموس الذى انزل على موسى ياليتنى كنت فيها جذعا اذ يخرجك قومك قال (أو مخرجي هم ؟) قال نعم لم يأت رجل بمثل ماجئت به الا عودي وإن أدركت يومك لأنصرنك نصرا مؤزرا

تذكرت كل هذا وتخيلت خطواته الميمونة نحو الغار وهو ذاهب اليه ثم يعود منه ميمون الطلعة محمود النقيبة وكم كنت اتمنى ان أمرغ خدى على مواطىء أقدامه الشريفة

هذا وقد صلينا المغرب بجانب جماعة من العساكر السعوديين الهجانة وهم بثياب الاحرام بسبب طلوعهم الى عرفة لحفظ الامن والنظام

القومية الشرقيـــة

كنت أعجب بالضباط السعوديين وهم بزيهم العربي وكوفيتهم الحريرية وعقالهم القصبي ويمتطون الهجن ويلاحظون مع عساكرهم حفظ النظام والحمد لله انه لم يحصل أي حادث مكدر بالطريق مطلقا

انني أكبر من هؤلاء القوم تمسكهم بقوميتهم الشرقية والمحافظة على زيهم العربي وهم يحملون أحدث الاسلحة

انك تجد العساكر فى عاصمة القطر الحجازي وفى المدينة المنورة أيضا يلبسون البدلة الخاكي مع الكوفية والعقال ولا بأس به من نظام

ولقد شاهدت حضرة الملك مرة وهو ذاهب الى الحرم الشريف لحضور غسيل الكعبة المشرفة ورأيته مرة أخرى غير هذه وهو بزيه العربي وكان يركب سيارة فخمة وفى مقدمتها على السلم جنديان يقف كل منهما على جانب منها وهما يلبسان ملابس حمراء عربية مزركشة ويتلو سيارته رتل من السيارات يقل حاشيته وخواصه وكنت أود ان أهتف له بالحياة لاعجابي بعدله الذى جنينا ثمراته من أمن الطريق

وكنت أعجب أيضا بكثير من الشرقيين لمحافظتهم على تقاليدهم كالمغاربة مثلا فان الفرنساويين يحكمونهم ويتحكمون فى أمورهم ومع هذا تراهم يحتفظون بزيهم حتى وان مولاي يوسف سلطان مراكش تجده بملابسه الوطنية فى احتفالات الافرنج وسط بلادهم . اما الهنود فحدث عن تفانيهم فى المحافظة على شرقيتهم وهذا زعيم الهند الاكبر (غاندى) وهو يضرب المثل الاعلا للشرق فى انكار الذات امام نداء الوطن ولقد تعرف هذا من حكمة كلامه اذ يقول ـ ان كل منوال انشئه فى بلادى يكون حجر الزاوية فى بناء الاستقلال المنشود وما الخيوط التى أنسج منها قميصى الا سلاح حاد أطعن به خصمى من ناحية الاقتصاد

متابعة السير

تابعنا السير وكنا نجد بالطريق بين كل مسافة وأخرى سبيلا مقاما على عريش من الجريد والقش وبه المياه العذبة لشرب الناس وشرب الحيوانات أيضا مجانا بغير مقابل

وكانت عربات السيد الافغاني لا تزال تتعطل بالطريق وكانوا يريدون ان يأخذوا حمارنا ويعطونا بدله من الخيل ولكننا لم نقبل ان نفرط فيه لفرط معزته عندنا لانه اعيي الخيل عن اللحاق به

ولما وصلنا الى منى نزلنا بناحية منعزلة فى مقهى مفروشة (بالخسف الخوص) وهي مقامة من الجريد أيضا ومن أشجار أخرى فتعشينا وشربنا الشاي وبعد ان صلينا العشاء سرنا على بركة الله تعالى وقد تركنا السيد الافغاني يسير على المهل واستمرت عرباتنا تسير وتستريح الى ان وصلنا الى مسجد نمرة بعد ان انتصف الليل

هذا رسم مسجد نمرة

ولم يكن معنا أحد يعرف محل الخيام الخاصة بنا فاضطررنا إلى المبيت

محلنا فجاء الغلام صالح السوداني (صبي صاحب العربة) وحمل الحمار منها ولما أن وضع (عريشها) على الارض صارت منحدرة أي عالية من الخلف وواطئة من الامام لانها ذات عجلتين كما أوضحنا فاستراحت صاحبتي بالعربة على قدر الامكان وجلست أنا للخفارة لحد ما تبين الخيط الابيض من الخيط الاسود استحضرت ماء من هناك وتوضأت وصليت الصبح وزرت مسجد نمرة هذا وهو مقام على الموضع الذى نزل فيه السيد المختار يوم عرفة فى حجه المبارك

إذا صح عون الله تعالى للمرء فان الصعوبات تهون أمامه ويجد العسير ميسرا . فكم كنت أتمنى أن ادخل عرفة فى اليوم التاسع كما دخلها سيد الخلق وقد أبى علينا ذلك صاحب العربة كما سبق القول حتى أنعم الله تعالى علينا وبتنا عند مسجد نمرة مرغمين لعدم وجود من يدلنا على محل الخيام

فى الموقف العظيم

قمنا مع شروق الشمس من هذا اليوم (الاثنين ٩ الحجة ٢٧ ابريل) وقد وصل الحاج طاهر وهو يدعو ثبورا وويلا كثيرا لان السيد الافغاني أهانه على أثر غضبه من تعطيل عرباته أثناء الطريق

فى الخيام

وكان المطوف حسن افندى كتوعة قام قبلنا ونصب خيمته الخاصة به وتوابعه وخيمة أخرى للمغاربة الثمانية وخيمتين للسيد الافغاني ونصب لنا خيمة صغيرة منقوشة بنقوش عربية وبجانبها (بيت الماء) كعرف

أهل مكة المكرمة وهو المرحاض من القماش وكانت الخيام منصوبة عند جبل الرحمة تماما . وقد دفعت عن هذه الخيمة جنيهين اثنين أجرة لها

ولدى وصولنا قابلنا عمال المطوف وحملوا الامتعة ودخلنا إلى الخيمة ففرشنا السجادة وجلسنا لتناول طعام الافطار وشرب الشاي وبعدها حضر الشيخ حسن عامل المطوف وذهب معنا إلى جبل الرحمة فى الموضع الذى وقف فيه سيد ولد آدم وكان ينبه الناس بقوله الشريف (انني وقفت هنا وعرفة كلها موقف) ثم أخذنا فى الدعاء والتضرع والابتهال

وقد رأيت بعرفة سوقا كبيرا يباع فيه أنواع المأكولات من لحم نيء ومستوى وخبز وخضار وفواكه وبقول ولبن وجبن وكل هذا يعرض بالخيام حيث لا بناء هناك

استرحنا بعد هذه الفسحة (الروحية) الى أن جاء أوان الظهر صليته مع الجماعة بخيمة المطوف وصلينا معه العصر جمع تقديم ثم أخذنا فى التلبية والدعاء والاستغفار حيث أنه قد حان وقت الوقوف من بعد الزوال

وكان حجنا يوم الاثنين وهو يعادل ثلاثين حجة كما ورد أيضا أن حج يوم الجمعة يعادل سبعين حجة ومن يوفقه الله تعالى لان يحج فى هذين اليومين يكون بمثابة مائة حجة والله سبحانه وتعالى ولي التوفيق

جلال الموقف وفائدته

غاية ما وصل اليه جهدنا من العبادة والتقرب الى مولانا القريب المجيب عز وجل فى هذا اليوم العظيم اننا جلسنا فى الخيام نسأله تعالى المنة والاحسان وربما أن البعض منا غط فى نومه وذهبت روحه مع الاحلام ولكن ليس هذا هو المراد من هذا الموقف الذى ما شرع الا لنفع

الانسانية والرفعة بها الى مستوى ترى به الابداع فى الملكوت الاعلى وتسمو ببصيرتها الى معرفة أسرار اللاهوت العظمى على قدر ما يسعه ادراكها

حكمة الموقف هذا ان يحشر الناس نهارا يهرعون الى بارئهم متجردين من زينتهم كاشفين لرؤوسهم ومهطعيها وهم يجأرون اليه حتى يدخلهم سبحانه فى كنفه العالى ويضرعون اليه بصلاح الحال والمآل ويؤمنون على دعاء الامام الذى يقف فى سفح جبل الرحمة على الصخرات مكان ماوقف امام المتقين

فان قال قائل بان لاضرورة هناك ان ينفر الناس فى الحر ولكن يجب ان نتعرض لهذا الحر حتى وبغير المظلات التى لانخطو خطوة الا وهي على رؤوسنا . نعم يجب ان نقف تجاه الامام فى الحر لنتذكر يوم العرض على خالق السموات والارض والشمس تدنو من الرؤوس فيتصبب الناس بالعرق حتى يبلغ مواقف الاقدام

كنا فى عام ١٩١٠ نقف بعيدا عن جبل الرحمة ونرى الامام على مد البصر وهو يلوح بمنديله فتصعد أصواتنا الى عنان السماء بالتلبية والدعاء واليوم صرت أعلل النفس وأمنيها بانى مادمت قريبا من الصخرات فانه يتسنى لى ان أرى الامام عن كثب بل وأسمع كلامه أيضا اذا قال شيأ ولكن أمالى ذهبت أدراج الرياح حيث انتظرت الامام فلم أره ولا رأيت من يخبر عنه بخبر الا انى شاهدت بعض الجنود السعوديين ينزلون الناس الذين كانوا يصعدون الى الجبل

نعم اننا سمعنا بان سمو الامير فيصل نائب مملكة الحجاز قد قام الى الحج فى يوم التروية فبات بمنى ثم أتى الموقف أميرا للحج وبالطبع انه قام بما يجب على الامام فى هذه الاحوال ولكننا كنا نرجو ان يظهر الموقف

بروعته وجلاله حتى يأتى بالاثر المطلوب

كنا نود ان يسمع كل الحجيج الخطبة من رجل ذى صوت جهوري حتى يأذن الله تعالى بصلاح الاحوال ونستحضر آلة (الميكروفون) المكبرة للصوت ليصل كلام الخطيب الى أسماع كل أهل الموقف

وياحبذا لو بذلت المساعى لاجتماع الحجاج جملة واحدة فى وقت واحد وصعيد واحد لاستماع الخطبة كما نسمعها يوم الجمعة وأهمية هـذه الخطبة عظيمة جدا لان المسلمين يجتمعون كل عام من كل العنـاصر

فيحسن ان يؤلف الخطبة لفيف من العلماء الاكفاء ويكون مغزاها الحث على الوفاق ونبذ الشقاق بين عناصر الاسلام. وترتبط الامم الاسلامية بعقد حلف وثيق تتحد فيه العناصر غـير المسلمة الداخلين فى ممالك الاسلام. ويحسن أيضا ان تترجم الخطبة الى لغـة الاغلبية من المسلمين كالهندية والجاوية وبعد ان يلقى الخطيب خطبته باللغـة العربية يلقى نصها الخطباء الآخرون باللغات الاخرى

اقتراح فى العمران

انى شاهدت رجالا يبحثون عن امرأة ضلت عن مضاربهم عنـد ما خرجت لازالة الضرورة وهذا ما نستلفت اليه أنظار الحكومة السعودية حتى تجعل فى عرفة علامات ظاهرة مثل راية ملونة توضع على قاعدة عالية كعامود خشب أو حديد يكتب عليها رقم المنزل وعلامته (أي لون الراية) وكل جماعة من المطوفين ينزلون حول العلامة التى يعطى لهم رقمها ولونها وتأمر المطوفين ان لا يتعدوا هذه العـلامة كما ويجب على كل مطوف ان يعطى لكل من حجاجه بطاقة يبين فيها اسم ورقم وصفة علامته فى الموقف

وان أعوز الحكومة المال لهذا الغرض فلتسن ضريبة على الحجاج لتغطية هذه النفقات

الصحة العامة

أما من جهة الامور الصحية فانني أبدي سروري وارتياحي للعناية بالصحة العامة حيث أقامت الحكومة المستشفيات والمستوصفات في مكة المكرمة وهي تقوم بواجبها في انقاذ الانسانية من مخالب الامراض الفتاكة فهي تطبب الناس وتعالجهم لافرق بين جنس وجنس وكانت هذه المستوصفات تتنقل مع الحجاج في عرفات وفي منى وكانت الاسعافات الطبية تلبي عند الطلب باسرع وقت ممكن . وكان بودي ان أبين هنا اسماء المستشفيات والمستوصفات وما اليها من أطباء وممرضين وصيدليين وأنواع العقاقير وعدد الذين يعالجون بها ولكننا في غنى عن هذه التفاصيل مادامت النتيجة كانت سارة وباهرة

أضف الى هذا أيضا الاعتناء بالتفتيش الصحي الدقيق . ولقد رأيت من الاعتناء في عمل الوقاية الصحية بان شاهدت فناطيس المياه ترش حامض الفنيك في شارع منى

وكذلك قد منعت الحكومة الناس عن ذبح الذبائح سواء أكانت أضحية أو فدية أو للغذاء مطلقا بين المضارب والخيام والعساكر يمرون لتنفيذ هذه الاوامر

وفقط أن لي ملاحظة ابديها مع الاحترام وهي انني وجدت الحجاج يتبرزون بجوار الخيام وهذا مما يساعد على انتشار الامراض والاوباء فلو أمرت الحكومة المطوفين بان يحفروا حفائر بعيدة عن الخيام ويقيمون عليها حواجز بصفة دراوي للرجال ومثلها للنساء

وقد يهون أمر قضاء الحاجة فى عرفات بالنسبة لاتساع المكان اما فى منى فان الحال يحتاج للدقة التامة فى تعيين منازل المطوفين مع حجاجهم وفى حفر أماكن التبرز وتجديدها عند امتلاءها وحتى فى المباني الكائنة هناك

الأوبة بالغنيمة

عند ماكاد ركن النهار ان ينهار قام عمال المطوف بهدم الاطناب وطوي المضارب بعد ماجمعنا أمتعتنا وجاء الغلام صالح السوداني بعربتنا يجرها الحمار الذى ماوهن ولا تعثر حتى كانت الخيل لم تلحق له غبار

ركبنا عربتنا مع باقى العربات وسرنا لحد آخر حدود عرفة وكان الشفق يبدو فى الغرب بلونه القرمزي أنذانا بان الشمس قد توارت بالحجاب هنالك تحققنا بان مضينا لحظة من ليلة النحر بعرفة كما هو تعريف الشرع الشريف وتحققنا أيضا بانه قد صح حجنا كما هو القول المأثور (الحج عرفة)

نفرنا من العلمين وقد انتقدت بعض المطوفين لافساد هذا الركن على حجاجهم حتى انهم يبارحون عرفة قبل الغروب

وكان منظر الحجاج فى النفر (النزول من العلمين) كالسيل ينحدر من المكان العالى فيلقى فى النفس روعة وفى القلب فرحة فيتحرك اللسان بالتسبيح والتمجيد لمولانا العزيز الحميد

انها لفرحة لايعادلها فرحة لاننا خرجنا من ذنوبنا كيوم ولدتنا امهاتنا وقد تفضل المولى الكريم جل ثناؤه وتعالت كبرياؤه برضائه وتحننه على أهل هذا الموقف ونظر اليهم بنظرات رحمته عند النفر من عرفة فكان كل

حاج يشعر بهذا الفضل العظيم فيرتاح ضميره وتظهر علامات الفرح على أسارير وجهه

وكيف لا نفرح وقد عدنا ونحن غانمون تائبون لربنا عابدون . وعدنا أيضا ونحن نحمل اسما زيادة على اسمنا (وكثرة الاسما تدل على شرف المسمى) ولهذا فانني استبدل اسم صاحبتي من الآن باسم الحاجة كلما جاء ذكرها

مكانة القلم

يدب القلم دبيبه على القرطاس فينقش كل تميمة تذهل القارىء فيؤخذ مسحورا . ويتسلط القلم بسحر بيانه على العقول فيميلها مع كفة ميزانه وعلى القلوب فيقودها الى الايمان بكلامه والقلم يأخذ بيد القارىء حتى يرى نفسه بين روضة غناء يتضوع عبير الادب من ثنايا السطور . وهو يحمس الجبان وينشط الكسول واذا هزه الكاتب فى يده يكون امضى من السيف اذا غضب واندى من الندى اذا رضي أو أحب . فصرير الاقلام هو النغمة اللذيذة التى تتفتح لها آذان الامم فتسير ورائها وحملة الاقلام يتقدمون وفى يدهم راية العز فيلتف الناس حولها . وقطرة واحدة تسيل من مداد القلم تكون كالبلسم الشافى لسقام الامم والشعوب وقطرة اخرى تكون كالحمم تتقاذف على العروش فتشلها وعلى الصروح فتدكها من اساسها . وانه ليكفى القلم فخرا ان أقسم الله تعالى به فى كتابه المكنون فقال تعالى (ن والقلم وما يسطرون)

واقسم ان حملة الاقلام كلهم مدينون الى عرفات وما يجاور عرفات

عكاظ واخواتها

كان العرب قبل الاسلام يقيمون اسواق عكاظ ومجنة وذى المجاز عند اقتراب موسم الحج ليعرضوا فيها عصارة قرائح الشعراء وبنات افكار الادباء حيث كان الشعر سجية لكل عربي وكان مقدار كل منهم وما يحسنه من المنظوم والمنثور حتى صاروا يتبارون فى الفصاحة ومن يحوز قصب السبق فيها تدرج قصيده ضمن المعلقات فى البيت الحرام أو يشار اليه بالبنان بين الانام وكان بيان سحبان وفصاحة قس بن ساعدة مضرب الامثال. وشعر امرىء القيس وطرفة بن العبد واضرابهما من فحول الشعراء لا يزال يملى على أبناء العربية من الحكم البالغة والمعانى السامية ما يجعل رؤوسهم عامرة بجيد الادب وبليغ البيان . وقد فشت الفصاحة وكثرت بينهم كما كثر السحر فى قوم فرعون حتى جاء القرآن الكريم فوجم الكل أمام بلاغته العالية وكان كعصا موسى تلقف ما يصنعون

ولما دخل العرب فى الاسلام هذبوا لغتهم ببلاغه القرآن حتى صارت تزهو فى ثوب قشيب من البهاء والجمال وقد اغترف من منهلها العذب كل ناطق بالضاد وهذا ما جعلنى أقول أن كل الادباء مدينون إلى عكاظ وأخواتها القريبة من عرفات

ولقد تذكرت أيضا هذه الاسواق العظيمة وسيد الانبياء يعرض نفسه على القبائل فى كل موسم ليدعوهم إلى صراط العزيز الحميد وهو يتلو عليهم آيات الذكر الحكيم فيقفوا أمامها خاشعين مطاطىء الرؤوس

فارس يعلم الاخلاق

ولقد وجدت بين الجاهلية الاولى فارسا يعلم الناس الاخلاق وهو عنترة العبسي من أصحاب المعلقات إذ يقول من شعر له

وأغض طرفى ان بدت لى جارتى

حتى يوارى جارتى مأواها

فما قولكم معشر المتمدينين وأنتم تريدون أن تخترق أبصاركم حجب الخدور لتنظروا ما وراءها فان انتسبتم إلى العرب فهذه أخلاق العرب وإن رجعتم إلى الدين فرحمة العالمين قد بعث ليتمم مكارم الاخلاق وإذا نظرتم إلى العمران فانحاط الاخلاق يقوض أركانه . فتمسكي أيتها الامة الناهضة بالاخلاق فان الامم لاتحيي حياة هادئة طيبة الا بالاخلاق

الى المشعر الحرام

سرنا وكان الكوكب المحبوب يطل علينا من سماء عليائه فكان منظره اللجيني يبهج النفس ويفسح المجال للعين ان ترى الجادة كوضح النهار . وكانت الجبال التى تكتنف الطريق عن يمين وشمال كأنها تحادينا وتحنو علينا أثناء المسير

استمر بنا التسيار الى ان القينا عصاه بالمزدلفة عند المشعر الحرام وهو (جبل قزح) وقد قطعنا المسافة فى نحو الساعة وكسور الساعة

اعتق صالح رقبة الحمار وفك العريش عنها وقد صلينا المغرب مع العشاء (جمع تأخير) وتناولنا من الطعام ماتبلغنا به مع الشكر للمنعم بجلائل النعم تبارك اسمه وتعالى جده

أخذت أفكر فيما هو المشعر الحرام . فالمشعر الحرام هو قطعة من

جبل وليس عليه حلي أو حلل ولا مزدانا بلؤلؤ أو مرجان ولا مبرقشا بنقش من الالوان حتى كانت هذه العبادات حقيقةواضحة وضوح الصبح لذى عينين بانه دين لاعوج فيه ولا موارية ولا تعقيد (قل انني هدانى ربي الى صراط مستقيم دينـا قيما ملة ابراهيم حنيفـا وما كان من المشركين) ـ قرآن كريم ـ

أخـذت الحاجة قسطا قليلا من الراحة بالعربة أما انا فاسترحت على سجـادتي بالارض وبجوارنا كثير من الحجاج نائمين بالعراء ولمـا تبددت جيوش الظـلام وبدا الصبح بوجهه البسام استيقظت فصليت ثم ايقظت رفقتى وأيقظت الغلام صالحا أيضا فشد الحمار بالعربة وجاء بها وقد التقطت أربع عشرة حصاة كل منها على قدر البقلة وأخذتها فى جعبتى

وقد ذكرنا الله تعـالى عند المشعر الحرام كما يقول عز شأنه فى كتابه الكريم (فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبـله لمن الضـالين ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفرا الله ان الله غفور رحيم)

الى جمرة العقبـــة

ركبنا العربة وسرنا قبل الاشراق وكان مسير له جلاله فى النظر وله بهجته فى الفؤاد وكنت ترى الطريق مزدحما بطبقات النـاس منهم راكب الهودج ومنهم راكب الجمل وراكب الحمار ومنهم راكب العربة ومنهم الماشى على قدميه وكنا نجد بعض العربان وهم يعرضون الجمال أو الحمير للركوب بالاجرة وينادون عليها (يارويكب . يارويكب)

استغرق مسيرنا من الزمن نحو ساعة واحـدة الى ان وصلنا جمرة

العقبة ويسمونها فى مكة المكرمة (الشيطان الكبير) وهي عبارة عن بناء قليل الارتفاع علوه نحو القامتين تقريبا بجوار جبل صغير

نزلنا من العربة فانتحى بها الغلام جانبا من الطريق ووقف لحراستها والامتعة وقد أعطيت الحاجة سبع حصيات ووقفنا تجاه العقبة وكانت منى عن يميننا والبيت عن يسارنا وكل منا رجمها بحصياته السبع وكنا نقول مع كل حصاة (بسم الله الله اكبر رغما للشيطان ورضا للرحمن) ونمسك الحصاة بين الابهام والسبابة ونحذفها بحيث انها تصل الى الجمرة والتى لم تصل منها تعاد. والى هنا يباح لنا التحلل من الاحرام الا الطيب والنساء

الحكمة من الرمى

لابد للخاطر ان يذهب الى البحث عن كنه هذا الرمي وما الفائدة منه. وحكمته هي لاجل ان نتذكر فضل المنعم الكريم جل وعز على سيدنا الخليل حيث انه عند ما أراد ان ينفذ الامر العالى الالهي الذى تلقاه فى الرؤيا بتقديم ولده الكريم قربانا لله تعالى ولما أخذ الصبي الذبيح سيدنا اسماعيل ومعه الحبل والمدية ومشى به ليذبحه فكان الشيطان يقابله فى هذه الاماكن وينزغ له بنزغاته فيلهمه الملهم العظيم بان يرجمه ليبعد عنه وسواسه فنحن نتشبه بابينا ابراهيم عليه السلام

وهناك أيضا حكمة دقيقة يجب ان نمعن النظر فيها وهي ان الشيطان عدو طبيعي للانسان وهو واقف بالمرصاد يتربص بنا الدوائر فمن رحمة الله تعالى بنا ان نبهنا بهذا الرمي الى وجود هذا العدو اللدود لنأخذ حذرنا ولا نتمادى مع وسواسه بالشر والاذى والانغماس فى حمأة المنكرات

الشريفان الذبيحان

مادام ان الامر الذى تلقاه سيدنا ابراهيم عن ذبح ولده وقد شرع فى تنفيذه حتى فداه الله تعالى بذبح عظيم وكان هذا بالحجاز فالذبيح اذن يكون سيدنا اسماعيل لامحالة لان أخاه سيدنا اسحاق ولد بعده وكان مقيما مع أمه السيدة سارة بالشام

ويكون سيدنا حبيب القلوب هو ابن الذبيحين . فالذبيح الاول هو جده الاعلى سيدنا اسماعيل ابو العرب والذبيح الآخر هو والده الشريف عبد الله بن عبد المطلب . وقصة ذبحه هذه هي

ان السيد عبد المطلب بن هاشم شيخ البيت الحرام لما أراد ان يحفر زمزم المباركة كما كتبنا سلفا تعرض له أشراف قريش ومنعوه عن الاسترسال فى الحفر قائلين له لاتحفر فى أرض بيتنا الذى هو عزنا وقد تمنى ان يكون له بهم قوة أو يأوى الى ركن شديد من أولاد يذودون عنه حيث لم يكن له الا ولده الوحيد الحارث بن عبد المطلب فنذر لله تعالى ان رزقه بعشرة من الاولاد ليذبحن أحدهم قربانا لله تعالى ولما عقب العشرة وزاد عليهم اثنين وكان أصغرهم الشريف الكريم عبد الله والد خير النبيين اتاه آت فى المنام وذكره بان يفى بنذره فقدم ولده الصغير هذا الى الذبح فتصدى له عظماء قريش وقالوا اذا فعلت هذا يأخذها العرب عنك سنة فيذبحون أبناءهم . ثم أجمعوا أمرهم على الذهاب الى أحد الكهان ليأنسوا برأيه فيما يفعلونه بهذا الحادث الجلل . فسألهم كم الدية فيكم ؟ فاجابوه انها عشرة أبعرة . فقال افدوا الغلام بها . ولكن خاطر السيد عبد المطلب لم يطمئن الى هذا الرأي بل انه صار يضرب القداح وكلما يضربها تخرج على الصبي

فيزيد الفدية عشرة فعشرة وهي تخرج على الصبي أيضا إلى ان أبلغها المائة فخرجت على الابعرة فقدمها فدية عن الصبي الكريم وقد تفضل الله تعالى ونجاه من الذبح ليخرج من صلبه سيد الاولين والآخرين

وكان أحد السادة الاصحاب يحكى بانه تقدم رجل الى أعتاب الرسول الكريم ليرجوه نوالا وقد أراد الرجل ان يطريه وينسبه الى أعز الانساب فقال له أرجوك ان تقضي لى حاجتى (يا ابن الذبيحين) فتبسم السيد الكريم ولم يبد اعتراضا على قول الرجل

بيعـــة العقبة

بجوار هذه الجمرة كانت بيعة العقبة (وفى محلها مسجد مقام هناك) هذه البيعة التى كانت مفتاح الفرج بعد الصبر الجميل . وكانت الاداة الفاتحة لمستودع النور الذى أضاء الطريق أمام الانسانية حتى اهتدت الى الحيـاة الهنيئة حيـاة الحرية الصحيحة والاخاء الحقيقي وقد عرف الانسان تمام المعرفة انه لا يوجد فى الكون الا معبود واحد يدين الناس اليه بالعبودية لانه قدير وانه هو وحده الذى برأ الخلق ورزقهم واليه مثواهم ومنقلبهم

ظل سيدنا رحمة العالمين يدعو النـاس الى التوحيد ثلاثة عشر عاما وقريش تضع العقبات فى طريقه ليطفئوا نور الله بافواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون

ولما أذن الله تعالى ان ينشر رحماته ونعمه على بنى الانسان ويخرجهم من ذل الكفر الى عز الايمان جاء ستة رجال من الخزرج من أهل يثرب الى الحج فتصدى لهم سيدنا البشير النذير كعادته وعرض عليهم الاسلام فمالت قلوبهم نحوه وتواعدوا معه ان يعودوا اليه فى الموسم من العام القابل

مع نفر من قومهم بعد ان يبثوا فيهم روح الاسلام العالية . وقد تمنوا ان يسود الوفاق والوئام بين قبيلتى الاوس والخزرج (وهم السادة الانصار) وان يجمعهم الله عليه بعد ان ظلوا فى حرب طاحنة من يوم (بغاث) وهو يوم نحسهم الذى ابتدأت منه العداوة الشديدة بين هذين القبيلتين مدى خمسة أعوام

والذى جعلهم يتحققون من صدق الصادق المصدق ان حلفاءهم اليهود من بنى قريظة وبنى النضير كانوا يستفتحون عليهم بنبي قد جاء أوان ظهوره وكانوا يتوعدونهم بالانضواء تحت لوائه فيستأصلونهم معه كما هلكت عاد وارم . وكان اليهود يعلمون بظهوره مما ذكر بالتوراة وقد بين الله لنا عبارتها بقوله تعالى (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم أصرهم والاغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه اولئك هم المفلحون)

ولما جاء الموعد المحدد أقبل رجال من الاوس والخزرج وقد بايعوا السيد الكامل على ان يمنعوه مايمنعون منه نساءهم وأبناءهم وعلى السمع والطاعة فى العسر واليسر وان لاينازعوا الامر أهله وقد انتخب منهم اثنى عشر نقيبا ولما عاد هؤلاء الاثنا عشر اليامين الى يثرب قاموا بالدعاية الى التوحيد حتى فشى الاسلام فيهم وكثر بينهم فطلبوا من السيد الامين ان يبعث اليهم بمن يرشدهم الى أمر دينهم فارسل اليهم فتى قريش سيدنا مصعب بن عمير ونزل على النقيب سيدنا أسعد بن زرارة وقد أسلم السادة الانصار كلهم ثم هاجر الصحابة الاخيار اليهم وبعدها اذن الله تعالى لافضل

المهاجرين بالهجرة فكانت هجرته للدين عزا وللاسلام فخارا وللانصار سعدا عظيما حيث ذهبت الاضغان والاحقاد من صدورهم وأصلح الرسول الكريم ذات بينهم وقد نوه الكتاب الكريم عن ذلك فى قوله تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها) وأيضا شرفهم الله تعالى بان تشرق شمس الاسلام من ديارهم.

هذا وقد تآخى الانصار والمهاجرون فى الله تعالى (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصديقون. والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون) - قرآن كريم -

الى طواف الافاضة

بعد رمي جمرة العقبة ركبنا العربة وسرنا الى مكة المكرمة وذهبنا الى المنزل فخلعت ثياب الاحرام ولبست ثيابى العادية ثم سرنا الى البيت المشرف لاداء ركن طواف الافاضة وهذا الركن يجوز اداؤه أثناء شهر الحجة الا انه فى يوم النحر أفضل ومعظم الحجاج لا يأتون به الا بعد ان يمضوا أيام التشريق بمنى ثم ينزلون الى مكة ويطوفون

نظرنا الى البيت المطهر واذا بالكسوة الجديدة الشريفة تسبل عليه والعمال قائمون باللازم نحو تزريرها وترتيبها فكبرنا الله تعالى ودعوناه ان يزيد بيته الكريم تشريفا وتعظيما وان يلهم القائمين بالامر الى السداد والرشاد

وبعد ان أتممنا الطواف خرجنا للسعي فسعينا وحمدنا الله تعالى. والى هنا تمت أعمال الحج المبارك والحمد لله تعالى على كمال نعمته وإحسانه

أيام التشريق بمنى

بعد ما استرحنا بالمنزل لحد العصر جاءنا صالح بالعربة ركبناها وعدنا الى منى ولما وصلنا هناك قيل بان العربات لاتدخل فى الشوارع منعا للزحام فصدعنا بالامر ومشينا على الاقدام الى مسجد الخيف محل مضرب الخيام ومعنا الحمال التكروني يحمل الامتعة ثم نزلنا بالخيمة الخاصة بنا وهي شرقي مسجد الخيف مباشرة وكنا وقتها عند الغروب

البساطة فى العيش

ما أطيبه من منظر خلوي بدوي حيث نفرش السجادة على الثرى ونتبسط فى العيش وما أحسن البساطة فى كل شيء لانه كلما تعمق الانسان فى المدنية كلما كثرت حاجاته وكلما كثرت حاجاته كلما زادت همومه وعند مايرى نفسه مضطرا لان يتحصل على الكماليات مجاراة للوسط الذى هو فيه فلا يبالى بالوجهة التى يوليها للحصول على هذه الكماليات

هذا وان أهل البادية لايحملون من الهم مايحمله أهل الحضر لان البدوي يكفيه جرد واحد (حرام) يعيش به السنوات العديدة وهو يجعله غطاءه ووطاءه ويكفيه أيضا قميص ونعال وكذلك امرأته يكفيها من الكسوة النذر اليسير ثم ومن عادة البدويين انهم لايمتلئون بالطعام بل

انهم يتبلغون بالكفاف منه وهذا هو المراد من خلق الانسان فانه يجب ان يأكل ليعيش لا ان يعيش ليأكل وقد ورد فى الأثر (حسب المرء لقيمات يقمن بها صلبه)

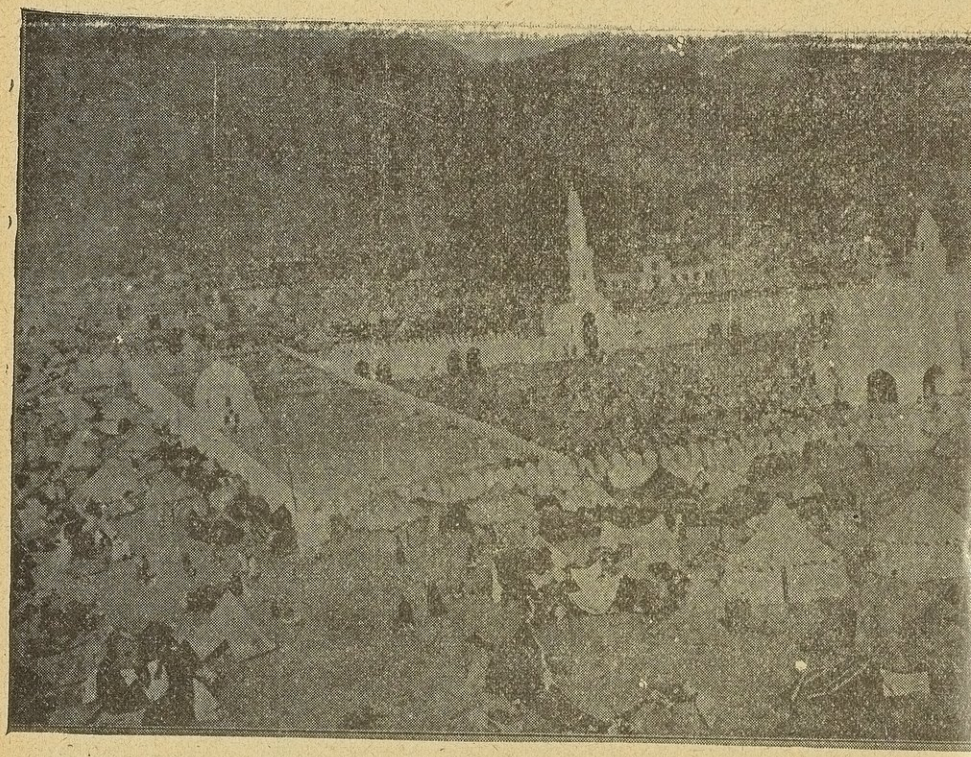

مسجد الخيف بمنى

الاماكن فى منى

أصبحنا الاربعاء ١١ الحجه ثانى أيام التشريق وقد خرجت إلى منى وهي عبارة عن الشارع الذى به الجمرات وشارع آخر يوازيه يسمونه (شارع الملك) وهنـاك مكتب للبريد والبرق ومكتب للصحة والشرطـة وهناك أيضا مباني يستأجرها بعض الحجاج وينصبون الخيام فى فناءها ويقام هناك سوق كبير يباع فيه الخبز والخضر والفاكهة والبقول وكل أصناف

المأكولات ويباع فيه أيضا أنواع الهدايا التى يأخذها الحجاج معهم مثل المسبحات والخواتم والكوفيات والقلائد والغويشات وغير ذلك

العيـــد والمحملان

وقد بعثت برسالة برقية إلى مصر للتهنئة بالعيد وهذا هو العيد السعيد الذى يتمناة الناس لبعضهم إذ يقول الواحد للآخر (عقبى لك السنة الجائية وأنت على منى) نعم أنه عيد سعيد لاننا مضيناة في كنف المولى البر الرحيم عند بيته المحرم ولكن كان يداخل النفس شيء من الكآبة والاسى لشتات أمر الاسلام وتفرق كلمته . وكم كانت الاعياد سعيدة عندما كان الاسلام مهاب الجانب قوي الشوكة. والآن أننا نرفع أكف الضراعة إلى المولى الكريم سبحانه وتعالى أن يلم شعثه وأن يرفع شأنه ويلهم أهله الوفاق والوئام ويهديهم جميعا سبيل الرشاد

هذا وقد عادت بي الذكرى إلى أيام الحج الاولى وقت أن كنت أرى الافراح تقام هنا وهناك والناس فى غبطة وهناء حيث يقف المحملان المصري والشامي ويصطف رجالهما من كل الرتب وهم يرتدون كسى التشريفة الكبري للاشتراك فى الاحتفال بالعيد وكان لهذه الحفلة جلال وفخامة تزيح الهم عن القلب المحزون

كذلك وكان وجود هذين المحملين بجانب بعضهما رمزا من الرموز المعنوية على ارتباط هذين القطرين الشقيقين ارتباطا لا تنفصم عراه مدى الدهور والازمان وقد يشمل هذا الارتباط الآن الثلاثة ايالات التى تتكون منها الشام وهي (سوريا وفلسطين ولبنان)

ثم ووقت الاصيل عندما تتلطف حرارة الجو تصطف الموسيقات

وتشنف الاسماع بنغماتها الشجية إلي أن ينقضى النهار بسلام وهكذا فى باقى أيام عيد الاضحى الثلاث

الذكر الرياضى

وكان مشايخ الطرق يقيمون حلقات الذكر الرياضي الذى لا محل للاعتراض عليه لان الشرع الشريف لا ينهانا عنه لما ورد فى القرآن الكريم (واذكروا الله قياما وقعودا وعلي جنوبكم) ولو كانت نشوة الطرب لذكر المولى القريب المجيب تخالج النفس فيهتز لها الجسم فليس هناك من بأس

وينبؤنا التاريخ بان سيدنا جعفر بن أبى طالب عند ماعاد من هجرة الحبشة وتلاقى مع ابن عمه العظيم وبهرته أنوار النبوة المتلألئة وجمالها المليح حجل برجله كرقصة أبناء الاحباش من شدة الطرب وفرحة اللقاء ولم يحصل أي اعتراض من قبل الرسالة العظمى

والآن قد دارت الايام دورتها حتى سمعنا بان صوت البوق (البورى) الذى ينبه العساكر الى أمور تتعلق بشؤونهم هو منكر من المنكرات التى لايكفى فيها ان ننكرها بالقلب أو باللسان بل نقاومها باليد وبالطعان. ولكن الذين يصلون الى هذا الحد من الزهادة هم الذين لايدخلون مع المعنيين بقوله تعالى (ان الارض لله يرثها عبادي الصالحون) أي الصالحون لعمرانها

رجاء واستعطاف

من لى بابلاغ صوتى الى العاهل الكريم الذى ملأ الحجاز قسطا وعدلا لالتمس منه ان لايعبأ بهذه القشور مادام لباب الدين محفوظا ولا يعتوره أي مكروه. ليترك المحمل يسير بفرحه ومرحه وحفله وموكبه حتى يفرح

الناس وتنشرح صدورهم وحتى يفرح الخالق بافراح خلقه وان عز عليه ان يرى جنودا غير جنوده تخطر فى الحجاز فهذا الجند يامولاي هو الجند المبارك وما هو الا جندك لان القطرين صنوان عزيزان وشقيقان عطوفان

نعم يامولاي ان القطر المصري هو الأخ الحنون البار الذى يقتطع من طيب ماله ويهديه الى الحرمين الشريفين خالصا مخلصا

اتفق يامولاي مع مصر واخفض جناحك لها وكن مع الجماعة فيدالله معها ولا تركن الى مذهب واحد أو رأي واحد فالامة لاتجتمع على ضلال

رمى الجمرات

جمعت اثنتين وأربعين حصاة من أرض منى بمحل الخيام وبعد تناول الغذاء والراحة وبعد الصلاة الوسطى قمنا الى رمي الجمار فرمى كل منا سبع حصيات لكل جمرة من الجمرات الثلاث ثم عدنا فرحين مستبشرين

وكذلك فى اليوم التالى أي يوم الخميس ١٢ الحجه رمينا الجمرات بالكيفية المتقدمة . وقد استصدر المطوف أمرا من الحكومة بحضور العربات عندنا بمحل الخيام فاخذنا متاعنا وقمنا بعد صلاة العصر وكنا نرمى الجمرات ونحن سائرون

وقد مضينا يومين اثنين بمنى وقد صدرت رخصة بهذا من المولى الرحيم فى قوله تعالى (واذكروا الله فى أيام معدودات فمن تعجل فى يومين فلا اثم عليه ومن تأخر فلا اثم عليه لمن اتقى واتقوا الله واعلموا انكم اليه تحشرون) والقليل جدا من الحجاج يمضى الثلاثة أيام بمنى

العودة الى مكة المكرمة

سرنا بالعربات وكان البشر والسرور يلازم خطواتنا والحمدلله قد نلنا غاية المنى وبلوغ القصد من رب السموات والارض وقد وصلنا الى مكة قبل الغروب بسلام آمنين

ولدى وصولنا سمعنا خبرا شممنا منه رائحة التساهل حيث أقيمت حفلة العيد أمام القصر الملكي ونزل صاحب السمو الامير فيصل الى حلقة البرجاس وأخذ شوطه فيه ثم نزل والده الكريم وأخذ دوره أيضا

وقد صار أهل مكة المكرمة الآن يسمعون فى بيوتهم الحاكى (الفونوغراف) ويسمونه (الصندوق) وقد أمسى هذا الصندوق وله شأن عظيم فى أندية السمر المنزلية حيث تدار به اسطوانات أم كلثوم ومحمد عبد الوهاب وغيرهما

الجمعة الرابعة والسودان

كانت آخر جمعة من الجمع السعيدة التى كنا نتمتع فيها متاعا حسنا بالصلاة فى جوار البيت العتيق المطهر هي الجمعة الرابعة وكانت توافق يوم ١٣ الحجة فصلينا وحمدنا الله تعالى علي نعمه واحسانه ثم عدنا أدراجنا الى المنزل

ولقد تقابلت مع زمرة من اخواننا السودانيين فاحاطوا بى احاطة السوار بالمعصم وأخذوا يسلمون علي سلام مشوق لحبيب عاد بعد غياب طويل ويقولون مرحبا بأخينا المصري وأهلا وسهلا (لان هيئتي كانت

تدل لأول وهلة على انني من المصريين)فقلت لحى الله السياسة التى فرقت بين هذين اللدين المتقاربين والحبيبين العزيزين حيث تسقى أرضهما بماء واحد هو ماء النيل المبارك وتربطهما روابط كثيرة من الاخلاق والعادات

بالعتبة المقدسة

كنت أنوه كثيرا الى الحاج طاهر برغبتنا فى التشرف بدخول البيت المطهر فما نرى منه الا ناصحا أمينا حيث يعظنا بانه لايجوز ان يتهجم الانسان على الملك فى بيته وخصوصا هذا البيت هو بيت رب الارباب وملك الملوك فكنت أجيبه بان سيدنا الانسان الكامل قد دخل البيت وهو خير قدوة لنا . وكان هذا الامر لايبرح من بالى . وكنا نرى الشيخ الشيبي أمين المفتاح يفتح باب الكعبة المشرفة بين كل يوم وآخر ويدخل الناس أفواجا للتبرك ولكن كان يتعذر علينا الوصول الى جهة الباب لشدة الزحام

وأخيرا فى يوم السبت ١٤ الحجة ٢ مايو قمنا قبل الاشراق ومكثنا نطوف ونتملى بالبيت المشرف ولزمنا الملتزم ندعو ونضرع الى الله تعالى واذا بالشيخ الشيبي قد أقبل مع توابعه ونصبوا له السلم الصغير

(ويوجد للكعبة المشرفة سلم كبير مزخرف بالفضة وعليه نقوش أخرى وهو يوضع فى الاحتفالات الكبيرة)

ثم صعد هؤلاء ومعهم المجامر ليطلقوا البخور داخل البيت المشرف ولما كنا بجانب السلم تماما (بجوار الملتزم) وجدنا ان الفرصة سانحة للدخول وقد أذن الله تعالى لنا بهذا التشريف العظيم . فناولت الخادم الواقف بجوار السلم شيأ من المال ليسلمه الى الشيبي ثم صعدت انا والحاجة

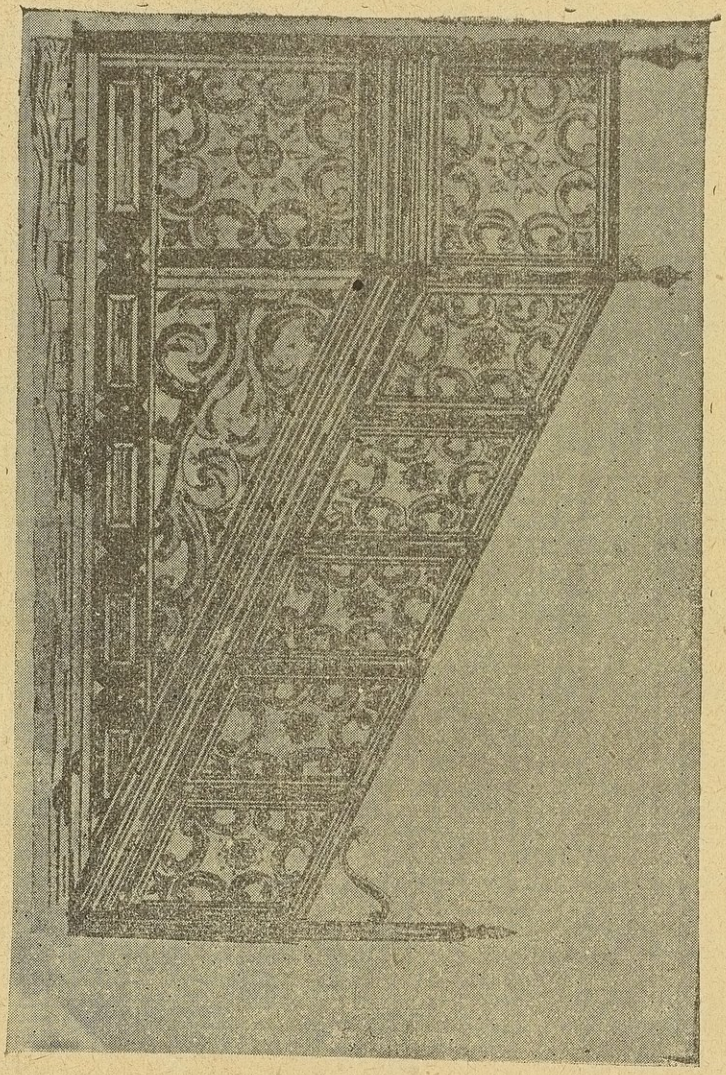

السلم الكبير للكعبة المشرفة

وكانت هزة سرور عظيمة تكاد الاعصاب ان تتخدر لها وكدنا ان نصعق لجلال الامر العظيم الذى وصلنا اليه . وقد صلينا فى أربعة أركان المكان ودعونا الله تعالى بما شاء ان ندعوه به

وقد وجدت بقية من بقايا التحايل المحبوب على الرزق وذلك ان هناك ستارة يقولون انها موضوعة على باب التوبة ويقف بجانبها رجل من أهل مكة يدخل الناس خلفها ويتلو لهم بعض الادعية فى مقابلة شيء يعطفون به عليه . وكذلك وجدت رجلا آخر يقول للزائر ضع رجلك هنا وقف على حجر الرحمة وينتقى حجرا أحمر من الاحجار المرصوف بها أرضية المكان وكنت أعطف عليهم مع علمى انه تحايل ولكنه على كل حال طريق من طرق الاحسان الذى قمنا من بلادنا لاجله

أخذت أطيل النظر فى الشيخ الشيبي واذا به رجل نحيل ربعة يميل الى السمرة وهو فى آخر مرحلة من مراحل العمر وقد بيضت السنون شعره وأحنت ظهره ويحف به ناس من أولاده وأحفاده وخدمه . وبنو شيبة كلهم فى سعة من العيش

فكرت حتى رجعت الى يوم الفتح الاعظم وقد أخذ الفاتح العظيم مفتاح الكعبة المشرفة من عثمان بن طلحة من بنى عبد الدار وكانت الحجابة فيهم مع اللواء (وعبد الدار وعبد مناف اخوان لابيهما قصي أحد الاباء العظام المتصلين بالنسب الشريف الطاهر)

ثم صدر الامر من السماء (ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى أهلها) عند ذلك رد السيد الامين المفتاح الى عثمان بن طلحة وقال (خذوها يابنى طلحة خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم) وقدمات عثمان بن طلحة ولم يعقب فورث الحجابة شيبة ابن أخيه وقد صارت فى بنيه الى يومنا هذا

العمرة من التنعيم

قلت ان منزلنا كائن بمحلة الشبيكة وهي الطريق العمومي للداخل الى الحرم الشريف والخارج منه من جهة الغرب (أي من طريق جدة والمدينة). ولما ان أتم الناس كل مناسك الحج رأينا بعضهم يخرجون بثياب الاحرام ليأتوا بعمرة من التنعيم كما أتت بها السيدة عائشة الصديقية والتنعيم هذا يبعد عن الحرم الشريف بنحو الستة كيلومترات تقريبا وهو حدود الحرم من جهة المدينة

وهذه العمرة هي التى اعتمرتها السيدة عائشة الصديقية حين خرجت الى التنعيم هي وأخوها الكريم سيدنا عبد الرحمن بن سيدنا أبى بكر الصديق وأحرمت منه للعمرة بدل التى فاتتها عند قدومها مع السيد الكامل فى حجه المبارك ولما وصلت الى سرف أتتها عادة النساء فامرها الرسول الكريم ان تقف المواقف كلها الا الطواف والسعي وأخبرها بان أعمال الحج تندمج فيها أعمال العمرة ولكنها أرادت الاستزادة من الثواب فاتت بالعمرة التى نحن بصدد الكلام عنها

وكنا نريد ان نأتي بهذه العمرة ولكن عادة النساء جاءت الى الحاجة فلم نتمكن من الذهاب اليها وهي على كل حال من النوافل وليست من الحج فى شيء

والحمد لله قد أدت الحاجة المناسك كلها ولم يفتها منها شيء الا ان كان طواف الوداع وهو يسقط عنها كما سبق للسيدة صفية أم المؤمنين. وكان من رحمة الله تعالى بالحاجة ان جاءتها هذه العادة فى هذا الاوان حتى تدخل المدينة المنورة وهي غير محدثة

كيفية الترحيل

انه يتحتم على المطوف ان يقوم باللازم نحو ترحيل حجاجه سواء الى المدينة المنورة أو الى بلادهم عن طريق جدة فمن يريد السفر منهم على الجمال يخطر عنهم المقوم (وهو رئيس طائفة الجمالين) ومن يريد السفر بالسيارات يخطر عنهم النقيب (أي نقيب شركات السيارات) وحتى ومن يرغب السفر راجلا لابد ان يخطر عنه وكل هؤلاء لهم صلة بالحكومة لاجل تحصيل الضرائب وهي تجبى هذه الضرائب باعتبار النصف أو أكثر قليلا مما تحصله الشركات أو الجمال

وكان عمال الحكومة المصرية المنوط بهم أعمال تتعلق بمأمورية الحج عند ما يرغبون الحج أو الزيارة يطلبون من مندوب الداخلية مخابرة الحكومة السعودية لمعافاتهم من الكوشان (اتاوة الحكومة) فتسمح لهم بهذا

وقد سلمت الى الحاج طاهر أربعة وعشرين جنيها وأربعة عشر غرشا مصريا أجرة السيارة الى المدينة المنورة ذهابا وعودة عنى وعن الحاجة

ولما كان من عادة السيارات ان لا تحمل من الامتعة الا الضروري لكل حاج وكانت (أخراجنا) محشوة بامتعة كثيرة فاضطررنا لان نستأجر لها جملا لتوصيلها الى جدة وحفظها عند وكيل المطوف لحين عودتنا وقد دفعنا أجرته جنيهين اثنين . وكل من يريد الاقتصاد فى النفقة فليقلل من العفش بقدر الاستطاعة. أما جيراننا القنائيون فقد انصرفت رغبتهم الى السفر للزيارة على الجمال لتخف عنهم المصاريف فصار المرغوب نقلهم بواسطة مطوفنا على السيارة اثنى عشر شخصا وهم التسعة الافغانيون والحاج محمد سليمان ونحن الاثنان وقد عمل الحاج طاهر الاجراءات اللازمة نحو الحصول على السيارة

القلب يأبى الوداع

بقى علينا من الواجبات نحو البيت العتيق المطهر ان نطوف به طواف الوداع فقمت بهـذا الواجب والقلب راغم لانه لايريد الوداع . التزمت الملتزم وكنت آمل ان العبرات التى تجود بها المقـلة تبرد من لوعة الفؤاد المفؤود لهـذا الفراق . بكيت وبكيت طويلا لانه فراق لمحل تنزلات الرحمة الآلهية ومكان تعطفات العزة الصمدانيـة . تأثرت لفراق البيت بيت ربنا الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى . فهو سبحانه وتعالى الذى يلهم الوليد بان يلتهم حلمة الثدي ليتبلغ للحياة . وهو الذى يهدى العجم من السوائم لان تحنو على نسلها حتى يعيش وينمو . وهو الذي يهدى الفلك التى تجرى فى البحر بامره

ان حشاشة القلب تكاد ان تتمزق لفراق بيت ربنا واجب الوجود الذى اهتدى لوجوده البدوي البسيط يستدل على ذلك بما يقع تحت حسه ونظره اذ يقول (البعرة تدل على البعير والاثر يدل على المسير) وهـذا الكون بنظامه البديع المتقن دلالة صريحة على وجوده سبحانه وتعالى

انه لو كانت البحار مدادا والاشجار أقلاما ماقامت بالثناء على الله تعالى ازاء فضله وتكريمه لابن آدم حيث جعله جرما صغيرا وتنطوى فيه العوالم الكبيرة فبينما تراه جاثما على الثرى اذاهو يسرح بادراكه الى ماوراء الطبيعة واذا به أيضا يرصد الكواكب فيتعرف كنهها . وهو يتعمق فى العـلوم الكونية حتى أصبح يناطح الافلاك ويسابق الاسماك ويسخر الجو لمواصلاته

فالاثير طوع أمره والهواء والشمس والقمر والنجوم مسخرات لسعيه

(الله الذى خلق السموات والارض وأنزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بامره وسخر لكم الانهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وأتاكم من كل ماسألتموه وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها) - قرآن كريم -

بطل الرواية

ان معظم رحلتنا الميمونة هذه كانت فى مكة المكرمة ولذلك نعتبر الحاج طاهر انه بطل روايتنا ولكننا لانقف معه موقف القصصيين الذين يسدلون حجابا من الفضيلة على أبطال رواياتهم حتى لايظهر عليهم أي تجريح . وبما اننى أكتب هذه الصحيفة لتضاف على صفحات التاريخ فما يكون لى ان أحيد عن الحقيقة قيد شعرة ولهذا تراني مضطرا لان أثبت بادرة صغيرة بدرت منه ولا أعتبرها هفوة بل هي أقل منها بكثير

وذلك ان الذين سبقونا بالحج يحذروننا من ركوب السيارة (التاكس) الصغيرة لانها تتعطل كثيرا ولا تجد من يعينها بخلاف اللوري فانها تحمل ركابا كثيرين ولو تعطلت فى الرمل يعاونها ركابها العديدون لانهاضها ولهذا انصرفت كل رغبتنا الى الركوب فى هذه اللوري وقد قيل لنا أيضا بان الركوب فى مقدم السيارة أحسن منه فى مؤخرتها لهذا رجونا الحاج طاهر بان يجعلنا نبادر قبل الناس فى الركوب لنتخذ المكان الحسن بها

يوم الخروج

علينا ان نخرج الى جرول (الشيخ محمود) ويسمونه (البروز) لان

الحجاج ينتظرون الترحيل من هناك

وفى صباح يوم الاثنين ١٦ الحجة ٤ مايو بارحنا المنزل بعد ان قامت صاحبتى بتوديع السيدات صويحباته وقد استأجرنا عربة صندوق لحمل المتاع وللركوب ولما وصلنا الى (جرول) وجدنا الحاج طاهر يتزلف الى السيد الافغانى وقد رأيناهم أخذوا مجالسهم فى مقدم السيارة ولولا ان اجتهدنا وأفسحنا مكانا بينهم لكنا فى المؤخرة فكأنى بالحاج طاهر وهو يتمشى مع المثل القائل (بعد المعركة تصير معرفة) وقد اجتهدت ان لا أعكر الصفو بينى وبينه سيما ونحن فى مقام الوداع ونود ان يكون الختام مسكا عطرا. والحاج طاهر قد بذل جهدا كبيرا فى خدمتنا ونحن أيضا بذلنا مافى وسعنا لمرضاته

كلمة الى المسلمين

قبل ان تتحرك السيارة القى كلمة وجيزة الفت بها أنظار اخواننا المسلمين بان هذه الارض المقدسة هي المملكة الروحية للعالم الاسلامي فيجب ان نبذل النفس والنفيس فى حفظها ورفاهتها

ان الحرم المكي الشريف يحتاج الى اصلاح كبير بان تبلط أرضه بأكملها ويحتاج أيضا الى مظلات أوسع من المظلات الحالية حتى لايجلس الناس فى الصلاة على الحصى وحتى لاتلفح وجوههم الشمس المحرقة. ويحتاج أيضا الى تعهده بالنظافة وبالدهان (بالبوية) وان يعطى له النور الكافي وان يفرش بالبسط أو جزء منه ويفرش الباقى بشيء آخر مثل الحصر أو سواها

ثم ويحتاج الحال أيضا الى دورة مياه كبيرة جدا ليتمكن الحجاج كلهم من قضاء الحاجة ومن الاستنجاء أولى من وقوفهم فى الطرقات لهذا الغرض

وما دام ان العالم كله قد تطور فيه العمران فيجب ان يصل التحسين الى المسجد الحرام . وعار على المسلمين ان لاتكون قبلتهم فى أكمل تنظيم وأفخم ترتيب

هذا واذا كانت الحكومة القائمة بالامر فى الحجاز تحتاج الى المال لهذا الغرض فالواجب علينا ان نمدها به ان لم يكن بطريق الاكتتاب فنتقبل ماتسنه الحكومة الحجازية من الضرائب على الحجاج

كلمة الى الحكومه السعودية

بقى لى كلمة أبديها للحكومة السعودية وهي أننى بارحت هذا البلد الامين المقدس وكلى السنة ناطقة بالشكر إزاء قيامها بواجبها كما تفعل الحكومات الرشيدة من المحافظة على الامن وعلى الاخلاق وعلى الدين وعلى الصحة وعلى المال وعلى الآداب وبالجملة لانها تقيم منار العدل كتعاليم الاسلام الحكيمة وإننى أتقدم إليها برجاء بسيط هوانها تسير مع جمهور المسلمين فى المسائل المختلف عليها والتى لا تزال معلقة بينها وبين جاراتها وخصوصا مصرنا المحبوبة وأن لا تخرج عن الجماعة فى كل الآراء وأن تلتفت بنوع خاص إلى حفظ الآثار الاسلامية

وربما ترى أن تعير مقترحاتى التى بينتها بكتابى هذا جانبا من الرعاية والنظر

اخر الاوقات السعيدة

أنه لا بد لكل إنسان أن يتقلب فى حلو العيش ومره ولا بد له أيضا أن تمر عليه الاضداد من أنواع الحياة فكان من أسعد أيامنا التى

مرت علينا هذه الاربعة وعشرون يوما التى مضيناها فى كنف المولى الكريم بجوار بيته المطهر وكنا كما كان عبيده محل رعايته وأمانه ورضوانه إلى أن أزمعنا الرحيل اليوم . والذى كان يكفكف الدمع المدرار الهتون ويبرد لهيب الجوى من قلب المفارق المحزون هوان وجهة السفر كانت إلى طيبة طيب الله ثراها ونظر بنظرات تحنانه واحسانه إلى أهلها وكل من يغشاها

الى جـــدة

قامت بنا اللوري قبل الظهر وسارت فى طريقها إلى جـدة وكانت تصاب بعطب أثناء الطريق حتى تعطلت مرارا فلم نصل الى جدة الا قبل الغروب بقليل وكانت طرقات جدة ومنازلها كلها مشغولة بالجاويين وعفشهم لترحيلهم الى بلادهم كذلك وكان منزل باتان مشغولا بالجـاويين والهنود ولكنهم أفسحوا لنا مكانا للمبيت فيه أما السيد الافغاني فأنه بات بمنزل آخر وأما الحاج محمد سليمان فأنه بات مع أصحاب لنا من المصريين ينزلون بدار أخرى

وقد استيقظنا فى صباح الثلاث ١٧ الحجة وصرنا ننتظر قيام السيارة وقد مشيت قليلا فى جدة وجهزنا شيئا من الغذاء لاكلنا أثناء الطريق

وانني أعود الى ما يذكره التاريخ عن جدة هذه فأن مينا الحجاز كانت فى الشعيبية وهي جنوبى جدة وقريبة منها وقد رأى الخليفة الثالث سيدنا عثمان بن عفان أن ينقلها الى جدة لقربها من مكة المكرمة فنقلها اليها من سنة ٢٦ هجرية

السيارات والحكـــومة

كل سيارة لاتخرج الى السفر الا من بعد أن تكشف عليها الحكومة كشفا فنيا وهي تأمر كل شركة أن تعد عربة احتياط تمشي وراء عرباتها تحمل

بعض الآلات والعجلات حتى اذا تعطلت احداها تمدها بما يلزم لها وأيضا تنبه الحكومة على الشركات بتعيين أحد المهندسين من قبلها يسير مع العربة الاحتياط حتى يقوم بتصليح أي عربة يحصل لها عطب وكذلك كل شركة يكون لها مخازن فى الطريق لتخزين البنزين حتى تأخذ العربات كفايتها منه

وكانت سيارتنا رقم ٧٨٠ من الشركة الخيرية وقد ذهب بها سواقها واسمه بكر السوداني الى مركز الشركة لتصليحها واعدادها للسفر

وكانت السيارات تستخدم الاجانب من المصريين وغيرهم (المسلمين) ولما تعلم أهل البلاد مهنة سواقة السيارات صارت تستغنى عن هؤلاء الاجانب

الاستعداد لقيـــام السيارة

بعد العصر أقبلت السيارة فركبنا وركب السيد الافغـاني وحاشيته وقد سار السواق بالسيارة الى أن أوقفها بجانب السور الشمالي للبلد وكان مخفر الشرطة على بابه وقد صارت الحكومة تعمل اجراآتها فى قيد السيارات ورقمها وركابها وجنسياتهم مع كتابة التصاريح اللازمة التى تخول لها المرور من المخافر الموجودة بالطريق

وعندما جاء الدور لسيارتنا كان الليل ارخى سدوله فصلينا العشي وقد استلم السواق التصاريح ولما فتح صمام الالة المحركة ليستعد للسير كان

النّور يجذب السّيّارة

انطلقت بنا السيارة انطلاق السهم من الرمية وسرنا على بركة الله تعالى والقلوب فرحة مستبشرة والصدور منشرحة مرتاحة وكانت السيارة تغير

أثناء السير

مصابيحها الامامية القوية حتى يظهر الطريق امامها واضحا واستمرت تسير نحو الساعتين الى ان وصلنا الى نقطة اسمها (توال) فانتظرنا هناك للمبيت

وكان بهذه النقطة اماكن معدة لراحة الحجاج ومبيتهم وهي مصنوعة من (القش) وبعضها مفروش (بالخسف الخوص) ومضاء بمصابيح البترول وبها مقاعد (دكك) من الحبال الليف المجدول يشبه (العنجريب) وهي مجعولة بصفة مقهى يعرض بها الشاي والقهوة ويباع بها ايضا بعض المأكولات ويوجد غير ذلك اماكن صغيرة من (القش) ايضا مجعولة كغرف خصوصية لمن يريد العزلة فأخذ السيد الافغاني غرفة لعائلته واخذت غرفة اخرى لي وصاحبتي اما الحاج محمد سليمان فانه بات بالمحل العمومي (المقهى) وكذلك الخدم الافغانيون . وكان هناك مقاهي كثيرة غير هذه لمبيت الحجاج ولما تميز الخيط الابيض من الخيط الاسود استيقظت واستيقظ الاخرون وصلينا وسرنا على بركة الله تعالى وصرنا نقف بالطريق ببعض النقط للراحة وشرب الشاي والقهوة والغذاء الى ان وصلنا الى نقطة المساجيد عند المساء وكان الاعراب يبيعون بالطريق كثيراً من الخبز والسمك وبعض البقول والفواكه

الدرب سابقا

طلقة بارودة واحدة من قمة احد الجبال التي تكتنف الدرب عن يمين وشمال كانت توقف الركب كله حتى يتفاوض العربان مع الحجيج فيملي شيخ القبيلة ارادته عليهم بان يدفع كل حاج اتاوة قدرها خمسة ريالات فيذعنون للامر ويجيبون الطلب ثم يسير الركب واذا به يسمع طلقة اخرى فيملي

شيخ القبيلة الثانية ارادته ايضا بان يدفع كل حاج ثلاثة ريالات فكان الحجاج مدى الاثنتى عشرة مرحلة التى يقطعها المسافر حتى يصل الى المدينة المنورة وهم تحت رحمة مشايخ العربان ان شاء وايسمحون لهم بالمرور والاهناك العذاب والتقتيل

وكانت تهون المصيبة لووقف الداء عند هذا الحد بل هناك داء دفين يستعصى برؤه وهم الاعراب (الجمالة) فأن الحاج المسكين كان يأخذ معه الشاي والبن والسكر والخبز والجبن وغير ذلك ليلقم الجمال كما يلقم الكلب المسعور والايهوى بالخنجر الى أحشائه فيفريها ولا من مغيث

أنظر كيف يكون الجاهل عدو نفسه وتأمل أيضا فى حالة المعرض عن تفهم كنه هذه الملة السمحة كيف يتخبط فى ظلمات عميقة من الجهل المطبق. إنه لوعرف هذا الاعرابي الغبي بأن الدين لايفرض الحج الا عند أمن الطريق ثم يأتى هو بصلفه وغروره فيجعل حبل الامن مضطربا حتى يحجم الناس عن الحج ويمنع عن نفسه الانتفاع

العربان الان

والآن ماذا نرى ؟ نرى ذرارى هؤلاء العربان يقفون حفايا عرايا وسط طريق السيارات يستندون الاكف وينادون (يابلى بلى يابوي هللة يابوي) فيرمى له بعض الركاب بالهللة كما ترمى الكسرة الى أي حيوان

تقف السيارة ليملاء السائق خزانها بالبنزين ويلقى الصفيحة فارغة على قارعة الطريق وأقسم اننا كنا نعود فنرى الصفيحة كما هي ولا يجسر أحد من الدنو اليها

كنت أتحسر على استماعى للنصائح الجوفاء التى عاقتنى عن ركوب

(التاكس) وانني أرى هذا التاكس وهو معطل بالطريق فيأتي الفاتكون بالامس والوادعون اليوم فيساعدونه الى أن يأخذ طريقه

يالله . هل نحن بالحجاز في القرن الرابع عشر الهجري ؟ كلا بل تخيلت نفسي في خير القرون وقت ان كان ظل الامن الوارف يمتد رواقه على الحجاز فيلزم الكل حدود الادب الديني و يكفون عن الاذى . وقت ان كان سلام الطمأنينة يعم البلاد فتتنفس الانفس نسيمه اللطيف فتذهب معه وخامة العسف والجور . وقت ان كان من نصر بالرعب ينشر لواء العدل فيخفق على الرؤس حتى تتقارب الانسانية و تتعرف حقيقة (الحرية والاخاء والمساواة)

الاستمرار في المسير

بتنا بالمساجيد في غرفة خصوصية ايضا وكنا نحل ربطة السجادة ونخرج الفراش منها لاجل المنام ونستخرج ايضا من (السبت) ما يلزم لنا من الطعام وكان الشاي والقهوة موجودين بالمكان فنأخذ كفايتنا منه

انه اذا عدل الراعي اعتدلت الرعية فكنت عندما اريد المنام لا استغرق فيه كثيرا للخوف على الامتعة وعلى انفسنا ايضا ولكنني رأيت انه لم يخطر على قلب اي اعرابي ان تمتد يده بسوء الينا حتى كنا نتفقد الاشياء البسيطة فنلقاها كما هي

هذا وقد مضينا الطريق وصاحبتي في صيانة تامة وحجاب محكم حتى كان هذا يدحض قول من قال بانه غير ميسور للنساء في هذا الطريق ان يحافظن على الستر والصون (ولكل امرء من دهره ما تعود)

السيد الافغـــانى

كنت انظر الى هذا الرجل بعين الاحترام والعطف حيث تظهر عليه سلامة الطوية وكان منظره يملأ العين مهابة وارتياحا والذى يزيد احترامه فى نظري ان النساء اللائى معه كن فى غاية الحشمة والوقار وما كنا نرى لايتهن وجها ولا يدا. وكان ابنه معه وهو شاب مؤدب وكان يشكو بعض المرض فصاروا يمهدون له فراشا بالعربة فكان ينام معظم الطريق

والامر الذى كنت آسف له أنه لايعرف العربية فيكلمنى ولا أنا أعرف الافغانية فاكلمه وكذلك كل الذين معه ولهذا كنا لانتفاهم معهم مطلقا وكان معى عقاقير مختلفة للعلاج ولكنى لم أعرف نوع المرض الذي يعتريه وأخيرا ناولته بعض الحبوب المسهلة فأذن الله تعالى له بالشفاء

بلاد الافغان

هذا واننى احفظ فى قرارة النفس كثيرا من الاعجاب والحب لبلاد الافغان التى لاتزال دائبة على التمسك بتعاليم الملة الحنيفية وهي فضلا عن احتفاظها بالاخلاق القويمة الكريمة فانها ايضا تتفانى فى محبة اوطانها حتى كانت تذود عنها بكل ما اوتيت من قوة وعزيمة وعندما كان بعض متاخميها يريد ان يبتلعها يجدونها لقمة غير سائغة فلايستطيعون ازدرادها . وهكذا تكون الامم الباسلة التى تريد ان تتبوأ مركزها تحت الشمس بعزة وانفة

كذلك والتاريخ يسطر بين طياته صحيفة ناصعة من الفخر والكرامة لما قام به ابو مسلم الخراساني من الانتصار للحق حيث كان العامل القوي فى رد حقوق العباسيين

امان الله خان

وعلى ذكر بلاد الافغان قد تذكرت ان الملك امان الله خان الملك الاسبق لهذه البلاد قد جاء الى الحج فى هذا العام ونزل ضيفا كريما على البيت المالك بالحجاز . ولما جاء ذكره تذكرت فضل المولى عز وجل واحسانه وانه سبحانه وتعالى يدافع عن اللاجئين الى اعتابه القدسية حيث ان الشعب الافغاني لايحيد قيد شعرة عن مبادىء الاسلام السامية ولما اراد زعيمه ان يورده موارد البوار وان يخرجه من عز الطاعة حتى يرديه فى هاوية سحيقة من الاستخفاف والاستهتار نظر اليه مولاه بعين رحمته وانقذه من هذه الاسواء

وانى التمس بعض العذر لمن يغره زخرف هذه المدنية (المادية) حيث يكون مثله كمثل ساكن المنجم عندما يخرج الى وهج الشمس لابد ان تعشى بصره فلا يميز الغث من السمين ولا الخبيث من الطيب

الكماليون

ومن الذين جذبهم مغناطيس هذه المدنية (المادية) إخواننا الكماليون وهؤلاء قد نشأوا فى (الروملى) مجاورين لاوربا ولما وجدوا أنها تسيطر على المسكونة أرادوا أن يسير واسيرتها حتى يتقدموا تقدمها ولكن فاتهم أن الاتراك الاولين كانوا يفوقون الافرنج رجولة ورقيا وخصوصا فى الحياة المنزلية حيث كنت عندما تلج البيت يكون أول واجب عليك أن تخلع نعليك كانك تدخل الى مكان مقدس ثم تلبس شيئا آخر مثل (شبشب) أو (بنتوفلى) لم يتدنس باوحال الطريق . وأنك لتدهش من نظافة البيت

وترتيبه وقد ترى أثاثه بسيطا ولكنه يهرك نظافته وتنسيقه . وتجد أيضا ربة البيت وهي تديره بحزم ولباقة وأطفالها يدبون حولها كالاغصان الغضة القويمة وهم يسيرون بسرعة الى النمو الطبيعي بسبب الاعتناء بتربيتهم وتنظيفهم . ولو أسعدك الحظ وتناولت شيئا من الطعام على مائدة تركية لعجبت من ترتيبها وتنميقها ويعجبك الطهي وانتقاء الاطعمة واختيار الالوان

اننا نكبر من الكماليين أثرتهم بالانتفاع بمنتجات بلادهم حتى وأن الحكومة ذاتها تحث الاهالى على تعضيدهم لبعضهم وتحتم على موظفيها أن لايشتروا الضروريات الا من صنع بلادهم . وأننا نقدر لهم أيضا تقدمهم فى مرافق الحياة كلها فهم ينشئون المصانع ويشقون الترع ويقيمون الجسور ويمهدون الطريق ويطيرون فى الهواء ويغوصون فى الماء وكل هذا جميل وحسن ولكن مابال المرأة التركية تصد خدرها وتهجر عشها هل المدنية كلها تنحصر فى بروز المرأة سافرة متبرجة ؟ فيا اسفا على المرأة التركية القديمة التى كانت تضىء البيت بجمالها وكمالها وكانت كالوردة النضرة التى لايجسر احد على العبث بها او الاقدام على مسها وكان الرجل التركي لايرتكن على المرأة لتسعى بجانبه كما يفعل الاغيار من الامم بل كان يكد ويكدح لاجل اسعادها وصونها

ولقد قيل بان الذى جعل الكماليين ينأون بجانبهم عن الشرق ولم يريدوا أن يروا بينهم اثارة من أثره حتى أبدلوا أحرف كتابتهم بالاحرف اللاتينية انهم وجدوا المسلمين من كل الجنسيات يتألبون عليهم حتى خسروا الحرب

وقد نتج من هذه الحالة ظهور اية من ايات الله الكبرى تعرفنا بأن

كل من اعتز بغير الله لابد ان يذل على يديه فترى الذين ظاهروا الحلفاء بالامس يعضون النواجذ أسفا اليوم حيث انهم قلبوا لهم ظهر المجن ونكثوا بعهودهم معهم (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) - قرآن كريم -

النهار السعيد

استيقظنا فى الصباح المبكر من يوم الخميس ١٦ الحجة ٧ مايو وبعد

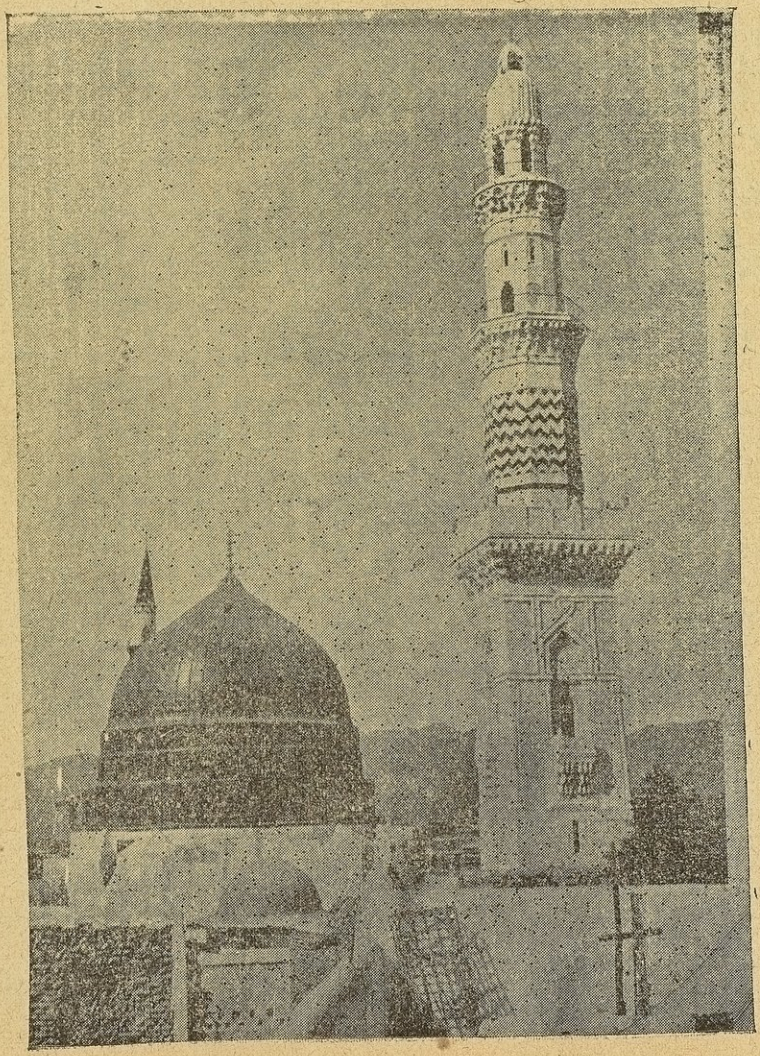

رسم قبة النبي عليه الصلاة والسلام

ان أدينا واجبنا نحو ربنا ونحو نفوسنا ركبنا السيارة وقلوبنا تخفق لشدة الفرح وقد شعرت بقشعريرة بسبب برودة الجو ارتديت لاجلها المعطف وكان هـذا برد المدينة وسلامها هدية الكريم لتحية القدوم

يقول هانوتو وزير خارجية فرنسا سابقا (وماقبر محمد إلا نور كهربائي يجذب قلوب المسلمين) وهذه هي الحقيقة بعينها لان قلبي كان يستبطئ السيارة وهي تنهب الارض نهبا وتهد الجبال هدا ويود ان لو يطير ليحظى بشرف المثول

هذه آبار علي بشائر أعلام المدينة شربنا من ماءها حتى ارتوينا لانه عذب زلال ثم تابعنا السير حتى شاهدنا النور والبهاء والجمال

فى حضرة الكمال

مدينة النور

هذه مدينة المدنية الصحيحة التى تبعد الانسان عن عبادة الاشخاص. هذه مستودع النور الذى يشع على الانسانية فينير لها طريقها الى الهدى والرشاد . هذه مهبط الوحي ومهد العرفان ومنبع الكمال والجلال . هـذه مدينة الايمان الذى ارتشف من منهله العـذب خلصاء المؤمنين فصارت قلوبهم عامرة بالعلم الصحيح والرأي الرجيح علم الحيـاتين وسعادة الدارين

وقفت اللوري بالمتسع الكائن امام محطة السكة الحديد القديمة ويرحم الله أيام هذه السكة الحجازية كنا نكتتب ويكتتب الناس لاجلها حتى اذن الله تعالى لها بالتمام فكانت سفرتنا بها عام ١٩١٠ سفرة مريحة مزيحة للاتراح حتى جاءت هذه الحرب العالمية المشؤمة فعطلت هذه السكة المباركة ولله فى خلقه شؤون

المسافة بين مكة والمدينة ٥٠٠ كيلو مترا تقريبا وكان يمكن السيارة

ان تقطع هذه المسافة بالراحة فى ظرف سبع عشرة ساعة أي باعتبار ثلاثين كيلو مترا فى الساعة الواحدة لان الطريق ليست ممهدة بل كانت السيارة تسير بين وهاد ونجاد وقد قطعت السيارات هذه المسافة فى نحو الستين ساعة لانها كانت تجنح الى الراحة حتى تصلح من شأنها وتأمن سخونة عدتها وحتى يستريح السواق ومساعده أيضا

فى مقعد بنى حسين

تقدم الينا بعض أهل المدينة يدعوننا الى النزول عندهم ولكننى كنت

باب مصرى بسور مدينة المنورة

أحمل اسم الشيخ عبد الله صالح فضايلي ولما ذكرت اسمه حضر أخوه الشيخ حمزة فضايلي وأحضر الحمالين التكارنة حملوا الامتعة وسرنا من باب العنبرية (وهو احد أبواب السور الاول) الى المناخة الى الباب المصري (أحد أبواب السور الثاني)

وهناك قريبا من باب السلام عطفنا جهة اليمين على نزلة بنى حسين ودخلنا دار الفضايلي وهي معروفة (بمقعد بنى حسين) وقابلنا الشيخ عبد الله ببشاشته وحسن خلقه . واهل المدينة المنورة كلهم على جانب عظيم من الوداعة ولين العريكة . واخلى لنا دورا ارضيا وحدنا اما الحاج محمد سليمان فانه نزل بغرفة بدور علوي مع حجاج اخرين من الهنود والجاويين وكان يتوعك من مرض اصابه الا انه ببركة تقواه وورعه كان يقاوم هذا المرض مع اخذه باسباب العلاج والسيد الافغاني قد ذهب الى منزل اخر وكان لا بد لى ان انظف ثيابي وبدني حتى استعد للقاء العظيم

امام الحضرة النبوية

بدت أنوار طه فكانت قرة العين وفرحة القلب فوقفت أمام الحجرة الشريفة وليس عندى جارحة الا وتضطرب لعظم هـذا الموقف وجلاله وهذا بعد ان قمت للمسجد الشريف بواجب التحية بالصلاة

وضعت يدي على صدرى وقلت السلام عليك يارسول الله . السلام عليك ياحبيب الله . أشهـد انك بلغت الرسالة وأديت الامانة فجزاك الله عنا وعن أمتك خير الجزاء . ثم انتقلت خطوة الى يمينى وسلمت على سيدنا الصديق الكريم ثم خطوة أخرى وسلمت على أمير المؤمنين الفـاروق وبعد هذا استقبلت القبلة ودعونا الله تعالى ان يصلح شأننا وشأن المسلمين

وكنت أرى الجند السعوديين يكفون أيدى الناس عن التمسح بالقبر

الشريف ويقولون للناس ان هو الا نحاس أحضر من الاستانة وصاحب القبر قد أدى مأموريته التى كلف بها ثم مات

وهنا سألت نفسي هل العساكر عندنا فى مصر يجندون من الطبقة المتنورة حتى أقيم لقول العساكر السعوديين وزنا ؟ كلا بل هم قوم لا يعرفون من الدين الا قشوره ويتمسكون بجزء جامد غير مرن من التعليم لا يتمشى مع روح الاسلام العالية وتعاليمه المجيدة التى توافق كل زمان ومكان

لقد وصل الى علمنا ان الصحابة وهم الذين ائتمنهم على أخذ ديننا عنهم كانوا يمسحون بوضوء الانسان المكمل أبدانهم للتبرك ووصل الى علمنا أيضا ان يده الشريفة وريقه المبارك كم ابرآ من مرض وكم أذهبا من وصب ومتى عرفنا هذا نعتقد بان جسده الشريف مبارك وكل مايلامسه مبارك أيضا . سيما وانه يقول الخواص من المسلمين ان هذه البقعة من الارض التى تضم اعضاء أشرف الورى هي أفضل من كل شيء فى الوجود

ويقول الجند السعوديون أيضا ان المصريين تبعدبهم الشقة ويتجشمون مشاق الاسفار الى بلد الله الحرام فتغسل ذنوبهم ثم يستأنفون مكابدة السفر الى المدينة المنورة فيحملون من الاوزار مايعودون الى بلادهم وقد تنوء به كواهلهم

سل أية عجوز من المصريات هل الذى هنا فى هذا القبر آله أو شريك للآله أو وزير للآله ؟ تجبك بصريح العبارة . حاشا وكلا . انه عبد الله ورسوله وهو لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولكن مولاه اجتباه وبعثه الى الخلق ليرشدهم الى الحق حتى اختاره الى جواره الكريم

فنحن ان قطعنا الفيافى والقفار للوصول الى أحد المساجد الثلاث التى

تشد اليها الرحال فما هو الا لطلب رضوان الله تعالى والتماس المدد الذى استمده منه رسوله وحبيبه

وهو عليه الصلاة والسلام حي فى قبره يرد السلام على من يسلم عليه ومن يعارض فى هذه الحياة فهو يتشكك فى الايمان بالآخرة والجنة والنار حيث ان أهل النار يعذبون فيها ولا يموتون والنار فى علمنا انها مميتة فالقدرة التى تبقى الحياة فى أجساد هؤلاء المخلدين فى العذاب قادرة أيضا على اعطاء الحياة للجسد فى البرزخ بغير حاجة الى غذاء أو هواء

وبما ان وظيفتى هنا كمؤرخ فحسب وان انتقادى هو من ناحية العمران والاجتماع وأما من ناحية الشفاعة والوسيلة والمعجزات والكرامات والحياة البرزخية وما الى ذلك فليس من شأنى البحث فيه . بل من عندهم علم الكتاب سادتنا العلماء الذين هم ورثة الانبياء هم الذين يبينون ويرشدون . ولقد ارتاحت نفسى كثيرا الى ما يكتبه حضرات علماءنا الاجلاء بمجلة نور الاسلام الازهرية الغراء فى هذا الصدد مما أرضى الله سبحانه وتعالى وأرضى الامين المأمون فى قبره

الاتصال بالمدعى

أصبحنا الجمعة ٢٠ الحجة ٨ مايو فبكرت الى المسجد النبوي الشريف لأحظى بشرف الزيارة وقد مكثت فى هذا المتاع الحسن حتى مطلع الشمس ثم خرجت الى جهة مقبرة المدينة المنورة وهي (بقيع الغرقد) فقابلنى رجل مدني من رجال الشيخ حامد الخطيرى الذى ينزل عنده أهل مصر وأهل الوجه البحري من القطر المصري وقد أخذ اسمي وبلدى وطبع صورتي أيضا فى مخيلته ولزاما على كل نازل بالمدينة المنورة ان يتصل بالمدعى

كما كان يتصل بالمطوف بمكة والمطوفون فى مكة كثيرون لان الحجاج ينزلون بها فى وقت واحد أما المدينة المنورة فان الزوار يأتون اليها زمرا زمرا وفى أوقات مختلفة

عند أنوار البقيع

دخلت من الباب المقام هناك فوجدت القبور كلها صارت مع الارض فى مستوى واحد ولقد أخذ منى العجب أي مأخذ من مبدأ الوهابيين فى الكراهة الشديدة للقبور فما رأيت امة ولا مذهبا يقول قولهم

وضعت حذائى تحت ابطى ومشيت ولو استطعت ان امشى على صفحات خدى ما ترددت لانهم اهل البقيع وما ادراك من هم اهل البقيع هم اقرباء النبي الكريم وانسبائه وعترته واهل بيته بل هم الكواكب المتألقة فى سماء الاسلام الصاحية فهم هداته وهم قادة الخلق الى عز الحياتين

مولاتى الزهراء

انه يعز علي ان تندثر معالم قبرك الشريف حتى يداس عليه بالاقدام ولو أقيم بجانبه مسجد أو أي بناء ما مشي عليه احد وهو يدب بالنعال

قامت الحرب بين روسيا واليابان فكان الشبان اليابانيون يتطوعون للجندية مدفوعين بعامل التحمس للوطنية وقد تقدم الى مكتب الفرز فتى من اهل طوكيو فلم يقبله الكشف الطبي لضعف في بصره فقال اذا لم

أنفع فى الجهاد مع الجيش فانني أصلح لان أوضع فى غرارة ويلقى بى فى أليم بدل أحد الاحجار التى يلقونها فى ميناء بورت ارثور لسدها فى وجه الاسطول الروسي . ونحن لانكون أقل غيرة من هذا الياباني يامولاتى فاذا أعوزتهم الاحجار فانني أرضى ان أكون بدل أحدها لنشيد بذكرك العطر

مولاتى الزهراء

لولا ان الذى انتهك حرمة قبرك الشريف هو الرجل العادل الذى أمن الطريق الى مقام أبيك الكريم لغضبت ثم غضبت . ولكن يامولاتى (ان الحسنات يذهبن السيآت) فسلام عليك وعلى أخيك الطفل المحبوب سيدنا ابراهيم وعلى أختك الكريمة سيدتنا رقية

ان كافة المسلمين يعترفون بمجد بيتكم وسابقتكم وانتفاعهم بانواركم وفضلكم حتى وانهم انتفعوا من جهة أخيك الطفل المبارك سيدنا ابراهيم لانه عند ما انتقل الى العالم الآخر وجلس أبوك العظيم على قبره يلقنه كلمات التوحيد انتحى سيدنا عمر ناحية من المكان وأخذ فى البكاء حتى بكى لبكائه سادتنا الصحابة ولما سأل الرسول الكريم عن سبب هذا البكاء اجابه سيدنا عمر اذا كان هذا المائت طفلا لم يبلغ الحلم بعد وانت تلقنه كيف يرد على الملكين فماذا يصنع الكبار الذين خاضوا فى بحر هذه الحياة الخضم ؟ عند ذلك نزل الوحي بقوله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة

مولاى ابا محمد الحسن

ان انسى لا انسى وانت واخوك الجليل الحسين تدبان بين يدي جدكما

العظيم وقد دخل عليه وفد نجران النصارى ولما عرض عليهم سيد الانبياء قول الله تعالى (فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) فلم يقبل الوفد هذه المباهلة ولما سئل كبيره عن سبب امتناعه عن تلبية هذا الطلب قال لاننى نظرت وجوها لو طلبت من الله تعالى قلب البسيطة لقلبها

كذلك ولا انسى يوم ان دخل احد الصحب الكرام فوجدك وأخاك تلعبان على ظهر جدكما العظيم فيقول الصحابي (نعم الجمل جملكما) فيرد عليه سيد الاكوان (ونعم الراكبان هما)

ثم ومن حسن ادبكما الذى ادب الله تعالى به بيتكما انك وجدت رجلا لم يسبغ الوضوء فمنعك حياؤك الغض وادبك النضر أن تجبهه بالنصيحة بل قلت له .اسمع ياعم . ان اخى هذا يقول ان وضوءه احسن من وضوئى فتعال نتوضأ امامك لتنظر أينا احسن وضوءا فلما توضأتما امامه قال والله ياولادى ان وضوءكما احسن من وضوءى ثم اصلح هو من وضوءه

وكنت يامولاي للمثل الاعلا فى التضحية لصالح المسلمين حيث انك لم تعبأ بابهة الملك وعز الخلافة وتنازلت عنها عن طيب خاطر حتى هدى الله بك طائفتين عظيمتين من المسلمين

وكنت أيضا يامولاي القدوة الصالحة فى الاناة والحلم حيث كان والى المدينة مروان بن الحكم يريد ان يثير غضبك بصلفه وغروره فلا تأبه به وتحلم عليه وانت ابن الاكرمين حتى عندما انتقلت الى الدار الآخرة كان يبكيك فقيل له كيف تبكيه وكنت تغضبه فيقول لانه احلم من هذا ويشير الى الجبل

مولاى العباس بن عبد المطلب

إن لك على الاسلام لفضلا يسجله لك التاريخ فى صفحاته الخالدة بمداد من نور إذ كنت عينا على الكفار تخذل عن الاسلام بما استطعت من من حول وطول وكنت عونا لابن أخيك الكريم تساعده على رفع لواء الاسلام عاليا

مولاى سفيان بن الحارث

إننى أذكر لك بكل طيب من القول وقفتك المحمودة بجانب ابن عمك الامين المأمون تمرغ خدك على رجله فى الركاب وهو يتطى (دلدل) يوم حنين إذا عجب المسلمين كثرتهم فتهاونوا فى النزال حتى كان ما كان إلى أن رمى الكريم الحليم حصياته فأنزلت عليه آية التسليم بالقدر (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى)

مولاتى الحميراء

أنت التى أخذ المسلمون عنها نصف دينهم وأنت (الحصان الرزان) من نزل ببراءتها القران يتلى على مر السنين وكر الاعوام فسلام عليك ياسيدتنا عائشة الصديقية وعلى جيرتك الزوجات الشريفات أمهات المؤمنين

سيدنا ابا امامة اسعد بن زرارة

انى لا أنسى تاريخك الجليل وخطواتك الميمونة نحو قومك الاوس والخزرج تحثهم على اتباع النور الذى انزل من السماء فكنت بشير الهناء

اليهم وكنت محمود الطلعة و(نقيب) الخير عليهم حيث كنت تعاون فتى قريش مصعب بن عمير على نشر كلمة اليقين بين السادة الانصار

سيدنا سعد بن معاذ

كنت ياسيدى فى الانصار كابى بكر فى المهاجرين وانى اثنى عليك ثناء طيبا لما أظهرته من العطف نحو صاحب المقام المحمود كما وانى اذكر لك موقفك المشرف يوم أن أقامك حكما على بنى قريظة فقلت قولتك المأثورة (قد آن لسعد أن لا تأخذه فى الله لومة لائم) ثم حكمت حكمك الذى صدر من سبع سموات

وأيضا لا يفوتنى التنويه برفعة مقامك وقت أن قدمت على خير الناس ويحيط به صحبه الكرام فيقول للسادة الانصار (قوموا لسيدكم) سادتى السابقين الاولين

سيدنا عثمان بن عفان

صاحب النورين وزوج الزهرتين كريمتى خير المرسلين كنت ياسيدى غيورا على الاسلام حتى جهزت جيش العسرة من طيب مالك ولما القيت بالذهب فى حجر سيد الزاهدين صار يقلب فيه ويقول (ما ضر عثمان بعد هذا) وكفى بهذا فخرا

سيدنا عبد الرحمن بن عوف

ان قلمى الضعيف ليعجز أن يلم بطرف من مناقبك العالية حيث كنت

ممن هاجر الهجرتين وتوجه شطر القبلتين. وإنى أذكر عندما تلاحى معك سيدنا خالد بن الوليد (وكان ممن اسلم أخيرا فى العام الثامن الهجري) ولما سمع بهذا سيد المرسلين قال له (مهلا يا خالد دع عنك اصحابى فوالله لو كان لك احد ذهبا فانفقته فى سبيل الله تعالى ماادركت غدوة رجل منهم ولا روحته) والمراد باصحابه السابقون الاولون

سيدى سعد بن ابى وقاص

انك يامولاي السيد الكريم حيث فداك سيد ولدآدم بابيه وامه وانت ترمى فى اليوم العصيب يوم احد اذ يقول لك (ارم سعد فداك ابى وامى) وأي شرف بعد هذا ؟ وكنت ياسيدى مجاب الدعوة بدعاء سيد الخلق

سيدى ابا عبد الرحمن عبد الله بن مسعود

كنت ياسيدى كاتم سر الامين المأمون وبعد أن انتقل الى الرفيق الاعلا كنت ترجمان لسانه فاخذنا عنك معظم تعاليمه المرضية

سادتى السعداء اهل البقيع

أننا لا نرضى أيها السادة أن يغمط فضلكم ويقبر ذكركم وأنتم جيرة الحي الزاهر والركن العامر جيرة البقعة الطاهرة خير بقاع الارض طرا

هذا ولما أرادت صاحبتى أن تتشرف بزيارة البقيع منعها الجند عن الدخول فاوقفتها على تل عال يشرف على هذه الانوار وسردت لها شيئا من أسرار هؤلاء الاقمار الثاوين فى هذه الاجداث الاطهار

صلاة الجمعة بحرم المدينة

كنت فيما مضى أرى المجمرة توضع كل يوم جمعة أمام القبر الشريف ويطلق بخور الند والعود ثم يأتى رجل من الفقهاء ويقف أمام الواجهة الشريفة ويتلو آيات منتقاة من بين الآيات الكريمة مثل قوله تعالى (سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار . سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين . ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون . الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب)

ووقتها كان ضمن الزوار رجل من أهل مصر المحبين ذوى الصوت الحسن فأخذ يترنم بقصيدة غراء فى مدح افضل ممدوح فكان جمال صوته يلين القلوب فتذرف العيون الدموع من شدة الوجد والهيام .

فتذكرت يوم أن عاد سيدنا بلال إلى المدينة بعد انتقال سيد الانبياء إلى العالم الآخر وقد ألح عليه سادتنا الحسن والحسين وبعض أعيان الآل والاصحاب أن يؤذن فلما اذن استعبر الناس واجهشوا بالبكاء تشوقا لذكر الحبيب المحبوب

وقد رأينا الآن بعض الناس ينقمون منا أن نمتدح الامين المأمون ونحن دونه مقاما واحتراما بل لا نكون قطرة من غيث فضله ولا نقطة من بحر علمه وقد مدحه مولاه المهيمن الكريم بآيات بينات من القرآن الحكيم وكان أظهرها (وإنك لعلى خلق عظيم)

وكما أنى لم أسمع أحدا يقرأ السورة بالحرم المكي كذلك لم أسمع من يقرأها بالحرم المدني . وقد سمعت رجلا مقرئا من بلدة مجاورة لمدينة طنطا

بالقطر المصري يقرأ شيئاً من سورة الكهف وهو في وسط الناس وكان رخامة صوته تجعل قلوبنا تخشع لذكر الله تعالى

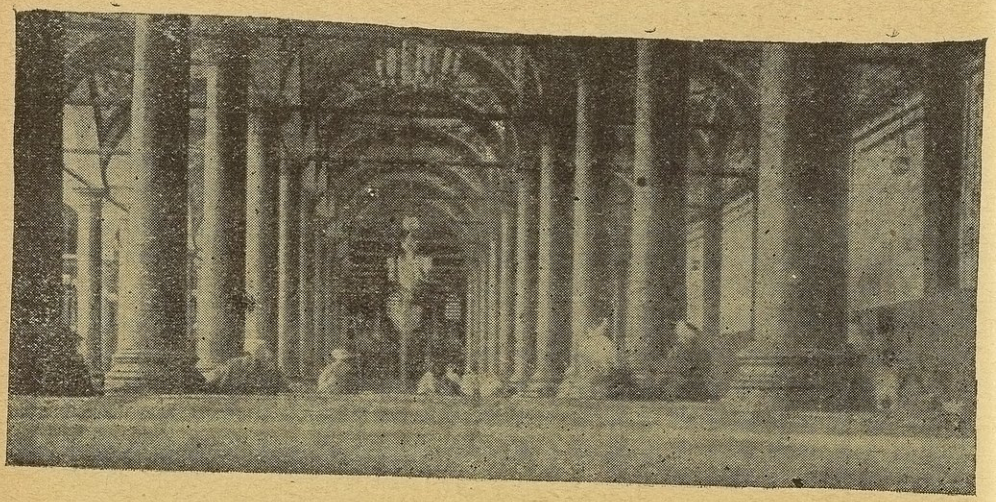

منظر بواكي داخل الحرم النبوي الشريف

ولقد رأيت الجند يفسحون مكاناً في الروضة الشريفة من جهة الطرقة حتى حضر والي المدينة وجلس فيه بين خواصه وأضيافه وكنت أحيطه بنظرات العطف لاني أتحيز للعرب إكراما لمن تشرفت به العرب

كان الخطيب فيما مضى يلبس عمامة كبيرة أشبه بعمامة الخلفاء العباسيين ويلبس عليها شالا كشميريا ثم يرتقي المنبر ويلقي خطبته وكلما يذكر شيأ من الاحاديث يشير الى القبر الشريف ويقول (قال صاحب هـذا المقام)

واني أرى اليوم الخطيب وهو يرقى المنبر بلباسه العادي النجدي وقد ارتاحت نفسي اليه لأنه كان يتكلم بتؤدة ورزانة وقد أذن المؤذن بين يديه والقى خطبته وهي تحث على ترك البدع والاخذ بصحيح السنة ثم صلى على سيد الكائنات وترحم على أهل البيت الاطهار وعلى الصحابة الاخيار منهم العشرة الكرام وغيرهم من المهاجرين والانصار . ثم أخذ يدعو للحجاج

والمسلمين وكانت خطبته لاتختلف عن الخطبة عندنا الا انه لم يأت فيها بالحديث الشريف . ثم أقام الصلاة بخشوع وسكون مع اتمام الاركان

الدرر والتحف

أمعنت النظر بالحرم الشريف فطفقت أسدد اللعنات الى هذه الحرب العالمية لانها كانت سببا فى ضياع التحف والهدايا التى كان عظماء المسلمين يهدونها الى القبر الشريف حتى كان منظر الحجرة يبهر الابصار لما تزين به من نفيس الجواهر وكان أبهاها منظرا الجوهرة الثمينة الكبيرة المسماة بـ (الكوكب الدري) هـذا عدا الشمعات الذهب والثريات المرصعة (والدنيا مظاهر)

وانى أذكر من باب التحدث بنعمة الله تعالى انه فى أثناء زيارتى الاولى لم أشغل نظرى بهذه الجواهر مطلقا بل كنت أتفرغ لمناجاة العالم بالسر والنجوى حتى يتفضل ويأذن بتبليغ سلامى واحترامى لمقام الرسالة العظمى

انوار الحرم

كان يحلو لى الاتئناس بالجلوس فى الروضة الشريفة التى قيل فيها (مابين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة) وكنت أفكر مليا فى ماآل اليه أمر الحرم النبوي الشريف حيث تراه لابسط ولا طنافس ولا أنوار كافية فدار بخلدى ان القوم لايزالون على مبدأ تقليل الانوار بالمساجد وكأنى بهم وقد غاب عنهم ان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لما رأى كثرة الناس الذين يؤمون المسجد الشريف زاد فى اضاءته فلما رأى سيدنا الامام علي هـذا النور قال (من نور مسجدنا ينور الله عليه ضريحه) وفى هذا حث على انارة

المساجد بالنور الكافى

عادت بي الذكري الى زمن العثمانيين أيام كنا نرى حفلة الاضاءة تنظم عند الاصيل من القنديلية والوقادين وهم يلبسون ملابس بيضاء ومعهم مندوب من قبل الخازندار وآخر من قبل شيخ الحرم (وكان برتبة الباشا) ويصحبهم بعض الاغوات من خدام الحرم الشريف النبوي والجميع يلبسون ملابس بيضاء من نوع واحد (أي فراجية بيضاء) ثم يأتي المبخر ويطيبهم بماء الورد يرشه من (قمقم) معه ويطلق البخور من بجمرة معدة لذلك ثم يقومون صفين متراصين ويدخلون الى الحجرة الشريفة من باب السيدة الزهراء (وهذا الباب دائما موصد ولا يفتحه الا الخازندار أو من ينوب عنه) فينزل القنديلي القنديل ويسرجه الوقاد ويرفعه الآخر وهكذا الى ان تتم عملية الاضاءة فى الحجرة الشريفة ثم يقفون صفا منظما امام الواجهة من الداخل ويلقنهم (المدعى) المرافق لهم بان يطلبوا من الله تعالى ان يتفضل بقبول هذه الخدمة لرسوله وحبيبه ويسألوه تعالى أيضا بان يجعله راضيا عليهم

ولقد سبقت لى السعادة وتشرفت بالاندماج فى هذه الحفلة المباركة وكنت أعدها نعمة عظيمة كما كان يعدها كل الناس حتى وان المرحوم السلطان عبد الحميد قد أنعم علي سمو الخديوى السابق عباس الثانى برتبة وقاد شرف بالحجرة الشريفة النبوية أثناء تشرفه بزيارة القبر الشريف

وليس فى هذا اشراك بالله تعالى اوانا ندعو مع الله احدا بل اننا نتقرب اليه سبحانه وتعالى بتكريم من اكرمه وشرفه وعظمه

وانك تنظر الآن فلا ترى اي نور بالحجرة الشريفة ولا من يعتنى بها وترى ثريات الكهرباء المضاء بها المسجد الشريف قليلة وضئيلة حتى صرت اتشكك في عقيدة من اثنتين اما عقيدة الامة التي ظلت القرون

العديدة وهي تقوم بخدمة هذا القبر الشريف وتكريمه وتعظيمه واما عقيدة الوهابيين الذين لايعتنون بالقبور ويعتبرون ان لاكرامة للميت مادام انه مات وانقطع عمله . ولكن عقيدة الاكثرية هي التي يرتاح اليها العقل ويقرها العرف

تزويق المساجد

ومن الناس من تختمر فى رأسه عقيدة وقل من يستطيع ان يزحزحه عنها حتى ولو كانت سقيمة وكانت لاتتمشى مع العمران ولا مع العقل اذ يقول بعضهم ان تزويق المساجد امر غير ممدوح لانه يشغل افكار المصلى . واي مصل لايشتغل فكره اثناء الصلاة وهذا سيدنا عمر بن الخطاب كان يعبيء جيشا كاملا وهو فى الصلاة ، ثم واشتغال الفكر رحمة من الله تعالى بعبيده الضعفاء أمثالنا اذ لو أخلى الانسان ذهنه من الاغيار وافتكر بيقين انه ماثل امام العزة الصمدانية لذاب جسمه من الخشية والرهبة لمقام الربوبية العظيم

وعلى كل حال ان التزويق الممقوت هو من قبيل الصور التى أمر السيد الكامل بازالتها عن الكعبة المشرفة يوم الفتح الاعظم

مناصب الدولة

ترى الحكومة السعودية وهي تعطى كل مناصب الدولة الرئيسية للنجديين فكنت ترى الوالى وشيخ الحرم والخطيب والعلماء والاطباء أكثرهم من النجديين ولا تثريب عليها فى ذلك لانها تود ان تحفظ كيان الدولة من كيد المناوئين

ولقد سمعنا اشاعة صاغها مروجوها فى قالب من عواطفهم ونسجوها على منوال من ميولهم وفحواها ان فرج أهل الحجاز سيكون بعد سبع سنين كما يقول العارفون بعلم الجفر والبازرجة . وهم يقصدون بهذا ان هذه الدولة السعودية لاتمكث بالحجاز سوى هذه المدة ولكن فات هؤلاء المهتورين ان المسلمين كلهم مدينون لهذه الدولة بحياة أفراد الحجاج منهم والجميع يتمنى لها العمر المديد والعز والتأييد

المؤسس على التقوى

فى طريق قباء

أين تذهب ياصعلوك وسط الملوك ؟ ضربت هذا المثل لنفسى عندما تخيلت وأنا أركب العربة مع صاحبتى ووجهتنا قباء أننى أخرج مع السادة الانصار لملاقاة مولانا صاحب الانوار ولكننى وجدت أنه ينقصنى الثوب الابلج والبرذون المهملج والحسام السمهر والرمح الاسمر حتى أنزل فى حلقة البرجاس فرحا بلقاء خير الناس ثم عدت فانكمشت وقبعت فى العربة حيث لا قبل لى على الامر العظيم الذى أقدم عليه السادة الانصار وهو الثبات عند مشاهدة الجمال والكمال والبهاء والضياء . نعم إن السادة الانصار كادت تطيش أحلامهم عند ما تبدت للعيان طلعة صاحب الجبين الوضاء ولكن المولى الكريم أراد أن يبقى عليهم ليجعل انقاذ الانسانية على أيديهم ويأتى بالخصب إلى الارض المجدبة من بين ظهرانيهم

أنى ارهفت سمعى وكأنى أسمع اليهودي وهو واقف على أطم مرتفع من آطامهم فيبهره السناء المتلألىء بين مسارب السراب فلم يمتلك نفسه إلا أن ينادى بأعلا صوته (يامعشر العرب هذا حظكم الذى تنتظرون قد اقترب) فركب بنوقيلة (وهم الاوس والخزرج) وخفوا إلى ملاقاة المهاجر العظيم وصديقه الحميم مؤهلين مرحبين فرحين مستبشرين

ويقول فى ذلك سيدنا أنس بن مالك . لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أضاء منها كل شيء وصعدت ذوات الخدور على الاسطحة عند قدومه وهن يعلن مع الصبيان والولائد

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعى لله داع
أيها المبعوث فينا جئت بالامر المطاع

خرجنا من باب السور الشمالي وكان به مخفر للشرطة وسارت بنا العربة فى طريق معبد بين حدائق غناء أكثرها من النخيل وكنت أرى كل شيء يضيء فى الافق أمامى. نعم إننى خلفت مبعث الانوار وسر الاسرار فى مكانه الطاهر ولكننى أسير أولا مع خيالى حتى نصل الى قباء قبل العربة لنشاهد منازل كلثوم بن الهدم بن امرىء القيس شيخ بنى عمرو بن عوف الذى جاءته السعادة طائعة مختارة عند ماتشرفت دياره بيمن قدوم رحمة العالمين وقد هاجر الى طيبة ونزل ضيفا كريما على هذا الشيخ العظيم

هاجر السيد الكريم وكانت هجرته خيرا وبركة على العالم حيث انتشرت تعاليم الاسلام القويمة وسرت روحه العالية فى كل الارجاء ونزلت غيوث العرفان فاحيت الارض بعد موتها حتى صار الانسان يتقلب فى نعيم الحياة ورغد العيش

ما أفضل الحب فى الله تعالى خالصا مخلصا إذ كان سيدنا أبو بكر الصديق وهو يسير فى طريق الهجرة مع رفيقه العظيم يمشى تارة أمامه وتارة خلفه وطورا بجواره ويقول فى ذلك إنى أخشى الرصد فأمشى أمامه وأخشى الطلب فأكون خلفه وأخاف الكمين فأسير بجانبه فانظر إلى الاخلاص لله ولرسوله

وكم جرت من معجزات وبركات فى الغار وبعد الغار إلى أن وصلا إلى مستودع الاسرار ومدينة الانوار ومثوى الاخيار الابرار

ماء المدينة

وصلنا بالعربة إلى محلة قباء وجلسنا فى مقهى مقامة على عريشة من الخوص وشربنا ماء خلنا أنه مبرد بالثلج ولكنه مفعول القلل الفخار وخاصية طينتها فى التبريد وخاصية الماء المبارك أيضا

وماء المدينة المجعول للشرب هو من العين الزرقاء أو (عين الازرق) وهو بئر بقباء غربي مسجدها وسبب تسميتها بالازرق نسبة إلى مروان ابن الحكم لانه كان ذا عينين زرقاوين وقد أجراها إلى المدينة المنورة وهو عامل معاوية عليها وبأمر منه وساربها حتى أوصلها إلى مصلى الاعياد (عند مسجد الغمامة) ثم صار الناس يصلحونها ويمدونها بعد ذلك إلى أن وصلت إلى الحرم النبوي الشريف وماؤها عذب فرات وكنت أشرب منها على الريق فلا أشعر بأي تعب وكانت طريقة حصولنا على الماء كحصولنا عليها فى مكة المكرمة

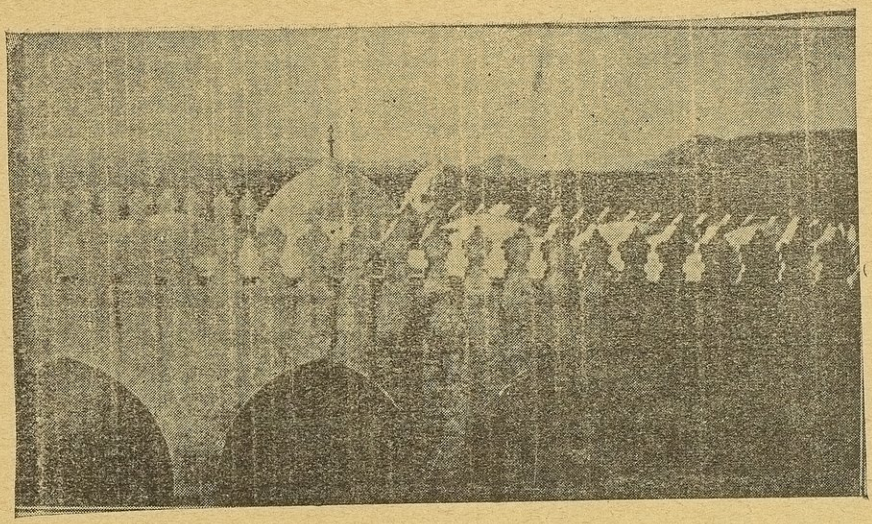

داخل مسجد قباء

فى مسجد قباء

تشرفنا بالدخول الى مسجد قباء الذى يقول الله تعالى فى شأنه بعد ذكر مسجد ضرار (والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن ان أردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون . لاتقم فيه أبدا لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق ان تقوم فيه . فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين افمن اسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم والله لايهدى القوم الظالمين لايزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم والله عليم حكيم)

وسبب إنشاء مسجد ضرار هذا ان جماعة من الانصار ابتنوا مسجدا وكان أبو عامر الفاسق أحد كبار المنافقين يحضهم على بناءه ويقول انى أستنجد بقيصر الروم فيمدكم بجنود ذوى بأس وقوة لتخرجوا محمدا وأصحابه من المدينة

ولما فرغوا من بناءه طلب مشيدوه من النبي الكريم ان يصلي فيه ولما نزل قوله تعالى (لا تقم فيه أبدا) امتنع وأرسل نفرا من الصحابة ليهدموه ويحرقوه

أما مسجد قباء فان السيد العظيم بناه أثناء اقامته الشريفة بها ولما تحول الى المدينة المنورة كان يذهب اليه ويصلي فيه وكذلك فعل الصحابة من بعده

زرنا مسجد قباء وهو كائن بالجنوب الغربي للمدينة المنورة وفيه موضع يقال له (طاقة الكشف) وبه بئر يقال انها لابي أيوب الانصاري صلينا ودعونا الله تعالى لنا ولاولادنا ولجميع المسلمين

وفي غرب المسجد مسجد السيدة فاطمة الزهراء وبه مكان يقال انه الموضع الذى كانت تطحن فيه الشعير وقد عمل الآن مخفرا للشرطة

ابار المدينة

ولما خرجنا من المسجد توجهنا لمشاهدة الآبار وهي بئر العين الزرقاء التى سبق الكلام عنها . وبئر اريس وهي فى الشمال الغربي من مسجد قباء وهي داخل حديقة وعمقها نحو الاثنى عشر مترا وبها فتحتان يجرى بهما الماء وفتحة ثالثة تصل الى العين الزرقاء

واريس الذى سميت البئر باسمه رجل من اليهود ومعنى اريس (الفلاح) بلغة اهل الشام

وتسمى هذه البئر بئر الخاتم لان خاتم سيدنا رسول الله وهو مكتوب فيه (محمد رسول الله) تختم به سيدنا ابو بكر ثم سيدنا عمر ومن بعدهما سيدنا عثمان وبعد ست سنين من حكمه جلس على هذه البئر وخلعه من اصبعه وصار يعبث به فوقع منه فصاروا ينزحون البئر مدة ثلاثة ايام فلم يجدوه

وتسمى ايضا بئر التفلة لان سيدنا ومولانا المصطفى تفل فيها بريقه المبارك ومقام عليها ساقية وهذه الساقية مخالفة لترتيب السواقي عندنا وتسمى عندهم (سانية)

وبالمدينة أبار كثيرة منها (بئر الاعواف) وهي احدى صدقات النبي المختار (وبئر أنس) وهي جهة الحديقة المعروفة بالعينية وبقرب هذا البئر قبر الشريف الكريم والد خير المرسلين (وبئر بيرحاء) الذى أوقفها أبو طلحة الانصاري على أقاربه وبنى عمه (وبئر رومة) وهي التى اشتراها سيدنا عثمان بن عفان وجعل ماءها للمسلمين يشربون منه مجانا (وبئر غرس) وهي بقباء شرقي مسجدها وعدا هذا يوجد آبار كثيرة مثل بئر القويم وبئر العباسية وبئر الصفية وبئر البويرة وبئر عروة بوادى العقيق ويوجد آبار أخرى وكل أهل المدينة يعولون على هذه الآبار فى سقي أراضيهم ومواشيهم

دار ابى ايوب

كانني أرى العضباء وهي تبرك أمام دار خالد بن زيد المكنى بابي أيوب الانصاري بعدما كان كل من السادة الانصار يحرص على نزول راكبها العزيز بداره ولم تسع الدنيا ابا أيوب من الفرح وأدخل الرحل الى الدار ونزل الراكب الكريم بفنائها. نزل بهذه الدار مفتاح أسرار الربوبية العظمى ومبعث أنوار تجلياته ورحماته الى خلقه ويالها من بركة حلت بهذه الدار

وقد تحول المهاجر العظيم الى مسجده الشريف بعد ان مكث بها مايقرب من العام وهذا المقام يجعل لهذه الدار قيمة ثمينة أحرى بنا ان نحتفظ بها مع آثارنا الخالدة التى يهم العالم الاسلامي ان يراها مشيدة شامخة البنيان عالية الاركان ولكنني ويالالأسف وجدتها أيضا مغلقة كسابقاتها خشية التمسح

وهـذه الدار أيضا لها تاريخ مجيد حيث قد ثبت ان حسان بن تبع قد وجد فى العلم الغيبي ان يثرب هذه ستكون مقرا لنبي يبعث فى آخر الزمان فارصد هذه الدار لتكون سكنا له ولكن لما تقادم العهد على هذه الوقفية لم يبق لها من أثر واننا نصدق بهذا الحديث لان هؤلاء القوم كانوا يستوحون الغيب من طريق استراق السمع من السماء ومن علم التنجيم والسحر والكهانة وغير ذلك

واننا نؤمن بالسحر أيضا لانه عند ما افتتح قبر توت عنخ أمون الفرعون المصري خرجت منه البعوضة السحرية وطارت حتى وصلت الى اللورد كارنرفون نابش القبر ولدغته فمات على الاثر

الحوض المورود

ولقد وجدت قريبا من هذه الدار سبيلا معطلا يسمونه (الحوض المورود) كان يستقى منه الناس ماءً عذبا فراتا ولكن اسمه جنى عليه فاغلق لانه لايوجد فى هذه الحياة الدنيا (حوض مورود)

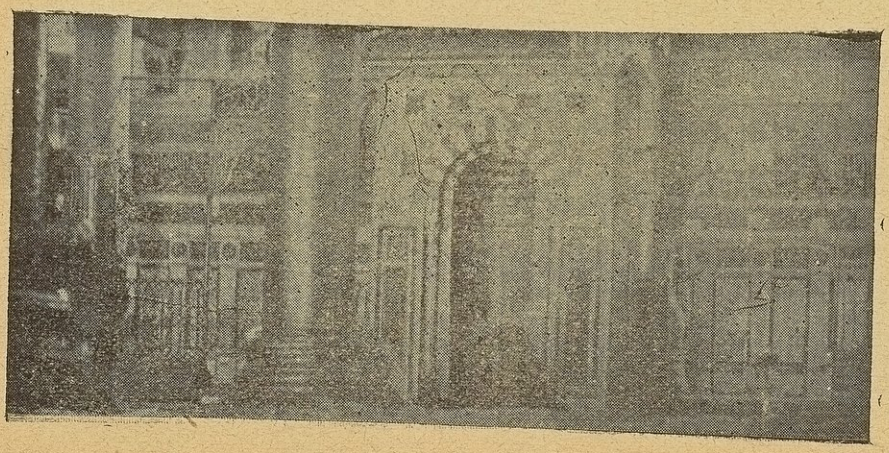

المحراب العثماني بالمسجد النبوي الشريف

جلاء الظلمة

أردنا ان ننتهز هذه الفرصة السعيدة ونجلو ظلمة النفس بالتبرك بالانوار المحمدية فكنا نقوم وقت السحر ونؤدى ماعلينا من الواجبات المفروضة ثم نتشرف بالجلوس أمام الواجهة الشريفة ونستحضر بقلوبنا ذكر الله تعالى ونرجوه ان يتفضل بتبليغ تحياتنا الى حبيبه وصفوته من خلقه وكنا نسمع القائمين بتلقين الناس الدعاء فتنشرح صدورنا بهذا المنظر المفرح ولكن كان ديدنى ان لاأرتاح الى الجهر فى الدعاء بل كانت ميولى تتجه نحو مناجاة مولانا عز وجل فى سرى وضميرى

وكنا نستمر فى جلستنا هذه منعمين بالقرب من مقام الحبيب حتى تتعالى الشمس فى كبد السماء

محاورة يوسف

بينما نحن جلوس هذه الجلسة السعيدة واذا برجل من أهل مصر اسمه يوسف محمد بيومى قد وقف ليهدى أطيب التسليمات الى سيد ولد آدم فتحكك به أحد الجنود وقال له

لماذا تضع يدك على صدرك هكذا ولمن هذا التأدب وصاحب القبر مائت ؟

فاجابه يوسف . انى أضعها لله تعالى

فيقول الجندي . ولكن الذى فى القبر ليس هو الله

فيجيبه . ان الله موجود فى كل مكان وقد أمرنا ان نتأدب مع صاحب هذا القبر الشريف

ثم يرجوه يوسف ان يسمح له بان يضمخ المقصورة الشريفة بالطيب الذى فى يده . وأراه القارورة

فيتهكم عليه الجندي ويقول له . ولكن هـذا النحاس لا ينفعه الطيب فانتفع انت بثمنه

فيتأفف يوسف ويفهمه بان الملائكة هم الذين ينتفعون بالطيب وما النحاس إلا أداة لحمله فقط

فيستمر الجندي فى جداله ويسأله وأين هم الملائكة ؟

فيرد عليه اننا نسمع من أشياخنا بان الملائكة تتنزل على صاحب هذا القبر الشريف ليسلموا عليه تسليما

مايرومه يوسف

يروم يوسف أن يقول للعسكري بأن الله سبحانه وتعالى يقول فى كتابه العزيز (يا أيها الذين آمنوا لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم لبعض)

ويقول عز وجل فى موضع آخر (إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) ويقول جل ذكره أيضا (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون) فالله سبحانه وتعالى يأمرنا بأن نتأدب فى حضرته الشريفة ولو تأدبنا أمام قبره الشريف الآن نكون قد قمنا بالواجب واتبعنا أوامر الله تعالى والله يعلم ما نخفى وما نعلن

يقول الصادق المصدق (حبب إليّ من دنياكم ثلاث الطيب والنساء

وجعلت قرة عيني في الصلاة)

حبب اليه الطيب لانه كانت تحيط به الملائكة ولا بد أن تزور قبره الشريف الآن لتصلي عليه كما قال تعالى (إن الله وملائكته يصلون على النبي) وإذا سلمنا جدلا وقلنا أنهم يصلون عليه بعيدا عن قبره الشريف فانه لكل منا ملكان من الحفظة والمكان قط لا يخلو من إنسان فحينئذ لا بد من وجود الملائكة . وانتفاعهم بالطيب مؤكد

هذا والافكار الخاطئة التي تمر في أذهان الفئة التي تهرف بما لا تعرف تلجئني لان أبين هنا بأنه حبب اليه النساء ليس لغرض نفساني بل لاجل أن يرى أمهات المؤمنين فعاله الشريفة فيعلمنها للناس كما أمرهن المولى الرحيم إذ يقول سبحانه وتعالى (واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ان الله كان لطيفا خبيرا) إننا نتعلم من هذا البيت الرفيع العماد بيت المجد والادب كيف نغتسل ونتوضأ وكيف نصلي ونتهجد وكيف نصوم ونتعبد وكيف نرفق بالصاحبة والولد ونحلم على الخادم ونرأف بالامة

ونتعلم أيضا كيف نسوس الاسرة ونمسك زمام البيت حتى لا يفلت قياده من أيدينا فـ (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) وبالجملة أننا نتعلم آداب اللياقة وحسن المعاشرة ولا نظهر أمام أطفالنا الامتسربلين بلباس التقوى والفضيلة حتى يشبوا عليها والانسان ابن البيئة

هذا ولقد حصلنا على فائدة عظيمة من ناحية هذا الجنس النسوي حيث كلما أذكر شيئا عن صاحبتي أذكر بجانبه واجبات النساء في الحج وانكلم عن المرأة في مناسبات أخرى

محبة يوسف

والذى يحبب إلي يوسف أنه محب وأنه محسوب ومن اللائذين باعتاب السيد الامين إذ وجدته يأتى إلى الحجرة الشريفة من جهة الروضة وهو المكان الذى كنت أحرص على الجلوس فيه بين العشائين كنت أجده يأخذ التراب من أرض الحجرة الشريفة ويكتحل به وهو سليم العينين قوي البنية

وها أنا ذا أرى القراء يسخرون من يوسف ويعيبون على قلمي أيضا أن يتفوه بمثل هذا القول ولكن أقول للمعترضين أنى قرأت فى احدى مجلاتنا الزاهرة مقالا يصح أن أذكره هنا للتدليل على أن العقيدة لها نفعها وراحتها

الدجال امام المحاكمة

قدمت نيابة محكمة السين أحد أبناء فرنسا اليها بتهمة التدجيل والشعوذة وهي تطلب محاكمته على ما اقترفه من هذا الاثم فقال المتهم وهو فى موقف الدفاع عن النفس إذا كان البتة من محاكمتى فيجب أن تحاكموا معى الاطباء أيضا لان الدواء الذى يصفه الطبيب لا يؤثر بنفسه بل إن عقيدة المريض فى دواءه بأنه ناجع فى استئصال الداء هي التى تتمشى مع سريان الدم فتساعد على الشفاء . وكذلك إن المريض يعتقد فى التعاويذ والرقى التى أعملها له أنها مؤثرة وفيها سر النجاح فى الشفاء

وكأنى بهذا الدجال وهو يقرر الحكمة التى قيلت في القدم (من اعتقد فى حجر لنفعه — اعتقاده —)

وقد أخذ الدجال يبرهن على صدق نظريته بقصة امريكي من أصحاب الملايين كانت له ابنة وحيدة لازمت الفراش لداء عياء استعصى برؤه على نطس الاطباء وقد أعلن عن استعداده لاعطاء جائزة ثمينة لمن يكون سببا فى شفاء وحيدته فجاءه رجل وقال أنه يتسنى لى علاجها على شرط أن تعرفوا أن الدواء لو زاد عن مقداره كما أواصف عليه فانه يؤذى المريضة وأن نقص يكون عديم النفع واشترط عليكم أيضا أن تكتبوا لى تعهدا بذلك وعلى هذا فانه جهز الدواء وتناولته المريضة فكانت تتماثل إلى الشفاء وتعود اليها العافية شيئا فشيئا حتى تم برؤها

وقد دار البحث الدقيق عن كنه هذا الدواء الذى لم ينفع معها غيره وعند تحليله وجد أنه مزيج بسيط من الدقيق والصودا ويقول الطبيب إنى داويتها بالوهم وهو من جنس دائها لانها توهمت انه لا يوجد دواء يتلاشى معه داؤها

هذه عقيدة يوسف وعلى كل حال فانه يجب أن لا نترك الاخذ بالاسباب كما كان سيد الحكماء يأخذ بها ويتداوى

لا سلام ولا كلام

سبق أن نوهت بأن والى المدينة حل من نفسى مكانا عظيما من التجلة والاكرام ولقد رأيته وأنا فى جلسة الصباح السعيدة يدخل إلى الحرم الشريف ليوصل أحد أضيافه للزيارة ولما مر على الحجرة الشريفة لم يسلم ولم يتكلم فتحققت من عقيدتهم فى مقام النبوة المنيف انه مات وانقطعت صلته بالكون . وهل يغيب عنهم أن الجسد ماهو إلا ظرف للروح وحتى اطلقت الروح من هذا الظرف فهي تسبح فى الكائنات وخصوصا هذه الروح الشريفة سيدة الارواح

ارباب الطرق

تذكرت وانا عند الباب المجيدي اننا كنا فيما مضى نخرج منه الى دار الشيخ محمد الدندراوي فنقابل فيها الشيخ عبد الله وكيل طريقته المنتشرة فى سائر الامصار والاقطار وكنا نرى داره زاخرة بكل الاجناس من المسلمين فكنت ترى الحجازي واليمني والمصري والشامي والهندي والجاوي والصيني وكلهم تجمعهم رابطة قوية هي طريقة الشيخ الدندراوى المتصلة بالطريقة الادريسية وقد دالت دولتهم عند ما تبوأت هذه الحكومة كراسى الحكم بالحجاز

وأنى لست هنا الآن فى موقف الدفاع عن أرباب الطرق ولكننى اذكر القصة التالية لادلل على أن هذه الطرق تنفع ولا تضر

قرأت فى احدى المجلات مقالة تحت رسم (كريكاتورى) يرسم شيخ الطريقة يأخذ بيد الافندى الذى ينتقد الصوفيين ويذهب به الى الخمارة حتى يريه العامي وهو فريسة الاغريقي الخمار يسقيه السم الزعاف (السكالانس) حتى يقوم مخمورا لا يعى شيئا ويصبح خملا متكاسلا عن عمله ثم يسأله . هل الاصوب أن أترك هذا العامي فى هذه البؤرة أو ادعوه الى الذكر فيوفر عليه صحته وماله ودينه؟

فى ساحة التأديب

كان لزاما علينا ان نبر بأرواح عظمائنا ونعطف على من اجهدوا انفسهم لاجلنا ومن الواجب المحتم أن نزور هذه القبور العزيزة علينا للذكرى

وللعبرة وللقدوة . قبور هؤلاء الذين لايستطيع أحد ان يرقى الى سماء علياءهم أو ان يلحق مجد مجتهد بآثار فضلهم لانهم مثال التضحية العظمى وإنكار الذات امام المبدأ الاسمى الذى يجاهدون فى سبيله

اكترينا عربة وخرجنا من الباب الشامي وعلى بعد ثلاثة أميال من المدينة المنورة وصلنا الى ساحة التأديب الآلهي لخواص المسلمين حيث لم يعملوا برأي الحكيم المدرب وقد أراد ان لاينبذ الى المشركين خارجا عن المدينة بل يقاتلهم تحت جدرها عند ماجاءت قريش لاخذ ثأر قتلاهم فى غزوة بدر الكبرى ولكن فتيان الموحدين أرادوا ان يزهوا ببطشهم وان يظهروا شجاعتهم أمام عدوهم ويحاربونه بالعراء بعيدا عن عقر دورهم فكانت

موقعة احد

لما تلاقى الجمعان تظاهر جيش الاسلام وكان له النصر والغلبة واذا بالرماة يخالفون أمر قائدهم وسيدهم فتركوا موقفهم بجوار الجبل الذى يحمى ظهرهم والذى أوصاهم وأكد لهم الوصية بان لايبارحوا موقفهم سواء انتصر الجيش أو انخذل

ولما رأى خالد بن الوليد قائد جيش الاعداء ان المكان أصبح خاليا من الرماة احتله برماته ونضح المسلمين بنباله وكر عليهم بخيله ورجله حتى انعكس ظفر الموحدين الى هزيمة

يلهو الطفل بعود من الثقاب يشعله وقد تحترق مدينة باسرها وهو لاه يلعب ولا يقدر نتيجة طيشه وكذلك الرماة فانهم لم يستمعوا حتى ولا لنصيحة كبيرهم عبد الله بن جبير وهو ينهاهم عن مخالفة أوامر القيادة العليا فلم يتبصروا ولم ينظروا الى العواقب بل انهم التفتوا الى حطام الدنيا الفانية

وصاروا يجمعون الاسلاب والغنايم مع جيشهم الظافر ولم يثبت منهم مع كبيرهم سوى عشرة أشخاص راحوا كلهم ضحية الواجب

وكادت النواة الصالحة للاسلام ان تقطع من أصولها قبل ان تنمو وتزهر وكاد أيضا ان يطفىء نور الايمان الذى ابتدأ ينتشر ضوءه من هذه الشرذمة المباركة لولا فضل الله ورحمته بالارض حتى يعبد ويذكر فيها اسمه

وكانت أيضا رعونة الرماة وطيشهم سببا فى ايصال الاذى الى المقام الرفيع مقام القائد الاعظم حيث كسرت رباعيته السفلى . وكانت القبة المقامة عند أحد تذكرنا بهذه المأساة الفاجعة . وهناك أيضا ترى الصخرات عند الشعب فيعز علينا ان نرى سيدنا ومولانا أبا القاسم وهو لا يستطيع النهوض حتى يرقى الى الصخرة فيرفعه طلحة الفياض اليها وذلك بسبب انهاكه من الوقوع فى احدى الحفر التى احتفرها ابو عامر الفاسق وما نزف من دمه المبارك حيث شج وجهه الشريف بدخول شظايا من المغفر فى جبينه الوضاء

اننا نذكر هذا لنذكر معه مثلا صالحا من الصبر على احتمال المكاره فى سبيل نصرة الحق

انه ليصعب علينا جدا ان نرى عظماء السابقين من المسلمين وشفار السيوف تلعب فى نفوسهم الزكية وليس لهم ذنب فى نظر المضلين الا ان يقولوا ربنا الله . وعلى كل حال فان الحرب سجال ولكن العاقبة للمتقين

السادة الشهداء

وقفت على قبر سيدنا حمزة بن عبد المطلب وكم تمنيت ان اقبه من حربة وحشي وأتلقاها فى احشائى حتى يتمم هو المهمة التى كرس حياته لاجلها وحتى لا يتسرب الحزن الى هذه النفس الزكية نفس ابن اخيه الحليم الرشيد

وبهذا القبر الشريف سيدنا عبد الله بن جحش صهر الرسول الكريم وابن عمته وهو اخو أم المؤمنين السيده زينب بنت جحش وقد دفن مع خاله فى قبر واحد وهناك ايضا حامل لواء المسلمين سيدنا مصعب بن عمير حيث قطعت يمينه فتسلم اللواء بالاخرى ولما قطعت هذه ضبه بعضديه حتى قتل راضيا مرضيا وكان احسن فتيان مكة مالا وجمالا وهنداما فلما تذوق بشاشة الايمان تقشف اعراضا عن هذه الدنيا وهو من خاصة قريش حيث كان بعلا كريما للسيدة حمنة بنت جحش اخت ام المؤمنين السيدة زينب بنت جحش وهو ايضا من اشراف بنى عبدالدار حملة اللواء فى قريش

هؤلاء من وعتهم الذاكرة من السادة المهاجرين

اما السادة الانصار فقد تحملوا الصدمة لانهم اكثرية الجيش فكان الشهداء منهم كثيرون واخص بالذكر من بينهم سيدنا عمرو بن معاذ أخا سيدنا سعد بن معاذ من عرفنا مناقبه الكريمة ومكانته من نفس سيد الكائنات

وكذلك نذكر شيئا عن سيدنا سعد بن الربيع احد وجهاء الانصار الذى نصح لله ولرسوله حيا وميتا حيث تفقده خير المرسلين بعد الموقعة ولما لم يجده أرسل من يبحث عنه فوجده ملقى جريحا يكاد ان يلفظ النفس الاخير فقال له سعد (بلغ الانصار وقل لهم . الله الله وما عاهدتم عليه رسول الله ليلة العقبة فوالله مالكم عند الله عذر)

كان اليق بهذه الاجداث الطاهرة ان تتحول الى قصور فخمة تحيط بها الحدائق الغناء وتوضع مناقب أقمارها الذين يزدهى بهم تاريخ الاسلام الحافل بمآثر العظماء من أبنائه وتكتب باحرف بارزة حتى يعرفها الخلف عن السلف فيقتفوا أثرهم ويهتدوا بهديهم

ماذا بالوادى ؟

فى وادي حمزة عيون الماء التى تنبع نبعا طبيعيا وبعضها ينزل اليه بدرج وبعض الناس ينزلون اليها بقصد الاستحمام وبالوادى الحدائق الكثيرة من النخيل والاشجار الباسقة

وهناك بعض المبانى يسكن بها الدهماء من أهل الضواحى وهناك أيضا بعض الآثار وكانت توجد مساجد ومبانى كثيرة عفت آثارها فى عصر هذه الحكومة الوهابية

وجاء عندنا رجل من أهل هذه الضاحية يدلنا على هذه القبور العزيزة ويلقننا الدعوات التى ندعوها عندها وكان هذا الدليل يمشى على وجل ولا يكاد يبين كانه يخشى الرقباء ولقد أبدى كثيرا من الامتعاض والتوجع لما أصاب بعض المدنيين الذين كانوا يرتزقون من زوار هذه الاضرحة وهو يطلب من الله تعالى الفرج القريب واننا نطلب معه هذا الفرج ولكن فى ظل هذه الحكومة التى حقنت دماء المسلمين

شماتة المنافقين

ونحن عائدون الى المدينة المنورة تذكرت فلول الجيش العزيز المنهزم وهي تدخل الى المدينة فيقابلها المنافقون بالشماتة والتشفى وبما أن هذه الحياة الاولى ليست محلا للجزاء لهذا تراهادائما لاتصفو لاحد وخصوصا الاخيار فيها فانهم أكثر الناس ابتلاء بها ليزيد الله تعالى فى أجورهم فلقد تنفس الصحب الكرام نسيم الحرية عندما هاجروا الى طيبة وتركوا المشركين واذاهم واذا بهم يواجهون براكين دفينة من العداء والحقد الذى تتأجج ناره فى صدور

هؤلاء المنافقين الذين كانوا يصانعونهم فى الظاهر وفى باطنهم يتمنون أن تدور عليهم الدوائر فكانت هذه الحزازات تسبب متاعب كثيرة للقائمين بالدعوة الى التوحيد حتى أصبحت مأموريتهم شاقة ولكنها تزيد جمال صبرهم جمالا

والمنافقون فى الامم دائما أسباب شقائها وعلة بلائها فهم دائما يكشفون سجف سترها أمام المغير حتى يطلع على عورات المخلصين منها فيبطش بهم ويقضي على مايبذلونه من جهد فى خدمة الاوطان

ومن الغريب أنك ترى المنافق مزعزع العقيدة سقيم الوجدان فيعيش دائما أسير تأنيب الضمير حتى يفقد الكثير من شجاعته الادبية فتراه ينفر من أقل صفير ولكن لما كانت البعوضة تدمى جبهة الاسد فلهذا كان أذى المنافقين سببا لتدهور أممهم وتعاستها

مسجد الغمامة بالمدينة المنورة

مساجد المدينة

كانت عند الناس فكرة الاحتفاظ باثار سيد الاولين والآخرين فكانوا يشيدون المساجد على كل أثر منها وهي كثيرة ولكنني سأذكر أشهرها

(مسجد الغمامة) وقد اقيم مكان مصلي الاعياد بالمناخة خارج الباب المصري

(مسجد الفتح) وهو المكان الذى دعي فيه الرسول الكريم على الاحزاب فى غزوة الخندق

(مسجد القبلتين) وهو المسجد الذى تحولت فيه القبلة من بيت المقدس الى البيت الحرام وهو كائن جهة وادى العقيق

(مسجد أبي بن كعب) وهو على يمين الخارج من درب البقيع

ويوجد مساجد اخرى كثيرة مثل مسجد عروة ومسجد ابي بكر ومسجد عمر ومسجد المائدة ومسجد بنى ظفر ومسجد بنى قريظة ومسجد الراية وغير ذلك

اليمين الغالى

لا ازال اذكر جلسة الصباح السعيدة التى يكل القلم عن وصفها وكانت صاحبتى تجلس معى لتحظى هي الاخرى بنفس هذه السعادة وكانت ترى الزائرات من المصريات يستعملن كل وسائل الحيل للوصول الى الشباك فتود ان تضع يدها مثلهن لان السيدة عند ما تعود من الحج يكون اليمين الغالى عندها (وحياة النبي اللى حطيت يدي على شباكه) فماذا أصنع الان والجند السعودي واقف بالمرصاد يمنع الايدى ان تصل الى الشباك ؟ ثم وماذا أصنع ايضا وقد

ترجع صاحبتي وكأنها ماحجت لانها لا تستطيع ان تتفوه بذكر هذه اليمين الغموس ؟

أأعمل كما يعمل الدهاة المحنكون حيث يصلون الى أغراضهم ولو على جسر من التمويه؟ واخيرا تمكنت الحاجة ان تمديدها حتى وصلت الى الشباك وقد تخلصنا من هذا المازق بسلام

الامن فى طيبة

اردت ان اسبر غور الامن هنا كما خبرته بالبلد الحرام وكنت فى عام ١٩١٠ اخرج من الباب المصري لامشي فى المناخة بين السورين فينصحنى أحدهم بعدم المشي بمفردى خوفا من اذى العربان ولكننى سرت ولم الق كيدا . واليوم اخذنا طريقنا من وراء السور من البقيع الى الباب المجيدي ولم يعترضنا احد فى طريقنا حتى ولم يصادفنا انسان

وكنت اخرج بنفسى من المنزل واتوجه الى المناخة من الخلاء من وراء نزلة بنى حسين واشترى حاجتنا من الخضر والفاكهة والخبز والسمن وما الى ذلك وايضا لاستحضر السقا من البازان عندما يبطىء علينا فى المرور

وكان التجار يتركون حوانيتهم مفتوحة ويذهبون الى المسجد وقت الصلاة كدأب السعوديين فى المحافظة على إقامة الصلوات فى أوقاتها ومع هذا لم يجرأ أحد على انتهاب متجر أو حانوت أو تحدثه نفسه بسلب أو اختلاس

التكية والبعثة الطبية

الانسان فى الغربة يتلهف على ان يستنشق رائحة بلاده الزكية ويمتع ناظره باي أثر من آثارها المباركة ولذا توجهت الى التكية المصرية هذا

واجهة التكية المصرية بالمدينة المنورة

البناء المؤسس لفعل الخير والبرهان الحي الذى يشهد لمصر بانها أحسن بلاد الاسلام برا وعطفا على هذه البلاد المقدسة وعندما خطرت فى رحابها آنست من نفسى ارتياحا وانشراحا دعانى لان أبتهل الى بارىء النسم جل وعلا ان يحفظ كنانته من كيد أعدائها حتى يدوم عطفها وبرها على حرمه وحرم نبيه وحبيبه ولقد لقيت من ناظرها الهمام كل ترحاب واكرام ماجعلنى الهج بشكره والثناء عليه

وكانت البعثة الطبية قد وصلت بصيدليتها وعقاقيرها وعمالها واتخذت دار التكية سكنا لها وكتبت على الباب بالقلم العريض (البعثة الطبية المصرية) فكان فرحى بذكر بلادي كاعجابي بالخدمات الانسانية التي تقوم

بها البعثة الطبية واننى أعود فاطريها ايما اطراء كما واننى وجميع الحجاج نثنى عليها أطيب الثناء

الصحة بالمدينة

تجبرنى الحاجة عزيزة هانم جارتنا فى معظم تنقلاتنا بهذه السفرية السعيدة على الاطناب فى الادارة الصحية بالحجاز حيث تخبرنى صاحبتى عن لسانها بانه اعتراها مرض دعاها الى الذهاب لمركز الصحة الحجازية الكائن قريبا من باب السلام فلاقت من العناية بامرها والاعتناء فى شرح دائها ووصف الدواء اللازم لعلاجها ماجعلها بفضل الله تعالى تحصل على الشفاء فشكرا ثانيا بل وشكرا دائما للادارة الصحية بالحجاز

جلسة الصباح

قد يرانى القارىء أحاول الاكثار من ذكر هذه الجلسة الصباحية السعيدة وما هذا الا لأننى عانيت الصبابة حتى عرفتها وأمعنت النظر فى هذه الجلسة فقدرتها حق قدرها اذ كنت أجلسها والجو صحو والوقت صفو والذهن رائق والمزاج معتدل والقلب فرح طروب بقرب الحبيب المحبوب فاية سعادة هذه وأي هناء ؟

اننى أعرف ويعرف معى كل عارف اننى ماثل أمام الرحمة التى تفضل الله تعالى بها على الارض فاصبحت ولا خسف ولا مسخ ولا قمل ولا ضفادع بل رفع عنا المقت ببركة هذا الجسد الطاهر الميمون

اننى أعرف اننى ماثل امام سر الله الاعظم الذى كان يلتمسه البدوي الجلف فيخرج اماما يستضىء الناس بهديه كانه علم فى رأسه نار

أعرني قلبك حتى أتقوى به على تحمل هـذه المشاهدة التى تتصدع لها الجمادات فضلا عن المضغة التى بين الصدور لاننى ماثل امام هذا المكان ولا اسميه (القبر) لان اللغة العربية على غزارة مادتها الى هـذا الوقت لم تخرج له اسما لانه أفضل من العرش وأفضل من اللوح وأفضل من القلم وأفضل من الكرسي وأفضل من السماء وأفضل من الارض

اننى اخال وانا بهذه الجلسة السعيدة ان الجنة منى على قاب قوسين أو أدنى ولكن أين هي الجنة ونعيمها من شرف هذا المكان ورفعته

اننى امام بيت السيدة عائشة الصديقية وبجانبه الحجرات الشريفات التى كان يؤمها الامين جبريل وفى يمناه النور ينشره على الارض فيهتدى الانسان على ضوءه الى الطريق الذى يوصله الى السعـادة السرمدية . وفى يسراه الرحمة يوزعها على المسكونة فيسكن الناس اليها ويتفيأون ظلالها الوارفة

كان هذا المسجد المركز العـام الذى تستمد منه الانسانية سعـادتها ورفاهتها . وكان المعهد الاكبر الذى تتخرج منه الامامة والقطبية والروحانية ولا يزال الى الآن أحد المساجد الثلاث التى تشد اليها الرحال فيعود منـه زائره رابح البيع مجبور الخاطر يحمد غب السرى

وبالمسجد أعمدة معلمة فى وسطها بنقوش بارزة قيل انها حدود المسجد فى عهد الخلفاء الراشدين

وبجانب المقام الشريف ثمانية اسطوانات يسمونهـا . اسطوانة محل صلاته . واسطوانة عائشة وتسمى اسطوانة القرعة . واسطوانة التوبة وهي محل اعتـكافه . واسطوانة السرير . واسطوانة علي . واسطوانة الوفود واسطوانة جبريل . واسطوانة التهجد

حمام الحمى

كأنى بهذا النوع الجميل من الحمام وقد قطع الدرب ليحنوا على صاحب شريعة الاسلام. وكأنى بالحرم المكي وهو يعطف على ابن زمزم والمقام فيهديه شيئا مما عنده من الحمام. كم يروق للاحداق منظر هذا الحمام وهو يمرح فى أمان وسلام وكنا كما كان الناس نلقي اليه الحب ليكون له طعام

وكنت أراه فيما مضى يتنقل على غصون الحديقة الصغيرة التى كانت فى صحن المسجد الشريف ويقولون انها موضع نخيل كان للسيدة الزهراء سلام الله عليها وعلى أهل البيت الاطهار والصحابة والانصار والآن قد قطعت هذه الاشجار. وكنا نجد أيضا فى الصحن بئرا كانوا يسمونها (زمزم المدينة) والاخرى عفت آثارها ومحي رسمها

الشعب العراقي

ان أكبر رابطة من روابط الاخاء الانساني هي رابطة الدين كما قيل (ان لا عصبية فى الاسلام) ولقد وجدت أحد اخواننا العراقيين وهو يتفجر اخلاصا وحنانا لعارفيه ولمن حوله من المسلمين وقد اتيحت لى فرصة سعيدة للكلام معه فذكر لى الكثير من البشائر المفرحة عن الشعب العراقي حيث أنه ينهض الى الرقي والحضارة بخطوات موفقة حتى امتلأنا أملا بأنه سيجدد شباب المدنية الاسلامية ويعيد الى (بغداد) مجدها القديم

ثم أخذ محدثي يتدفق غيرة ونصحا اذ يقول. انهم يصمون الاسلام بالجمود وهو منه براء ولو نقبت فى بطون الاسفار لرأيت النشاط والشهامة احدي سجاياه الكريمة حيث ترى صاحب الشريعة المطهرة وهو يقف على

فتية من الانصار يترامون بالنبال فيشجعهم ويحثهم على الرمي والتراشق بالسهام وكان يدخل فى سباق الخيل ويتسابق هو بذاته الكريمة فيه وهذه هي الرياضة البدنية التى يقولون انها من ابتكار هذا الزمان

ان هذا الدين دين الاجتماع لانه يحث على العلم والاحاديث الشريفة عن طلبه اشهر من ان تذكر

الدين لا يأمرك بالقعود فى الزوايا بل يقول لك ان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة ويحثك على السعي حتى وانه يقول (ان هناك ذنوبا لا يكفرها الا السعي على المعاش)

الدين يفرح بك لو انك تنط على الحبل وتلعب على الشنكل وتنزل الى ميدان المصارعة وفى حلبة السباق وفى مسابقة السباحة ويفرح بك ايضا عندما تصيب هدف الرمي وتطير فى السماء وتغوص فى الماء وهو لا يكلفك الا بشيء بسيط جداً لا تغرم فيه ولا مليما واحدا هو ان تصلى الفريضة عندما يحين وقتها ولا يرهقك عسراً بان تذهب الى المسجد بل انك تصلى مكانك حيث جعلت لك الارض طهوراً

يقول لك الشاب ان ثوبى تلوث بالنجاسة فقل له ان الدين يسر حتى وان بعض المذاهب تقول ان ازالة النجاسة العينية سنة. ويعود فيقول لك ان لبس البنطلون يرغمنى على ان ابول واقفا فيطير الرشاش عليه فقل له اترك الوسوسة وصل فمثل هذه الاحوال الطفيفة يعفو عنها الشرع المصون

ثم والدين يأمرك أن لا تنظر بريبة إلى أخت صديقك فينظر صديقك إلى أختك ولا يرضيك العبث بعرضها . وبالجملة انك تعادى الدين والدين يعطف عليك ويحرص على بقاء نوعك فى هذه الحياة وفى اتصاله بالملكوت الاعلا فى الحياة الآخرة

الطواقى الحجازية

أعز منا على مشترى الطواقى التى لا بد أن نزين بها رؤوس أطفالنا وكانت هذه الطواقى هي المحك الذى فحصت به الحالة الاقتصادية فى هذه المدينة المباركة حيث كانت أحسن طاقية مزركشة تقدم للمبيع بسعر ثمانية قروش سعودية وهي تساوى ثلاثة قروش ونصف مصرية ولو نظرنا فى أسعار الخامات المركبة منها هذه الطاقية لوجدنا ثمنها يساوى ضعف هذه القيمة من قماش ملون وقماش مقصب وترتر هذا عدا أجرة الخياطة والاغرب من هذا أنه كان يعرض علينا بعض الطواقى الواطية بثمن قدره هللتين أي نصف قرش سعودي وربع قرش مصري وهذه القيمة أقل من ثمن بطانة الطاقية . فكنت أسأل المدنية بائعة الطواقى عن سبب هذا الرخص فتجيب بأن السبب أننا نشتغل فى خياطة هذه الطواقى من العام إلى العام حتى نجهز منه كمية كبيرة تكفى كل الزوار . ولما كان حج هذا العام قليلا جدا لحد الثلث فاضطررنا أن نتخلص من المخزون عندنا ونصرفه بأبخس الأثمان حيث لا طاقة لنا بان نتحمل تخزين أية كمية نحن فى حاجة إلى ثمنها لسد الرمق وكم أتمنى للمدينة التى يثرز اليها الايمان كما تثرز الحية إلى وكرها أن يأرز اليها الرخاء واليسر والسرور والهناء

ثمرات النخيل

من البركة التى حبا الله تعالى بها المدينة المنورة أن جعل ثمار نخيلها أحسن ثمار العالم حلاوة ونكهة وطعما فترى البلح أنواعا شتى تفوق المائة عدا فمنها الحار ومنها الرطب ومنها الحلو والمتوسط فى الحلاوة وأهم أنواعه

العنبرية وهو غالى القيمة ويليه الشلبي ثم الحلوة والسكرة والمكتومي وغير ذلك وأهم مايستصحبه الزوار من هدايا المدينة المنورة هو هذا التمر اللذيذ

التجارة فى المدينة

من فرط محبتى للمدينة المنورة وساكنيها الكرام أنى أرجأت مشترى بعض الهدايا حتى اشتريها منها وقد اشتريت بعض الاشياء من أنواع كثيرة مثل العباءة النعماني والعقال القصب والشال المزركش والكوفية الحرير وغيرها وكان قلبي يميل كل الميل إلى تجارها ورقة طباعهم وعذوبة الفاظهم واسأل الله تعالى أن يجعل النجاح والفلاح قرين أعمالهم

الخمر الفاسد بالمدينة

تصادف ونحن بالمدينة المنورة ان الاسبيرتو المعجون بالاسبيداج (كأصابع الطباشير) والاسبيرتو السائل أيضا أن نفدا منا فبحثت كثيرا حتى اهتديت إلى تاجر يبيع هذا الصنف فاشتريت منه قارورة صغيرة تسع ربع لتر تقريبا بمبلغ اثنى عشر قرشا مصريا والامر الذى أعلق عليه من الاهمية فى سرد هذا الخبر ليس هو غلاء الصنف فحسب بل لانى رأيته يتغير طعمه ولونه حتى صار عنابي اللون ولما سألت عن سبب ذلك أخبرنى التاجر بأن الحكومة من زيادة حرصها على تحريم دخول الخمر فى بلادها أنها تأمر الصحة بأفساد هذا الصنف لانه من الكحول التى تضاف إلى الخمر أو يشكل منها الخمر. وياليتنا نحرم الخمر فى كل بلاد الاسلام كما يأمرنا ديننا الحنيف الذى أهملنا تعاليمه القويمة وعمل بها غيرنا وهذه أمريكا تحرم الخمر فى بلادها ، فمتى نرعوى حتى يرجى لنا صلاح الحال وهدو البال ؟

تلغراف المندوب

أعلنت الشركة ركابها بان سياراتها ستبارح المدينة المنورة فى مساء

يوم الجمعة ٢٧ الحجة ١٥ مايو فصرت أبذل مساعي كثيرة لاجل ان نتمكن من المكث مدة أطول من هذه التسعة أيام حتى نتمتع بزيادة المشاهدة (والطمع فى الدين) واذا بالشيخ الخطيري يخطرنا بان آخر باخرة تقوم من جدة الى القطر المصري في يوم الثلاثاء المقبل كما ورد من مندوب الداخلية عن لسان البرق ولذا لم نجد بدا من الانصياع لتعليمات الشركة حتى نلحق آخر باخرة

فكنا نعد الاوقات وما أسرع ما تمر أيام الهناء فكل ثانية تمضي كانت تدق لها نبضات القلب حتى صار كثير الخفقان سريع الحركة وما كان اصعب علينا من يوم الخميس نذير الفراق. ولقد دفعت فى هذا اليوم رسوم الكوشان الى الشركة وقدرها تسعة عشر قرشا سعوديا عنى وعن صاحبتى

صلاة الجمعة الثانية

بكرنا فى صباحها كعادتنا فى جلسة الصباح السعيدة ثم نعود الى المنزل نتناول طعام الافطار ونقضي بعض المصالح ولما حان وقت صلاة الجمعة توجهنا الى المسجد الشريف وكانت صاحبتى تجلس فى المكان المعد لجلوس النساء وهو كائن وراء دكة الاغوات مباشرة ثم اقبل الخطيب ذاته والقى خطبته

ولقد سبق ان حضرت صلاة جمعتين فى الزيارة الماضية وكنت أرى الخطيب فى المرة الثانية غيره فى المرة الاولى الامر الذى عرفت منه وجود خطباء كثيرين بالمسجد الشريف

ولقد صلينا وحمدنا الله تعالى وكان القلب يضطرب لشدة وقع الفراق لاننا كنا فى الصلاة والمتاع بالمنزل محزوم

الوداع الوداع

ماذا يبدى القلم وماذا يعيد ؟ انه امام أمر جلل ليس من السهل الهين ان يخوض غماره ويأمن العثرات وعدم السداد

محب مغرم دنف يتمتع بالقرب من مقام الحب وبعد سويعات يسقمه البعد ويضنيه السهاد

صب مستهام مسعد بالزلفى لدى باب الله الذي كل من يغشاه ينال الحظوة ويحظى بالمراد

كلف متيم يبسم له الدهر فيمتع ناظره بالنور الاول النور الذى يخبرنا عنه جابر بن عبد الله فى حديثه اذ يقول له رحمة العالمين (اتدرى أول ماخلق الله ياجابر ؟ . نور نبيك ياجابر)

فماذا يكتب القلم وماذا يقول ؟ انه مهما كان جريئا مقداما فلا بد ان يكبو فى هذا المضمار

لان الثاوي هنا فى هذا المكان هو حجة الله تعالى على الناس حيث يقول له مولاه جل ذكره (فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا)

هنا فى هذا المكان غيث الاخلاق المنهمر الذى يرتشف منه كل الناس فيروى غلتهم ويشفى فؤادهم

هنا الجود والسخاء هنا المروءة والشهامة والشجاعة والاقدام والعفاف هنا الحياء والقناعة والتقوى والورع والحلم والعفو والصدق والامانة

هنا الفضل الذى شهدت به الاعداء قبل الاصدقاء اذ يقول (فون غوت) فياسوف المانيا الكبير (ان محمدا استطاع بثاقب فكره ان يقلب نظام المعمورة)

ياسيدى ياأبا القاسم اننى واقف باعتابك لائذ بجنابك فاسمح وجد لى بنظرة أتقى بها نوب الزمان .ياسيدى ياأبا الزهراء عسى أن أوفق لاعمل عملا صالحا فاكون تحت لوائك واسقى من حوضك.أرجو ان يكون وداعا بعد هذا الوداع والسلام على سيدنا ومولانا الحبيب ورحمة الله تعالى وبركاته

إلى الرحيل

خرجنا من الحرم الشريف النبوي بعدما أدينا فريضة الجمعة وواجبات الوداع وسرنا الى طريق البيت ونحن نتعثر فى أثواب الشجو لهذا الفراق الاليم وقد أحضر لنا الشيخ عبد الله فضايلى الحمالين التكارنة لحمل الامتعة وأخذنا معنا ما جهزناه من الطعام لنقتات به أثناء الطريق

بارحنا المنزل بعد ان ادينا الواجب فى وداع ساكنيه وداعا حارا وكنا نودع الديار إكراما لساكنيها ونودع الاماكن لانها محل خطرات الحبيب إلى أن وصلنا إلى الساحة الواسعة عند محطة السكة الحديد محل موقف السيارات من كل الشركات

على متن السيارة

ايضا

بحثنا على موقف الشركة الخيرية حتى اهتدينا إلى سيارتنا رقم ٢٧٠ ووجدنا سواقها (بكر السوداني) فى انتظار الركاب ليجلسهم فى أماكنهم ووجدنا أصحابنا الافغانيين قد حضروا وأخذوا مجالسهم فيها ثم جلسنا فى محلنا وجلس أيضا الحاج محمد سليمان وكان لا يزال متعبا من أثر التوعك والذى كان يعوض علينا عدم التفاهم مع اخواننا الافغانيين إننا كنا فى راحة معهم لانهم مؤدبون ويتحلون بحلية الحياء والوقار

وقد أخذت الحكومة فى قيد السيارات ورقمها وتعداد الركاب وجنسياتهم وكتابة التصاريح اللازمة لهم وكلما تنتهى سيارة تخرج من باب المدينة وتسير فى طريقها وقد صلينا العشاءين مكاننا ولم يأت الدور لسيارتنا بعد

وبعد ما مضى هزيع من الليل ابتدأت سيارتنا تتحرك وكنت أوجه هذه الحالة إلى ما نحن فيه من ألم الفراق حتى تخيلت أن السيارة ترثى لحالنا فلم ترد إن تفارق هذه الانوار لاجلنا

انطلقت بنا السيارة كأنها جان ولى مدبرا وبعد ربع ساعة من مسيرها كنا وصلنا الى أبار علي فتوقف السواق عن المسير لانه نسي التصاريح ولم يأخذها من مندوب الشركة الذى كان عليه أن يستلمها من الحكومة ويسلمها اليه وصرنا نترقب وصول المهندس الاحتياطي حتى نستدل منه عن هذه التصاريح ولكنه لم يصل بعد

انظر يارعاك الله كيف تقف السيارة ونحن على مقربة من المدينة المنورة اليست هذه السيارة كانت تجاملنا فلم تخرج من المدينة الا بعد أن مضى من الليل ثلثه ؟ ثم تقف هنا ونبيت وحدنا فى آبار علي بينما السيارات الاخرى تجد السير فى الدرب حتى قطعت مسافة شاسعة

كان فى ابار علي مقاهى من نوع التى وصفناها سابقا فشربنا بها الشاي ثم استرحنا فى احد الاماكن المنعزلة ولما لاح الفجر وبدا الصبح بوجهه البسام ادينا الفريضة وقد اراد السواق أن يعود الى طريق المدينة حتى يبحث عن التصاريح فحول مقدم السيارة الى جهتها وسار مع قلوبنا الطائرة الى هذا النور الذى يجذب كل قلوب المسلمين وبعد أن مشى قليلا وجدنا المهندس منهمكا فى اصلاح سيارة ندت عن اخواتها لعطب اصابها فاستلمنا منه التصاريح وعاد السواق ادراجه بعد أن ارسلنا صلواتنا وتحياتنا الى سيدنا صاحب الانوار

سرنا من آبار علي. الى بئر درويش. الى المساجيد . الى الشفية : الى ابار بنى الحصين. الى ابار الشيخ . الى مستورة ثم الى رابغ وبتنا بها فى غرفة من القش أيضا وكنا نستريح ببعض النقط التي مررنا عليها

الوصول الى جدة

اصبحنا الاحد ٢٩ الحجة ١٧ مايو فقمنا من رابغ وسرنا الى القضيمة. الى توال. الى دهبان .وكانت السيارة تتعطل كثيرا بسبب خلل حدث فى عجلاتها فلم نصل جدة الا قبيل الغروب

ولما وصلت السيارة الى منزل الحاج محمد باتان الوكيل وجدنا لديه تعليمات من حسن افندى كتوعة المطوف بان ينزل السيد الافغاني بمنزل هناك اما نحن فاننا توجهنا الى منزله على البحر وقد اكترى لى وصاحبتى دورا خاصا بنا بمنزل يجاوره اما الحاج محمد سيمان فانه نزل عنده بمنزله

وقد بعث الينا الوكيل باتان (بالاخراج) فوجدتهما سليمين لم تمتد اليهما يد بسوء. ووجدنا من حسن افندى كتوعة التفاتا نحونا حيث ارسل لنا غلاما صغيرا ليقوم بخدمتنا وكانت صاحبتى محل رعاية السيدات من عائلته حيث كن يعطفن عليها ويدعونها بمنزلهن المجاور لمنزلنا مباشرة حتى لهجت كثيرا بالثناء عليهن كما اثنت من قبل على السيدات اخوات الحاج محمد باتان وصاحبته ووالدته

اصبحنا الاثنين وبالطبع انها كانت سانحة ثمينة نتهزها لنصلح من شاننا ونلم شعثنا ونهيىء أمتعتنا للرحيل الوشيك . وقد أخذ الوكيل باتان جوازينا للتأشير عليهما ثم عاد الي يخبرنى بان أكتب إقرارا بقبول النزول فى الباخرة بالدرجة الثالثة حيث لم يوجد اماكن خالية بالدرجات الاخرى فذهبت الى دار حضرة مندوب الداخلية وأشرت على الجوازين بغير تغيير فى الدرجة. وقد مضينا بقية اليوم فى الفسحة والرياضة فى أنحاء البلد

واقعون فى الاثم

تصادف وانا اؤشر على الجوازات من دار مندوب الداخلية ان وجدت مصريا ينشد متاعا فاقدا منه وكان يصحبه احد الحمالين الجداويين وقد رأيت

هذا الحمال وهو يجلس على المقعد (الكنبة) فى حضور الحكام المصريين وغيرهم وكنت ألاحظ على الحجازيين هذا الخروج على النظام وعرفت أيضا ان النجديين يخرجون خروجهم حتى وان الامير والحقير يستويان عندهم فى المقام وهذا مخالف لما يأمر به الشرع الشريف ولا يتمشى أيضا مع قواعد العرف وقد ورد بالقرآن الكريم فى قوله تعالى (وهو الذى جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات) وصاحب الشريعة المطهرة يأمر الانصار بأن يقوموا لسيدهم (سعد بن معاذ) ويقول أيضا (وأنزلوا الناس منازلهم)

ولست أدرى لماذا يتمسك الوهابيون ببعض الدين ويتأونون عن بعض؟ فتراهم يعملون على طمس معالم الآثار الشريفة باسم الدين وفى الوقت نفسه تراهم يخرجون على الدين من حيث النظام والاجتماع

فان ذكروا لنا المساواة فنقول لهم ان المساواة المطلوبة هي فى الحقوق لا فى الدرجات وإن ذكروا لنا الحرية فنقول لهم أيضا إن الشىء إذا زاد عن الحد انقلب الى الضد والمغالاة فى الحرية قد تتحول الى فوضى

اخر العهد بالحجاز

استيقظنا صبيحة الثلاثاء ٢ محرم ١٩ مايو وبعد أن قمنا بالواجب نحو المقام الاعلى الاسنى مقام العزة الالهية من الصلاة والدعاء والحمد على نعمه العميمة وبعد أن أخذنا حظنا من الافطار والشاي والقهوة شرعنا فى حزم الامتعة ثم أحضر لنا حسن افندى كتوعة العربة الكارو لحملها وسرنا إلى جهة المينا ويرافقنا المطوف ووكيله وهناك صار التأشير على الجوازات وقد وضعوا العفش فى السنبك الذى يقل جزءا من الحجاج ونزل معه الحاج محمد سليمان أما أنا وصاحبى فقد انتظرنا الحصول على فلوكة بخارية (لانش) أنك ترانى أغفلت ذكر قيمة النقود التى كنت أناولها لكل من

يقدم أي خدمة لنا ولم أذكر إلا المقررات الرسمية فحسب لأننا ما جئنا هنا إلا بقصد البر والاحسان وقد أنفقنا كل النقود ولم يبق معنا سوى جنيهات قليلة تعد على الاصابع ولو كنا اطلنا الاقامة لاحتجنا لان نسحب نقودا من أحد المصارف المالية . ولو أمعنت النظر لوجدت أننا كنا حمالين لهذه النقود فقط أما العاطى فى الحقيقة هو الله سبحانه وتعالى

الكلمة الاخيرة

الآن وقد حان الوقت لان أودع هذه المملكة الروحية للعالم الاسلامي فقبل أن أنقل قدمى من اخر تخومها الارضية المباركة لابد ان ألقى كلمة وجيزة أظهر بها سرورى وارتياحى لما لاقيناه من العناية ممن كانت لنا بهم صلة فى المعاملات وأننا نشكر للحكومة السعودية عنايتها براحة حجاج بيت الله المطهر وعلى قيامها بعزم وحزم فى إقامة قسطاس العدل حتى استتب الامن فأمن الناس على حياتهم وعلى أموالهم وان كنت معها على طرفي نقيض لما قوضته من الابنية العزيزة علينا وعلى العالم الاسلامي بأسره

العَودَة بالبَاخِرة

تحرك (اللانش) من المينا والقينا نظرة وداع أخيرة إلى الشاطىء المقدس وكم تمنينا أن يكون لهذه الرحلة الميمونة عودات وعودات

رسي بنا اللانش على سلم الباخرة فصعدنا اليها وكانت بالصدفة الجميلة انها هي الباخرة (دمشق) التى اقلتنا فى الحضور

وكان هذا آخر العهد بمرافقة الرجل الطيب الحاج محمد سليمان لانه لزم محله بعنابر الباخرة ومع هذا فكنت أتحرى مقابلته للاطمان عليه

وبالضرورة أنني أسعى لمقابلة صديقنا الوديع حسين يسرى افندى مندوب الشركة فلما تلاقينا أظهر أسفه الشديد لامتلاء جميع غرف الباخرة وكان الركاب النازلون فى الدرجتين الاولى والثانية يناهزون المائة والعشرين بينما المحلات لا تسع أكثر من ثمانين نسمة لهذا اضطر المندوب أن يستحضر وسائد (مراتب) وملاءات زيادة لكي يستريح الركاب الزائدين عن المحلات على ظهر الباخرة (الكوكرتة)

ومع هذا فقد دقق البحث لاجلنا حتى وفق إلى العثور على (قمرة) نظيفة كانت معدة لسكن أحدهم فاسترحنا بها ولما وصل (السنبك) المقل للحجاج الذين معهم متاعنا استلمناه منه وكنا نميزه عن باقى السنابك بظهور (الاخراج) الخاصة بنا (ظاهرة بارزة) وعسى أن لا يكون القارىء نسي هذه الاخراج التى قربنا وصفها إلى ذهنه حيث كانت مثار اللفتات والنظرات

قيـــام الباخرة

لما تمت الباخرة كل استعداداتها أقلعت بنا عند الاصيل على بركة الله تعالى تحدوها رحمات الاله الذى يضرع ويتوسل اليه حجاج بيته المطهر بطلب سلامتها وتحف بها الطافه الصمدانية سبحانه وتعالى

وكانت مأمورية حضرات مندوب الداخلية والطبيب قد انتهت من جدة بقيام هذه الباخرة الاخيرة فقاما وعائلاتهما معنا بهذه الباخرة قاصدين ينبع ليمكثا بها لحين قيام البواخر التى تقل الحجاج العائدين من الزيارة الشريفة مع حملة الجمال لهذا كانت وجهة الباخرة إلى ينبع

وكانت دواعى الجذل والسرور الذى ترتاح اليه نفوسنا وتنشرح له صدورنا كثيرة وجليلة . منها شعورنا بأن وفقنا لاداء ركن عظيم وقاعدة من قواعد الاسلام الخمس . ومنها أننا تمتعنا وتملينا بزيارة القبر الشريف (الذى لا يقف عليه شقي) ومنها أننا على وشك الحظوة بمشاهدة الاوطان

والعيال . وكأن البحر كان يشعر شعورنا فلم يرد أن يعكر صفونا واستمر هادئا حتى لم نجد للباخرة أي أثر من الاهتزاز

محاورة بين الامواج

كنا نتبادل العطف والوداد مع ركاب الباخرة وهم من طبقات متفاوتة منهم العلماء والاطباء والتجار والصحافيون والاعيان والمحامون . ومن بين الاخيرين محام شرعي كان يحاول دائما أن يتغلب على مناظريه بزلاقة لسانه وشدة عارضته فى الجدل ولقد ضمنى واياه مجلس سمعته فيه يذم الباخرة وعمالها فكنت الفته لان هذا القدح يضر بسمعة مصرنا المحبوبة فيكون مثله كمثل من يتلقى بصاقه على وجهه لان الذى أخذ على عهدته ترحيل الحجاج فى هذا العام هو رجل وطني وما أشد ما كنا نتلهف على أن نرى أحد الوطنيين يزاحم الشركات الاجنبية فى هذا الامر الحيوي

كنت أذكر للشيخ أنه فى اعتراضه هذا يكون كمن يرى طفلا يخطو خطواته الاولى وهو يتعثر ويقع فلا يعينه على المشي بل يثبطه ويقعده كما وكنت أنبهه إلى الواجب علينا بأن نضحى بالشيء القليل من راحتنا نظير أن نأخذ بيد مواطنينا فى هذه الاحوال الاقتصادية . وكم أتمنى من صميم الفؤاد أن من يرسو عليه العطاء كل عام يكون من مواطنينا الكرام

ومع هذا فأن الحالة بالباخرة كانت لا بأس بها ولولا هذا الزحام بسبب تراكم الحجاج للسفر فى آخر دور لكان كل شيء على ما ينبغى ويرام

إلى ينبـــع

فى ضحى يوم الاربعاء ٣ محرم ١٣٢٠ الحجة القت الباخرة مراسيها أمام ثغر ينبع وهي ميناأقل من ميناجدة ونظام البلد كانظمة مدن الحجاز الا انها صغيرة. وبمجرد مارست الباخرة أنزلت فناطيس المياه التى ستوزع على الزوار العائدين من المدينة

المنورة على الجمال. وبعدما انتهت هذه العملية نزل المندوب ومن معه بعد الظهر

وأثناء وقوف الباخرة كان اهالى البلد يحضرون فى فلايك صغيرة لبيع البطيخ والقاوون والخبز والسمك النيء والسمك المملح (الفسيخ) وكانوا يعرضون أصنافا أخرى مثل الصدف والحنا وغيرهما

والامر الذى كان يثير إعجاب الحجاج وعجبهم أن بعض الاهالى كانوا يسبحون فى البحر وعند مايقذف أحد من الحجاج لاحدهم قطعة من النقود يغوص وراءها فى الماء ويأتى بها فيضحك الناس ويحصل لهم غاية الانشراح

القيام من ينبـــع

وقد مضى هذا الوقت السعيد والناس جذلون فرحون ثم أقلعت الباخرة قبل أن تغيب الشمس. وكنا لانجد (بالاستراتور) كفايتنا من الاكل لعدم استعداده فكنا نحصل عليه من (الكنتين) أو نقتات من الطعام الذى أحضرناه من جدة

واستمرت الباخرة فى سيرها إلى الصباح حتى وصلنا أمام مينا الطور فأخرج العمال عفشنا إلى أعلا الباخرة وانتظرنا النزول

فى الحجر الصحى

نظرنا أمامنا فاذا بنا نشاهد مناظر سارة تروق للعين وتسر الفؤاد. نرى مرفأ طبيعيا هادئا وعلى حافته المبانى المعدة للتبخير وعلى بعد منها مبانى الحجر آت وعلى يسار المواجه لهذه المبانى ترى قرية صغيرة يسكن بها الدهماء من أهل هذه النواحى

الصعقة الاولى

وترى على مدد الشوف جبلا شامخا يتصل بجبل المناجاة الذى تجلى له رب العزة فجعله دكا وخر موسى صعقا. وهو جبل الطور المعروف من

كل الملل والذى أقسم به المولى عز وجل فى قوله تعالى (والطور وكتاب مسطور)

هذا وأنى اغبط النعمة التى وصل اليها سيدنا موسى عليه السلام حيث أنه أخذ دوره فلم يصعق ثانيا مع الخلق وقت الصعقة المذكورة فى قوله تعالى (ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون)

معجزات سيدنا عيسى

انظر إلى ابن آدم وهو يلعق فى كوز العسل يلهو به عن المستقبل الهائل الذى يلاقيه وهذا المستقبل يتلخص تبيانه فى القول المأثور (ان الموت أصعب ماقبله وأهون مابعده)

أمامنا أهوال أقل ما أصفها به أن سيدنا عيسى عليه السلام لما كان يباشر احدى معجزاته فى احياء الموتى أن احيى رجلا طلب الناس منه احياءه فلما قام هذا من القبر أنكره الناس وقالوا له ان عهدنا بك أن مت شابا حدثا ولماذا نراك الآن وقد ابيض فوداك؟ فقال انى توهمت ان النداء الذى سمعته هو النفخة فى الصور فشاب رأسى للرهبة من هول الموقف العظيم يوم لاينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم. يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه

عجبى لقوم يعرفون أنهم قادمون على حياة اخرى وهى أما نعيم أبدا وأما شقاء سرمدا ثم لا يعملون لهذه الحياة ولا يتزودون لطريق الوصول اليها

تقلبات الحياة

يحكى أن رجلا ضاقت به سبل الحياة فخلى الدار تنعى من بناها وسار يتلمس الرزق من غير بلده وبينما هو سائر اذا به يرى اناسا يؤلفون موكبا ضخما ثم يقابلونه بالتكريم والتعظيم ويقولون له أهلا بملك الزمان وفريد

العصر والاوان وصار كل من المواكبين يتملقه ويتزلف اليه الى أن اجلسوه على تخت الملك فى مدينتهم ثم أخذ هو يفكر فى هذا الحال وماذا يكون المآل بعد هذا ؟ فلما استقر فى الملك بضعة أشهر استخلص من بين خواصه احدهم ثم أخذ يبوح له بضميره وسأله . ياتري ماذا يكون مصيرى بعد أن تملكت عليكم ؟ فقال له اذا انتهى العام يتنكر لك كل عارفيك ويسحبونك من عرش ملكك وينزلونك فى فلوكة صغيرة ثم يخرجونك الى جزيرة قاحلة فتستمر بها حتى تلاقى حتفك وهكذا فعلنا باسلافك

فلما عرف هذا أمر باحضار مهندسى المملكة كلهم وأرسلهم الى هذه الجزيرة ليعملوا له تصميم مدينة بها ثم أمر البنائين ومن اليهم بالبناء فورا ثم غرس فيها الاشجار المثمرة واجرى الأنهار العذبة حتى صارت جنة رضوان

ولما انتهى العام اذا به يرى خادمه بالامس يجره اليوم ويوثقه كتافا ويسحبه الى الفلوكة فيجدف الفلايكى الى أن أوصله الى الجزيرة فلاقى حياة طيبة ورزقا كريما بها

ومغزي هذا القول ان مدة الجنين فى احشاء أمه هو الوقت الذى قطعه هذا المهاجر. والموكب الذى لاقاه هو مقابلة أهل الوليد وفرحهم به . ومدة العام فى المملكة هى الاجل المحدود ثم يهجره احباؤه واعزاؤه عندما يموت حتى وان كلا منهم يسعى لاخراجه من بينهم والفلوكة هى النعش والجزيرة هي الآخرة فأما أن يغفل الانسان عنها فيكون مصيره كمن لقي حتفه فيها وأما أن يتزود من دنياه فيجدا الجزيرة عامرة كما وجدها هذا المفكر السعيد

إلى طريق المباخر

كنا أول من نزل بالصندل واستمر هذا سائرا إلى الاسكلة الممتدة فى البحر وأخرج الحمالون الامتعة ووضعوها مع أمتعة الحجاج المكدسة على عربة

(الترولى) التى تسير على سكة حديدية ضيقة وسرنا إلى رحبة بها بعض (الاكشاك) يشتغل فيها العمال باستلام الجوازات من الحجاج ويسلمونهم أوراقا موضحا بها رقم الجواز وكان فريق الرجال وحدهم والنساء وحدهن ثم ندخل إلى المباخر

ولما جاء دورى فى تقديم الامتعة إلى التفتيش الصحي وجدوا أن (الاخراج) جميلة ومحتوياتها من فراش وملابس جميلة أيضا ونظيفة فعز عليهم أن يتخللها دخان المباخر ولهذا تقرر معافاتها

ثم ولقد مثلت رواية المساواة على مسرح الادارة الحازمة فأخذت دور البطل فيها حيث نزلت تحت (الدوش) الملح ولم أتميز عن سواي سوى ان نظافة ملابسي وجدتها وغلاء قيمتها أبعدها عن احتباس الانفاس فى أتون التبخير . أما صاحبتى فانها تخلصت من هذا (الدوش) باعجوبة وذلك أنها استمرت جالسة فى انتظارى فى ردهة المبخرة ولم تدخل مع النساء فى المكان المعد لاستحمامهن حتى جاء وقت الخروج فخرجنا معا

حسن النظـــام

طال بنا الانتظار حتى سئمناه ولكن لما عرفنا سببه زال ما بنا من سأم وكان سببه ان سيدة حاجة ادعت على أحد الموظفين بأنه عرض عليها خدمته فى انجاز جوازها نظير أن تعطيه (واحـدة بخمسة) فقامت قيامة الادارة وكبر لديها أن يجرأ عامل على العبث بالنظام ويخرق حرمة تشبثها بالحزم والعزم وبعد بحث دقيق وتحقيق عميق اتضح أن الموظف برىء براءة الذئب من دم ابن يعقوب

وكان صديقنا حضرة المسيرى بك قد وصل الى الطور ليشرف بنفسه على سير النظام وبالطبع انه قابلنا وعطف علينا وكان هو بذاته محبوبا من الجميع حتى ومن عماله الذين يحترمون قوة ارادته فيعملون بغير توان أو ملل

الى الحزات

فتحت الابواب الحديدية وحمل الحمالون الامتعة على سيارات نقل ثم ركب النساء فى سيارات أخرى ولقد لقيت عناية فى نقلى وصاحبتى والامتعة حتى وصلنا الى الحزاء الاول فالفيت غرفه الخصوصية قد ملئت فاضطررنا أن نذهب الى الحزاء الثانى وأخذنا به غرفة بداخلها سريران ندفع عن كل سرير جنيها مصريا

كانت غرفتنا رقم ٨ وبها النوافذ الكافية لجلب النور والهواء والدفء وكانت دورة المياه عمومية لسكان الغرف الخصوصية الا أن المياه كانت اشبه بالمياه المعدنية

وكنا نرى من عمال المحاجر الرفق واللين فى المعاملة وكانت طلباتنا تنجز بهمة وبسرعة . هذه المعاملة الحسنة مع المناخ النقي والهواء الطلق والجفاف اللطيف والمناظر السارة كل هذا كان يعوض علينا الحبس فى القفص الواسع الذى كنا نرتع بين شبكات اسلاكه

وانك عندما تحجر على حرية العصفور فى قفص ذهبي وتعبي له وعاء الغذاء باللوز والفستق وتملأ اناء الماء بالشراب المحلي تراه يرغب عن كل هذا لانه يتعشق الحرية والحرية بالنسبة لنا معشر الادميين هي حق طبيعي لكل انسان

وكنا نجد الطعام متوفرا حيث يباع (بالكنتين) كل أنواع البقول والجبن والحلاوة والسردين وغير ذلك وكان أيضا يطبخ الخضروات والفول المدمس . وكانت تأتى مراكب شراعية من جهة السويس تحمل الخيار والشمام لتبيعه على ذمة (الكنتين)

ويتبع (الكنتين) أيضا مقهى نظيفة يديرها وطنيون وبها الشاي والقهوة وأنواع الشربات والغازوزة وأدوات التدخين والامر الجدير بالذكر أنك تجد الاسعار لا تختلف عن أسعار القطر فى شيء وتقع الطامة

السكبرى على رأس المتعهد لو غبن المشترى فى أي سعر

الاجراءات الصحية

كان الطبيب يمر يوميا على الغرف الخصوصية وعلى العنابر ويكشف على المرضى ويعالج من يحتاج منهم إلى العلاج . ويقدم لكل حاج (قصرية) مرقومة برقم مبين بدفتر عندهم ليتبرز فيها . ولما تسلم العمال كل القصارى وتمت عملية تحليل البراز اشتبه الاطباء فى وجود جراثيم الكوليرا (ولكنها كانت ميتة) لهذا أعادوا الكرة فى أخذ البراز . وكان قد تقرر الرحيل بعد ثلاثة أيام ولكنه أجل إلى أجل غير مسمى حتى يتحققوا من نوع هذا الميكروب واتخاذ الاجراآت اللازمة نحو المصابين به

حب التظاهر

من الناس من تترنح أعطافه فرحا باذاعة الصيت وبعد الشهرة حتى ولو من طريق (خالف تعرف) فلقد سمعنا ضوضاء أقامها سكان الحزاء الاول مدفوعين وراء شهوتهم فى الظهور فصاروا يستكتبون الناس إشارات برقية وعرائض للداخلية للتظلم من تأخيرهم فى الحجر الصحي ولكنهم لو عرفوا بأن (الشجاعة صبر ساعة) ولو عرفوا أيضا بأن (الشجاع من يملك نفسه عند الغضب) لما تورطوا فى هذه الفرية التى تولى كبرها بعض المتورعين وكان الواجب أن ينظروا إلى هذا الامر باعتدال وروية لان الاحتياطات الصحية مقدمة على كل شيء والمثل يقول (الوقاية خير من العلاج)

الاشارات والصحف

ما وضعنا أقدامنا بأرض الطور وخابرنا أهلنا بسلامتنا إلا وأنهالت علينا الاشارات البرقية تترى يقدم بها أصحابها تهانيهم وكنت ملزما أن أرد على كل اشارة منها حتى استنفد هذا فراغا كبيرا من وقتي

وكذلك قد أعطى لنا أصحابنا الجرائد المصرية من قديم وحديث فكنت أطالعها بشوق ولهفة لانها اصحف البلاد التى نشأت بينها فاقلتنى أرضها وأظلتنى سماؤها بشائر الهناء

تلك سبعة أيام كاملة مضيناها بهذا الوادى الرحيب ومع راحتنا وانسنا كنا نترقب بفارغ الصبر صدور الامر بالخروج من هذا القفص المحبوب وكنا نود ان لو نطير حتى نشاهد الأهل والاحباب واذا بالامر يصدر فى صباح الخميس ١١ محرم ٢٨ مايو بالاستعداد للرحيل فكانت فرحة لا تقدر فبعد أن تناولنا طعام الافطار وحزمنا الامتعة حضرت سيارات النقل حوالى الظهر بعد أن نقلت الحزاء الاول ولما وصلنا الى البحر أخذ الحمالون الامتعة على العربات الترولى أيضا ومنها الى الصندل ثم نزلنا

بالباخرة ثانيا

صعدنا الى الباخرة ولما توجهنا تلقاء (قمرتنا) وجدناها مشغولة لان الركاب الزيادة احتلوا جميع المساكن فتقابلت مع حضرة يسرى افندى فبحث لنا عن سواها . وكان البشر والسرور يلوحان على محيانا جميعا لفرحتنا بالعودة الى الوطن العزيز متمتعين بالصحة والعافية

وما أطيب ما كنا نقف على حافة (الكوكرتة) نشاهد الكوكب المحبوب وهو يرسل أشعته القمرية فتتلون موجات الماء بلونه الفضى الجميل وكنا نحمد لكوكبنا المنير ارسال أنواره الى شواطىء الخليج حتى نراها واضحة كفلق الصبح . وكان منظر الفنارات المقامة على الشاطىء يبعث فى النفس كل دواعى الجذل والحبور ثم بتنا بخير ليله واهنأ بال

المنظر الجميل

طلت الغزالة من كناسها وكلما تشرق بوجهها المضيء كلما يمتد ضوءها على الكون حتى استيقظنا عند ما رأينا بصيصا من نورها يشع علينا من كوة القمرة فهرعنا الى السطح واذا بالعين تقر والقلب يفرح ويمرح بمنظر اعلام الوطن المقدس شاهدنا مدينة السويس وكأنها هي التي تتقرب الينا لتحنو علينا بحنوها الطبيعي وكأني بجبلها العظيم (عتاقة) يفتح ذراعيه ليحتضننا ويعطف علينا القت الباخرة مراسيها بالمرفأ حوالى الساعة السابعة صباحا الى ان جاءت زوارق الصحة وادارة الميناو السواحل وبعد عمل الاجراآت القانونية تصرح للباخرة بالدنو من الرصيف فسارت تتهادى بحراسة الله تعالى الى ان التصقت به حيث كانت الساعة بلغت الثامنة. وقد تصرح ايضا بصعود الحمالين على دفعات فتخيرت احدهم وسلمته المتاع (والاخراج) ثم نزلنا من السلم بفرحة عظيمة لاننا نازلون

إلى الوطن العزيز

وضعت قدمي على ارض الوطن كانني اضعها على تيار شديد من الكهرباء حيث شعر جسمي بهزات عنيفة على أثر ماطفح من السرور على الفؤاد. وقد انحدرت لآلىء العبرات على الوجنات الى هذا الوطن المفدى الذي غذانا بنباته وروانا بنيله المبارك. هذا الوطن الذي نحأر اليه بقلوبنا كما يحأر الطفل الى احضان امه الحنون. هذا الوطن الذي اهتف له بالحياة وانشد له الانشودة الجميلة التي كان يغرد بها في مصر. بلادي بلادي . لك حبي ووادي . لك روحي وفؤادي . نعم اهتف له واعطف عليه لان (حب الوطن من الايمان) هذا وقد اعتبرت ادارة (الكورنتينات) ان باخرتنا ملوثة لسبب ما

ظهر من الميكروبات الوبائية عند بعض الحجاج ولهذا تقرر أن يستعد قطار خاص ليقوم بالحجاج الى بلادهم مباشرة بغير أن يعرجوا على مدينة السويس ولم يتصرح لاحد بالاختلاط بناحتى ولا للباعة المتجولين

أخذ عمال الكمارك فى تفتيش الامتعة ثم خرجنا من الباب وهناك (شباك) مكتب التلغراف فزاحمت بكتفى حتى سلمته رسالة برقية تتقدمنا الى تحيات مصر وسكان مصر . وقد أحضر الحمال الامتعة ثم ركبنا

فى القطار

ومن حسن حظنا أن الذى رافقنا بديوان العربة احد أصدقائنا الاعزاء وحرمه المصون وما أطول وقت الانتظار حتى ونحن نتعجل المسير طرق سمعنا نغمة لذيذة هي صفير القاطرة ينبهنا الى اللحظة السعيدة لحظة تحرك القطار وكان قطارنا لا يقف الا فى المحطات التى ينزل فيها حجاج وكنا نمرح ونفرح ونتناول ثمرات بلادنا العزيزة من أيدى الباعة بالمحطات حتى وصلنا بسلامة الله تعالى

الى مصر

وافرحتاه . هذه مصر الجميلة . مصر الذهبية العجيبة . مصر الكنانة الامينة . مصر ابداع المبدع جل صنعه وتبارك اسمه . نظر اليها باطف الكاف والنون فكانت جنة الخلد تتيه افتخارا ودلالا على نظائرها فى المنطقة المعتدلة . انه سقاها من غيث رحمته وفضله ليعدها سكنا طيبا لاعظم أسرة فى الوجود أسرة لا تصح الصلاة الا بالتسليم عليها . رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد

كانت المحطة غاصة بأقارب الحجاج يقابلونهم بالموسيقات والاحتفالات ولو طاوعت فتيان عشيرتى لكانت (زفة) يالها من زفة ولكن سارت بنا السيارة حثيثا الى البيت وكانت الاعلام تخفق والثريات تنير المكان والولائم تصحب التسليمات والهدايا توزع على الافراد والجماعات والعاقبة عندكم فى المسرات

هذا وقد مكثنا تحت المراقبة الصحية نحو الثلاثة اسابيع والحمدلله قد وهبنا الوهاب الكريم من الصحة والعافية الكثير الوفير

حسن الختام

هذا المرقوم المختوم قد يتضوع ازيج ختامه لو ان القارىء الكريم يغض الطرف عما يصادفه من غلطات موضعية او سقطات مطبعية والله ولينا هو نعم المولى ونعم النصير

وكما بدأنا اول قول نعيده بالحمد والثناء على من هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله. والصلاة والسلام على قطب فلك الوجود واقرب الخلق الى مولاه. وعلى الآل والصحب الكرام وكل من والاه

استلفات

الاخطاء وما يقابلها من الصواب تراها مبينة بالصحيفة ٢٣٠ من هذا الكتاب

« الحاج مصطفى محمد الراعى »

صحيفة	خطأ	صواب
٣	الثلاثة	الثلاث
١٦	اجمعون	اجمعين
٢٢	تحرم بوجهها	تحرم بوجهها ويديها
٤٢	وما نعبدهم	مانعبدهم
٥٩	هذه المهمه	هذا المهمه
٦١	احتسب	واحتسب
٦٥	نحن الاثنان	نحن الاثنين
٩١	ثلات وخمسون	ثلاثة وخمسون
١٠٥	وان زعت	ان وزعت
١١٥	لتقيه	ليقيه
١١٧	المدينة	المدنية
١١٨	فدنياك	فديناك
١٣٦	واستعفرا	واستغفروا
١٤٠	المفلحلون	المفلحون
١٤١	الصديقون	الصادقون
١٤٤	مضيناة	مضيناه
١٤٥	ان الارض لله	ان الارض يرثها
١٨٦	بنيانه على شفا	بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا
١٩٩	ونحن عائدون	ونحن عائدين
٢٠٥	ثمانية	ثمان
٢٠٦	طعام	طعاما

فهرست

صحيفة		صحيفة	
٢	خطبة الكتاب	١٨	المواقد وتسوية الطعام
٢	على الطائر الميمون	١٨	مبيع المأكولات بالباخرة
٢	أدوات السفر	١٩	الطير ابو قردان
٤	صورة عند الرحيل	١٩	الامام والطبيب
٥	على حافة القنال	٢٠	تعداد الركاب
٥	دعاية الى الحج	٢٠	حمامات الباخرة
٥	على شاطىء الخليج	٢٠	ميقات الاحرام
٦	صورة حفلة الوداع	٢١	صورة الاحرام بالزمزمية
٧	فعل الخير	٢٢	أعلام الحجاز
٨	صلاة الجمعة والخطابة	٢٣	القنصل والمندوب
٩	الحث على الاجتماع	٢٣	سفينة السعادة
٩	الخطب فى عز الدولة	٢٤	الى الشاطىء المقدس
١٠	الخطب الدخيلة	٢٤	المطوف
١٠	ليس عليها جديد	٢٥	نداء سيدنا ابراهيم
١١	الى بور توفيق	٢٦	صورة فى زمن الحج السابق
١١	عطف الاصدقاء	٢٧	وكيل المطوف
١٢	فى المباخر	٢٨	فى طرقات جدة
١٣	على سطح الماء	٢٨	المياه فى جدة
١٣	رايتنا المحبوبة	٢٩	على متن السيارة
١٤	قيام الباخرة	٢٩	أمنية شاعر
١٤	الحج مرة فى العمر	٣٠	بين الماضي و الحاضر
١٥	الطعام فى الباخرة	٣٣	قيام السيارة
١٥	غرق فرعون	٣٥	بيعة الرضوان
١٧	فى زمن الدراسة	٣٨	صلح الحديبية
١٧	ليس بها نوافذ	٣٩	فى البلد الحرام
١٨	المياه بالباخرة	٣٩	كلمة عن العمال والجنود

صحيفة		صحيفة	
٤٠	الشيخ محمود	٦١	والتعب أيضا رحمة
٤٢	نجاة أهل الفترة	٦٢	أول جمعة والسورة
٤٣	الحاج طاهر	٦٣	المشاهد العظيمة
٤٣	فى طريق البيت	٦٥	منازل الحجاج
٤٤	البعثة الطبية المصرية	٦٦	رسالة مطمئنة
٤٥	فى دار المطوف	٦٦	سلامة الاخراج
٤٥	الطنافس المصرية	٦٧	الفداء للعمرة
٤٦	حكمة شاعر العصر	٦٧	الشاى فى مكة
٤٧	فى دار المطوف	٦٧	الآثار الشريفة
٤٨	وليمة المطوف	٦٨	أعظم دار فى الوجود
٤٨	الملابس فى مكة	٦٩	درب الحجر
٤٩	الى البيت المطهر	٧٠	الكواكب فى المقابر
٤٩	أمام العتبة المقدسة	٧٠	خير قبور المعلاة
٥٠	الكعبة المشرفة بالحرم الشريف	٧١	حول تشييد القبور
٥١	المران والعلم	٧٢	اسرات تتألم
٥٢	أمام الحجر الاسود	٧٣	اسلام المتحضرين
٥٢	قتل الخراصون	٧٣	الحجون والحجاز
٥٣	مزايا الحج	٧٤	الى الجزرة ومنها
٥٣	كسوة البيت	٧٥	الامر بالمعروف
٥٤	المشاريع المفيدة	٧٦	الاحكام فى الحجاز
٥٤	يمكن حسم الخلاف	٧٧	بلدة دار السلام
٥٥	فى الطواف	٧٨	الهوادج والعربات
٥٦	صورة الاحرام فى الاضطباع	٧٩	حج خير الناس
٥٧	الحكمة من الطواف	٨٢	روحانية مكة المكرمة
٥٨	مابعد الطواف	٨٢	نظرة في التجارة
٥٨	ماء زمزم	٨٤	تجارة أبى بكر
٦٠	فى المسعى	٨٤	النصيحة من الايمان
٦١	الحكمة من السعي	٨٦	الازمة وأسبابها

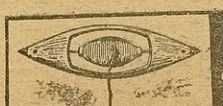
ساعدوا الراعى فى رواج الصناعة والتجارة

صحيفة		صحيفة	
٨٦	أوربا والمادة	١١٢	الدين وأخلاق القرآن
٨٧	الازمة فى مصر	١١٣	الامن والعدل ايضا
٨٨	العمال العاطلون	١١٥	حمام الحمى
٩٠	شيء عن المرأة	١١٥	الجمعة الثالثة بالحرم الشريف
٩١	جبل أبى قبيس	١١٦	اهل جاوة
٩٢	اللحوم والخضر والفاكهة	١١٧	المدارس فى مصر
٩٣	الجمعة الثانية والشرطة	١١٨	الشرق والغرب
٩٤	على جبل عمر	١١٩	استعداد الناس للموقف
٩٤	وأيضا الحجر الاسود	١٢٠	الحج عن الغير
٩٥	الزمن العربى والافرنجي	١٢٠	فى طريق المشاعر
٩٥	الجو والمياه فى مكة	١٢١	امام القصر
٩٦	العملة فى مكة	١٢٢	جبل النور
٩٧	محلة جياد	١٢٤	القومية الشرقية
٩٧	التكية المصرية	١٢٥	متابعة السير
٩٩	أول دار للعبادة	١٢٦	رسم مسجد نمرة
١٠٠	وأيضا فى الطواف	١٢٧	فى الموقف العظيم
١٠١	جبلة بن الايهم	١٢٧	فى الخيام
١٠١	الرقيق والاسلام	١٢٨	جلال الموقف وفائدته
١٠٢	التضلع من زمزم ايضا	١٣٠	اقتراح فى العمران
١٠٣	احرام الكعبة المشرفة	١٣١	الصحة العامة
١٠٤	صورة الكعبة المشرفة فى الاحرام	١٣٢	الاوبة بالغنيمة
١٠٥	الاخلاق فى مكة	١٣٣	مكانة القلم
١٠٦	شيء من التاريخ	١٣٤	عكاظ واخواتها
١٠٨	الاعتذار	١٣٥	فارس يعلم الاخلاق
١٠٨	كلمة فى الاخلاق	١٣٥	الى المشعر الحرام
١٠٩	الحجاب والاستتار	١٣٦	الى جمرة العقبة
١٠٩	العلم والعقوق	١٣٧	الحكمة من الرمى
١١٠	فى شأن الزواج	١٣٨	الشريفان الذبيحان
١١١	ياحماة الامن	١٣٩	بيعة العقبة

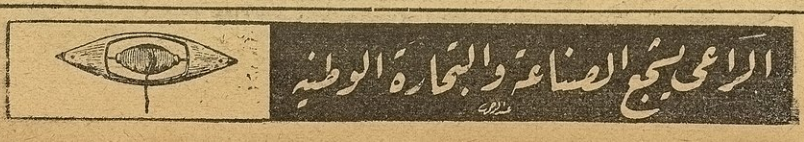

صحيفة		صحيفة	
١٤١	الى طواف الافاضة	١٦٢	الاستمرار فى المسير
١٤٢	ايام التشريق بمنى	١٦٣	السيد الافغانى
١٤٢	البساطة فى العيش	١٦٣	بلاد الافغان
١٤٣	صورة مسجد الخيف	١٦٤	امان الله خان
١٤٣	الاماكن فى منى	١٦٤	الكماليون
١٤٤	العيد والمحملان	١٦٦	النهار السعيد
١٤٥	الذكر الرياضي	١٦٦	رسم قبة النبي عليه السلام
١٤٥	رجاء واستعطاف	١٦٧	فى حضرة الكمال
١٤٦	رمى الجمرات	١٦٧	مدينة النور
١٤٧	العودة الى مكة المكرمة	١٦٨	فى مقعد بنى حسين
١٤٧	الجمعة الرابعة والسودان	١٦٨	رسم الباب المصرى بسور المدينة
١٤٨	بالعتبة المقدسة	١٦٩	أمام الحضرة النبوية
١٤٩	رسم السلم الكبير للكعبة المشرفة	١٧١	الاتصال بالمدعي
١٥١	العمرة من التنعيم	١٧٢	عند أنوار البقيع
١٥٢	كيفية الترحيل	١٧٢	مولاتى الزهراء
١٥٣	القلب يأبى الوداع	١٧٣	مولاى ابا محمد الحسن
١٥٤	بطل الرواية	١٧٥	مولاى العباس بن عبد المطلب
١٥٤	يوم الخروج	١٧٥	مولاى سفيان بن الحارث
١٥٥	كلمة الى المسلمين	١٧٥	مولاتى الحميراء
١٥٦	كلمة الى الحكومة السعودية	١٧٥	سيدنا أبا امامة اسعد بن زرارة
١٥٦	اخر الاوقات السعيدة	١٧٦	سيدنا سعد بن معاذ
١٥٧	الى جدة	١٧٦	سيدنا عثمان بن عفان
١٥٧	السيارات والحكومة	١٧٦	سيدنا عبد الرحمن بن عوف
١٥٨	الاستعداد لقيام السيارة	١٧٧	سيدى سعد بن أبى وقاص
١٥٨	النور يجذب السيارة	١٧٧	سيدى أبا عبد الرحمن عبد الله بن مسعود
١٥٩	رسم أثناء السير		
١٦٠	الدرب سابقا	١٧٧	سادتى السعداء اهل البقيع
١٦١	العربان الان	١٧٨	صلاة الجمعة بحرم المدينة

صحيفة		صحيفة	
١٧٩	منظر بواكى داخل الحرم الشريف	٢٠١	مساجد المدينة
		٢٠١	اليمين الغالى
١٨٠	الدرر والتحف	٢٠٢	الامن فى طيبة
١٨٠	انوار الحرم	٢٠٢	التكية والبعثة الطبية
١٨٢	تزويق المساجد	٢٠٣	رسم واجهة التكية المصرية بالمدينة
١٨٢	مناصب الدولة	٢٠٤	الصحة بالمدينة
١٨٣	المؤسس على التقوى	٢٠٤	جلسة الصباح
١٨٣	فى طريق قباء	٢٠٦	حمام الحمى
١٨٥	ماء المدينة	٢٠٦	الشعب العراقى
١٨٦	رسم داخل مسجد قباء	٢٠٨	الطواقى الحجازية
١٨٦	فى مسجد قباء	٢٠٨	ثمرات النخيل
١٨٧	أبار المدينة	٢٠٩	التجارة فى المدينة
١٨٨	دار أبى أيوب	٢٠٩	الخمر الفاسد بالمدينة
١٨٩	الحوض المورود	٢٠٩	تلغراف المندوب
١٨٩	رسم المحراب العثمانى بالمسجد النبوى الشريف	٢١٠	صلاة الجمعة الثانية
		٢١٠	الوداع الوداع
١٩٠	جلاء الظلمة	٢١٢	على متن السيارة أيضا
١٩٠	محاورة يوسف	٢١٤	الوصول إلى جدة
١٩١	مايرومه يوسف	٢١٤	واقعون فى الاثم
١٩٣	محبة يوسف	٢١٥	آخر العهد بالحجاز
١٩٣	الدجال أمام المحاكمة	٢١٦	الكلمة الاخيرة
١٩٤	لاسلام ولا كلام	٢١٦	العودة بالباخرة
١٩٥	أرباب الطرق	٢١٧	قيام الباخرة
١٩٥	فى ساحة التأديب	٢١٨	محاورة بين الامواج
١٩٦	موقعة أحد	٢١٨	الى ينبع
١٩٧	السادة الشهداء	٢١٩	القيام من ينبع
١٩٩	ماذا بالوادى	٢١٩	فى الحجر الصحى
١٩٩	شماتة المنافقين	٢١٩	الصعقة الاولى
٢٠٠	رسم مسجد الغمامة بالمدينة المنورة	٢٢٠	معجزات سيدنا عيسى

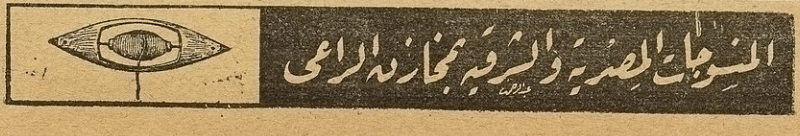

٢٢٠	تقلبات الحياة	٢٢٥	بالباخرة ثانيا
٢٢١	الى طريق المباخر	٢٢٦	المنظر الجميل
٢٢٣	حسن النظام	٢٢٦	الى الوطن العزيز
٢٢٣	الى الحزا آت	٢٢٧	فى القطار
٢٢٤	الاجرا آت الصحية	٢٢٧	الى مصر
٢٢٤	حب التظاهر	٢٢٨	حسن الختام
٢٢٤	الاشارات والصحف	٢٢٩	صورة المؤلف
٢٢٥	بشائر الهناء	٢٣٠	الخطا والصواب

استلـــفات

قد يجد القارىء الكريم —

شيا من الادب فى الصفحات ٤٦ و ٤٩ و ١٣٣

ومن الاخلاق فى ٧٥ و٨٨ و ٩٠ و ١٠٥ و ١٠٨

ومن التاريخ فى ١٥ و٢٥ و ٣٠ و٣٥ و٤٠ و ٥٩ و١٠٦ و١٢٢ و ١٨٣ و ١٩٥ و ٢١٩ و ٢٢٠

ومن العمران فى ١٩ و ٤٥ و ٨٢ و ١٢١ و ٢٢٦

ومن الاجتماع فى ٨ و ١١٧ و ١٢٤ و ٢٢٦

ويجد أيضا —

كلاما عن الخطابة فى الصفحات ٨ و ١٠

وعن الاحكام » ٧٦ و ١١٣

وعن الصوفية » ١٤٥ و ١٩٥

وعن الصحة » ٤٤ و ١٣١ و ٢٠٢ و ٢٠٤

هذا عدا الكلام عن الرحلة وعن المناسك والحجاز وساكنيه الكرام

مطبعة المدينة المنورة

بسراى ال الغزالى بالخفى بمصر

BP
187.3
.R33

NOV 25 1974

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE
CU55321291
BP187.3 .R33 Fi al-mamlakah al-ru